رهبانيَّة بنات قلب يسوع الأقدس

الجزء الأول

منذ تأسيسها سنة ١٩١١ وحتى ١٩٨٨

تأليف

الأخت ماركريت أورو شمعون للقلب الأقدس

ترجمة

حنان حدّاد

أربيل- ٢٠١٦

منشورات رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس
تنضيد: الأخت سمر كامل للقلب الأقدس
المطبعة: Printing Press, Contact, Lebabon
عدد النسخ: ١٠٠٠

Mission Chaldéenne en France
Paroisse Notre-Dame de Chaldée
Centre « Eglise d'Orient »
13-15, rue Pajol 75018 Paris
Tel : 0142095507 Fax : 0146079323

Paris, le 07 juin 2013

عيد قلب يسوع الاقدس

مقدمة كتاب الاخت مركريت

استهلال :

يطيب لي ان اقدم لهذا الكتاب وهو صفحة نيرة من تاريخ الرهبنة ، صفحة مطوية ، عاشتها العديد من الاخوات.

صفحة ايضا من تاريخ الكنيسة الكلدانية التي شجعتها واستفادت من رسالتها. هذه الكلمة دعوة الى الصلاة الى الرب ليسند هذه الرهبنة لتقوم برسالتها : العمل على نشر عبادة يسوع الوديع ، والتخلق بأخلاقه عن طريق الاقتداء بقلبه المتواضع الذي هو رمز حبه ومركزه ، وعن تربية ابناء الكنيسة على فضائل يسوع الرب والمعلم. (تعلموا مني ، ادخلوا في مدرستي).

وفعلا لقد قامت هذه الرهبنة العزيزة بتربية اجيال عديدة من الأطفال ، الشباب والبالغين في كنيستنا الكلدانية في العراق ام في المهجر : من التعليم المسيحي الى اعداد التناول الأول ، الى سند الأخويات ، الى زيارة العوائل ، خاصة المنكوبة... ونلاحظ ذلك ايضا هنا في باريس. بارك الله فيهن ووهب الحياة الابدية لمن اسس الرهبنة ورعاها ودبرها ، المطران فرنسيس ، البطريرك بيداويد ، المطران اسطيفان بابكا ، والاخوات الرئيسات و بقية ألمرشدين ، وساعدالاخوات الى تحقيق اهداف الرهبنة بنجاح مهمتها الجليلة وبدعوات جديدة عديدة.

P. YOUSIF

الخوري بطرس يوسف

مرشد الرهبنة سابقا (الموصل 1964- 1973)

مرشد رسالة باريس حاليا

MISSION CHALDEENNE DE PARIS

شعار رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس

تقديم المُعِدّ

لمسيرة دامت أكثر من مائة عام حان الوقت أن تُبصر هذه المسيرة الكبيرة والعميقة من نوعها النور. لكي تشهد للحقيقة الا وهي أن صاحب الدعوة موجود ولا يزال يقود دفة المسير ويدعو الى كرمهِ عمله حقيقيّين.

ليس التاريخ مجرد سردٍ لأحداث مضت وانتهت، بل هو قاعدة أساسية ورئيسية لإسناد حاضر ملموس ومستقبل ملؤه الرجاء. هكذا بدأت مسيرة هذا الكتاب الأول عن تاريخ الرهبانية فبجهود راهبة مثابره أحبت أن تُحيي هذا الأرث العريق الذي فقدت الرهبانيّة الكثير منه بسبب الحروب والهجرات. بحثت عن الحقائق الرهبانية وجمع الكثير من المعلومات من هنا وهناك وبأرشاد الأب الراحل يوسف حبي نجحت الأخت مركريت أورو شمعون للقلب الأقدس في كتابة أطروحتها عن "تاريخ الرهبانية" اثناء دراستها في معهد التعليم المسيحي في كلّيّة الأرساليات – الجامعة الحبريّة الأوربانيانيّة، سنة ١٩٨٨م.

ونحن، رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس نقدم الشكر الجزيل لأختنا المثابرة التي عملت الكثير من أجل رهبانيتنا لا سيما في سنوات رئاستها المنصرمة التي دامت اكثر من عشرون سنة غير متتاليّة. أذ عملت على جمع و حفظ أرشيف كبير للرهبانية بعد أن فقدت أرشيفها في هجرتها من منطقة العماديّة محافظة دهوك – العراق. وتكلّلت هذه الجهود بأول ثمرة لها عن تأريخ الرهبانية في هذا الكتاب الرائع.

لا يسعنا أن نشكر كل من السيدة حنان حدّاد على ترجمتها الأطروحة من اللغة الأيطاليّة (لغة كتابة الأطروحة) إلى اللغة العربية، والسيد وسام ماجد ميناس الذي تابع الترجمة وطبع الكتاب. باركهما الرب وأجزل عليكما نعمه ليتمجد أسمه بكل عمل تقدمونه.

شكر كبير للاب دنخا عبد الاحد مصمم غلاف الكتاب، ربنا يبارك كل أعماله ويوفقه في دراسته في أستراليا.

يذهب شكرنا الكبير الى الأب الراهب سامر صوريشو يوحنّا الذي ساهم في التنقيح اللغوي والتنضيد، بركة ربّنا ترافق مسيرته ومسيرة الرهبانية الانطونيّة الهرمزديّة الكلدانيّة وأن ينعم الرب عليها بدعوات وافرة.

وأخيراً، نتقدم بالشكر والأمتنان الكبير للأب الراحل الخوري بطرس يوسف ليس فقط لتقديمه لهذا الكتاب المهم في مسيرة الرهبانية، بل وأيضا لمواكبته لرهبانيتنا لسنوات طويله في الارشاد الروحي كمرشد لها والصلاة من أجلها، ليس لنا الا أن نقدم صلواتنا من أجله لكي ينعم عليه ربنا بملكوته السماوي.

المُعدّ

الأخت سمر كامل ميخا

للقلب الأقدس

لبنان ٢٠١٦

المقدّمة

إنَّ الباباوات وهم يتأمّلون أحوال العصر الماثلة أمام أعينهم على مرِّ الزمن، بكلّ ما فيها من فقر دينيّ وأخلاقيّ واجتماعيّ تعيشه الإنسانيّة، قوامه الابتعاد عن الله واللاتدَيُّن والإلحاد والصراع ضدَّ الله، فضلاً عن الاضطهادات التي تستهدف الدين والكنيسة، وانحطاط القيم الأخلاقيّة وتفَشّي الظلم والفَوضويّة والقهر وامتهان الشخص البشري عبر ممارسة القَسر والعنف من قِبل الأنظمة الاستبداديّة وبما أنّهم كانوا قد أدركوا أنّ تبعات هذه الشرور تهدِّد التعايش السلميّ بين بَني البشر، فقد أشاروا مرارًا وتكرارًا إلى الوسائل وأوضحوا السبل المؤدِّية إلى تجنُّب تلك الشرور الأخلاقيّة والاجتماعيّة، كما بيّنوا في الوقت ذاته كيفيّة النهوض بالواجب الذي يحثّ على الارتقاء بالدين والعدالة والمحبّة بين الناس.

وتبيّن للباباوات أن في عبادة القلب الأقدس الإجابة على ما يفرضه علينا العصر من واجبات ومتطلّبات. وكان البابا لاوون الثالث عشر يأمل أن يكون في تكريس العالم والاعتراف بملوكيّة المسيح عودة إلى الربّ الذي هو الطريق والحقّ والحياة، والذي به تنجو البشريّة من الدمار، ويستَتِبُّ الحقّ والنظام مرّة أخرى في العالم[1].

كما أنّ البابا بولس السادس كان قد وجّه رسالة إلى الرؤساء العامّين لخمس رهبانيّات مكرّسة لعبادة القلب الأقدس، قال فيها بعد أن أوضح أنّ المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني يريد تجديد الكنيسة التي انبثقت من قلب المسيح المطعون: "... إنّه لمن الضروريّ العاجل أن يسعى المؤمنون بحماس بالغ – سرًّا وعلانيّة– إلى تكريم ذلك القلب الذي من امتلائه أخذنا نحن جميعًا. وأن يتعلّموا منه على أكمل وجه كيف يجب عليهم أن يحيَوا بما ينسجم ومتطلّبات عصرنا"[2]. وكان هذا الحبر الجليل قد صرّح بأفكار مماثلة في لقاءٍ له مع الآباء اليسوعيّين، موصيًا إيّاهم بعبادة القلب الأقدس لكونها أداة ناجعة من شأنها

[1] LEONE PP. XIII, Annum Sacrum, in Acta Santae Sedis, 31 (1899), p. 650.
[2] L'Osservatore Romano, 25 maggio 1965.

أن تُسهم في تجديد الحياة. ذلك التجديد الذي رغب فيه المجمع المسكونيّ الفاتيكاني الثاني رغبةً منه في التغلُّب على الإلحاد[٣].

وكانت رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس قد أصغت إلى نداء الحبر الأعظم، وأحسّت به في أعماقها؛ فانبرت لإصلاح وتجديد حياتها الرهبانيّة حبًّا بالمسيح، عاملة بذلك على الارتقاء بـ "حضارة المحبّة"، تدعمها ثقافةٌ هي "ثقافة المحبّة"[٤]. إنّ هذه الدراسة، التي تتّخذ من رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس لأبرشيّة العماديّة للكلدان موضوعًا لها، هي إكرام بَنويّ أخصُّ به رهبانيّتي وأخواتي؛ عملاً على قبول وتعزيز الهبة الإلهيّة (Carisma) في الرهبانيّة، تمامًا كما توارثناها جيلاً بعد جيل عن مؤسِّس رهبانيّتنا الأب عبد الأحد ريّس كاهن أبرشيّة العماديّة.

أودّ أن أشكر كلّ الذين قدّموا لي يد العون من أجل إنجاز هذا البحث الذي لم يكن في أغلب الأحيان يسيرًا؛ نظرًا للظروف التي مرّت بها الأبرشيّة والدير إثر الحملات التي شنّها الأكراد ضدّ الحكومة العراقيّة آنذاك، حيث تمّ اجتياح وتدمير كلّ شيء، بما في ذلك المباني والإرشيف بمحفوظاته التي أُحرقت في أيلول (سبتمبر) ١٩٦١ مع مكتبة (البطريرك) مار روفائيل بيداويد أسقف الأبرشيّة آنذاك.

أقدِّم جزيل شكري للأُستاذ شمعون داود –أرادن– حيث وضع تحت تصرُّفي كافّة الوثائق التي بحوزته، منها ما هو شديد الأهميّة، ولاسيّما مذكّرات مار فرنسيس داود، وجزء من المراسلات. كما أشكر مونسنيور جوزيف خوري المسؤول عن مكتب نسخ المسوّدات في مجمع الكنائس الشرقيّة؛ فقد زوّدني بالمعلومات القليلة التي يحتفظ بها المجمع في إرشيفه حول رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس لأبرشيّة العماديّة. وأخصّ أيضًا بوافر الشكر أستاذي الفاضل كوزمان (Prof. Guzman Carriquiry) لتفضّله بالإشراف على إعداد هذه الأُطروحة التي أبصرت النور اليوم بفضل نُصحه القيّم وتوجيهه

---

[3] ibid., 17 novembre 1966.

[4] CARD. DADAGLIO, L., Cuore di Cristo e civiltà dell'amore in Il Cuore di Cristo e il Sacerdozio Comune e Ministeriale, Ed. Centro volontari della sofferenza, Roma 1987, pp. 213-221.

السديد. ولا يفوتني أن أُوجّه خالص شكري إلى أساتذتي الأجِلاّء في معهد التعليم المسيحيّ للأرساليّات– وعلى رأسهم عميد المعهد الأب باولو جيليوني (P. Paolo Giglioni)– لما قدّموه لي من العون مدّة دراستي في كليّة الأرساليّات في الجامعة الحبريّة الأوربانيانيّة.

ولا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدّم بوافر شكري البَنَويّ إلى مجمع الكنائس الشرقيّة برئاسة الكردينال سايمون لوردوسامي (D. Simon Card. Lourdusamy) جزيل الاحترام، الذي تفضّل بمنحي فرصة مواصلة دراستي العليا في الجامعة الحبريّة الأوربانيانيّة في روما. وأشكر –مع فائق التقدير– أُسقفي الجليل مار حنّا قلّو مطران الكلدان في العماديّة وزاخو؛ لعنايته المستمرّة ورعايته الأبويّة التي طالما خصَّ بها رهبانيّتنا بوصفه الأب الروحيّ والمرشد الأعلى لها.

كما أوجّه من صميم القلب خالص شكري إلى أسقف بيروت على الكلدان، الجزيل الاحترام مار روفائيل بيداويد لِما أسداه إليَّ من العون منذ السنوات الأولى لحياتي الرهبانيّة وحتّى اليوم، ولا سيّما في إعداد هذه الدراسة التي حظيت بتشجيعه ومراجعته لِما فيه صالح الرهبانيّة التي منحها قدرًا كبيرًا من طاقته.

وأخيرًا، أُهدي دراستي المتواضعة هذه إلى قلب يسوع الأقدس ليباركها؛ فإنّها أُعِدَّت لمجد اسمِهِ، وليبارك رهبانيتنا الصغيرة التي تتمجَّد وتزدهي بحمل أسمه مع جميع بناتها اللواتي لا رغبة لهنَّ إلاّ أن يَكُنَّ دائمًا ذلكَ التسبيح الذي يُمجِّد اسمَه الأقدس.

روما، ٣ نيسان ١٩٨٨
الأخت ماركريت أورو شمعون
رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس

AAS	Acta Apostolicae Sedis
AC	Assyrie Chrétienne
AMS	Acta Martyrum et Sanctorum (BEDJAN)
BO	Bibliotheca Orientalis
Cfr.	Confronta
CS	Chronique de Séert
CSCO	Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium (Louvain)
DDC	Dictionnaire de Droit Canonique
DTC	Dictionnaire de Théologie Catholique
EV	Enchiridion Vaticanum
GR	Genuinae Relationes (GIAMIL)
HASO	History of Asceticism in the Syrian Orient (VÖÖBUS)
HM	Historia Monastica
Ibid.	Ibidem
KA	Kaldo wa AthuR (SCHER)
LC	Liber Castitatis
MC	Mossoul Chrétienne
MO	Martiri d'Oriente (SCHER)
OS	Orient Syrien
PO	Patrologia Orientalis
SAD	Syriac and Arabic Documents (VÖÖBUS)
SO	Synodicon Orientale

الباب الأوّل

الحياة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانيّة

الفصل الأوّل

الكنيسة الكلدانيّة عبر التاريخ

الكنيسة الكلدانيّة هي –في الأصل– كنيسة مابين النهرين (Mesopotamia)، من هنا اتّخذت اسمها الذي عُرفت به عبر التاريخ، وهو اسم "كنيسة المشرق"، كما ورد في النصّ الإنجيليّ عن المجوس[٥] الذين ينحدرون تبعًا للتقليد الإنجيليّ من منطقة كلدو (Caldea)، أرض المنجّمين والفلكيّين وحكماء بابل ذَوي الشُهرة الكبيرة، الذين أصبحوا فيما بعد أوّل من أعلن البشرى السارّة في أرض المشرق. مُنح اسم "الكلدان" للمرّة الأولى إلى مسيحيّي كنيسة المشرق المتّحدين بكنيسة روما مِن قِبَل البابا إيوجينيوس الرابع (Eugenio IV) عام ١٤٤٥[٦] لتمييزهم عن النساطرة غير المتّحدين عن الكنيسة الكاثوليكيّة، مانحًا إيّاهم اسمًا فخريًّا يُذكِّر بأمجاد أُولئك الملوك المجوس الثلاثة. ومنذ ذلك الحين أصبحت كنيسة المشرق المتّحدة بكنيسة روما تُعرف بـ "الكنيسة الكلدانيّة".

تعود البدايات الأولى للمسيحيّة في بلاد ما بين النهرين إلى زمن الرُسل؛ فكما جاء في سفر أعمال الرسل "كان من بين الحاضرين في أورشليم يوم العَنصرة (حلول الروح القدس): فَرْثيّين وميديّين وعيلاميّين وأُناس من بلاد ما بين النهرين"[٧]. وتُشير أقدم الروايات إلى أنّ القدِّيس توما الرسول كان أوّل من وعظَ بالإنجيل في بلاد ما بين النهرين وهو في طريقه متّجهًا إلى الهند حيث أَعلن بُشرى الإنجيل واستُشهد، وحيثُ يُزار ضريحه في مدينة ملّابار (Maylapore) الواقعة بالقرب من مَدراس (Madras). وواصلَ الرسالة من بعده تلميذَه أدَّي (أحد تلاميذ يسوع الاثنين والسبعين) الذي أعقبه

---

[٥] (متى: ٢: ١ – ٢).

[6] Cfr. GIAMIL, S., Genuinae relationes inter sedem Apostolicam et Assyriorum Orientalium seu Chaldaeorum Ecclesiam, Roma 1902, pp. 9-12. براءة (نشرة) بابويّة Benedictus Deus، ٧ آب ١٤٤٥؛ انظر:

[٧] أعمال الرسل (٢: ٩).

تلميذُه ماري[٨]. يُنسب طقس كنيسة المشرق إلى هذين القدِّيسَين أدَّي وماري. كما أنّ الأنافور الذي وضعاه[٩] يُعدّ من أقدم الأنافورات في تاريخ الكنيسة المسيحيّة، وما يزال استعماله جاريًا في الكنيسة الشرقيّة بشَقَّيها الكلدانيّ والآثوري.

وتكوّنت بمرور الزمن حول كلٍّ من العاصمة سلوقية وقطيسفون التي تُعرف بالمدائن (مدينة واقعة على ضفاف نهر دجلة حيث تقوم اليوم بغداد عاصمة العراق) جماعةٌ مسيحيّة منظّمة يُديرها أساقفة يقطنون مراكز المدن الكبرى؛ ممّا أدى إلى نشوء الأبرشيّات التي بلغ عددها في أوائل القرن الثالث للميلاد عشرين أبرشيّة توزّعت في أنحاءَ بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس والخليج، برئاسة كرسي المدائن (سلوقية وقطيسفون).

وقد تعرّض الدين الجديد منذ السنوات الأولى لنشأته إلى اضطهادات بلغت حدًّا شديد الضراوة أحيانًا. وكان السبب في تلك الاضطهادات هو التنازع بين الدين الجديد والمزدئيّة (دين الدولة آنذاك)[١٠]. وكان لليهود كذلك دور في تحريض الدولة وتأليبها على أتباع يسوع الناصريّ. غير أنّ السبب الرئيس كان متمثِّلاً بالسياسة وبالمنافسة الشديدة بين القوّتين العُظمَيين آنذاك، وهما: الروم البيزنطيّين والفُرس، ولاسيّما بعد أن اعتنق الغرب الدين المسيحيّ. وكان المسيحيّون في ذلك الوقت يُعَدّون عملاء للروم؛ وتبعًا لذلك فقد كان يُنظر إليهم كأعداء من الواجب إبادتهم بأيّ ثمن.

---

[8] Cfr. TISSERANT, E., art. Nestorienne (L'Église) in DTC, t. XI (1931), coll. 157-288, 313-323; ألبير أبونا، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ١، الموصل ١٩٧٣؛ شير (المطران أدّي)، تاريخ كلدو وآثور، الجزء الثاني، بيروت ١٩١٣.

[٩] أنافور في طقس الكنائس الشرقيّة تعني: الجزء المركزيّ والأساس في القدّاس، وهو يقابل الـ Canone في الطقس الروماني.

[١٠] المزدئيّة: هي الديانة التي كانت سائدة في إيران القديمة (الامبراطوريّة الفارسيّة)، والتي يُفترض أنّ إله الخير أهورا- مزدا كان قد كشفها (أوحى بها) في القرن الثامن قبل الميلاد إلى زرادشت. أمّا تعاليمها فموجودة في كتاب أفيستا (Avesta). إنّها ديانة تستند إلى مبدأ الثنائيّة أو الازدواجيّة، قوامها الصراع بين الخير والشرّ في العالم، وتقول بأنّ هذا الصراع سينتهي إلى غلبَة الخير وانتصاره على الشرّ.

أمّا الاضطهادات الأشدّ دمويّةً فقد جرت على يد الفُرس الساسانيّين (٢٢٦- ٦٥١)م، وكان أشدّها سوءًا على الإطلاق ما بين (٣١٠- ٣٧٩)م وهي الحقبة التي تعاقب فيها على الحكم كلّ من شاهبور الثاني وسابور. ودام ذلك الاضطهاد مدّة أربعين عامًا (٣٣٩- ٣٧٩)م. ولم تهدأ تلك الاضطهادات إلاّ إبّان حكم شاهبور الثالث (٣٨٣- ٣٨٨)م، إثر الهدنة مع الإمبراطور الرومانيّ تيودوس الكبير (Teodosio il Grande) (٣٤٧- ٣٩٥)، ممّا مكّن المسيحيّين من ممارسة طقوسهم بحريّة[١١]. وفي أوائل القرن الرابع للميلاد غدت كنيسة المشرق أكثر تنظيمًا في ظلّ رعاية أسقف المدائن مار بابا (Baba) (٣١٠- ٣٢٩)م، الذي نادى به جميع المسيحيّين المقيمين في أقاليم الإمبراطوريّة الفارسيّة قاطبةً رئيسًا روحيًّا لهم، مانحين إيّاه لقب الجاثاليق (Catholicos). وأصبحت المدائن مقرّ الجاثاليقيّة (Catholicosato)، وأُعلن آنئذٍ استقلال كنيسة المشرق عن الكنيسة االغربيّة.

وفي عام ٤١٠ م عُقد سينودس ضمّ أربعين أسقفًا برئاسة الجاثاليق اسحق (٣٩٩-٤١٠)، وكان من بين الحاضرين الأسقف ماروثا (Marutha) ممثّل كنيسة أنطاكية التي كانت تجمعها بكنيسة المشرق علاقات أخويّة. وقد تمّ في ذلك السينودس بحث مختلف الوسائل والأمور المتعلّقة بتنظيم الكنيسة[١٢]. على الرغم من عدم حدوث أيّ خلاف عقائديّ بين كنيسة الشرق وكنيسة الغرب برئاسة الحَبر الأعظم الرومانيّ، غير أنّ ظروفًا ومُلابسات معيّنة كان سببها العداء الشديد بين كلٍّ من الإمبراطوريّتين الفارسيّة والرومانيّة أدّت بكنيسة المشرق إلى اعتناق النسطوريّة[١٣]. فمِن إحدى النواحي ظنّ الأساقفة أنّهم بهذه الطريقة يُعربون عن ولائهم للإمبراطوريّة الفارسيّة؛ فانفصلوا عن كنيسة أنطاكية عام ٤٢٤ م، ومن ناحية ثانية فإنّ رؤساء كنيسة المشرق الذين جاؤوا فيما بعد كانوا قد تلقّوا تعليمهم

---

[١١] مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، ص ١٧- ٣٦، ترجمة ص ٢٥٣- ٢٧٥.

[١٢] المصدر نفسه.

[١٣] النسطوريّة: نسبة إلى نسطور (٣٨٠- ٤٥١) م، بطريرك القسطنطينيّة الذي صدر بحقّه قرار الحرمان الكنسيّ والخلع (العزل) في مجمع أفسس عام ٤٣١ م، بسبب مذهبه المسيحانيّ الذي اعتُبر هرطقةً لأنّه يقول بوجود شخصَين وطبيعتين كاملتين في المسيح- وكذلك الثنائيّة الفيزيائيّة (ثنائيّة الطبيعة) duofisismo- وهو بالتالي يُنكر الأمومة الإلهيّة لمريم (ينكر أنّ مريم هي والدة الإله) ويقول بأنّها والدة المسيح وحسب.

وإعدادهم في مدرسة الرها[١٤] المغرقة في المذهب النسطوريّ. وقد انتقلت هذه المدرسة فيما بعد إلى نصيبين الواقعة ضمن الإمبراطوريّة الفارسيّة، وكان ذلك عام ٤٨٩ م إثر إغلاقها من قِبَل الإمبراطور زينون (Zenon) المناصر للمونوفيزيّين (Monosfisiti)[١٥]. وكان لهذه الخطوة الأثر في تعميق هوّة الانشقاق الذي تمّ اعتماده خلال كلٍّ من سينودس آقاق ٤٨٦ م[١٦] وباواي ٤٩٧ م[١٧]. وهكذا أضحت كنيسة المشرق منذ القرن الخامس تُعرف بـ "الكنيسة النسطوريّة" وكذلك بـ "كنيسة بلاد فارس أو كنيسة الفُرس". واتّخذ الجاثاليق لقب البطريرك على حدّ المساواة مع الرؤساء الآخرين لكُبرَيات الكنائس الشرقيّة.

لم تتغيّر حال الكنيسة النسطوريّة كثيرًا إثر سيطرة العرب على الإمبراطوريّة الفارسيّة عام ٦٣٧ م، على الرغم من أنّ عددًا كبيرًا من أبنائها اعتنق الدين الإسلاميّ الجديد، ولاسيّما في اليمن وعُمان وجنوب بلاد فارس. وكان أن ازداد عدد النساطرة في ظلّ الحكم العربي بفضل الحريّة النسبيّة التي كانوا يتمتّعون بها؛ فتضاعفت أبرشيّاتهم وازدهرت أديرتهم واتّسعت رُقعة كنيستهم على يد مُرسَليها الذين كان معظمهم رهبانًا، فشملت تركستان ومنغوليا والتبت والصين واليابان والهند وسيلان وجنوب آسيا في أندونيسيا. كما شهدت الكنيسة النسطوريّة آنذاك تطوّرًا فكريًّا ولاهوتيًّا وعلميًّا لم يُعرف له مثيل؛ ولاسيّما في ظلّ الخلافة العبّاسيّة (٧٥٠– ١٢٥٨)م، حيث كان النساطرة يحظون باحترام وتقدير كبيرَين في بلاط الخليفة وحاشيته؛ لكونهم مقرَّبين جدًّا من كبار رجال البلاط الذين كانوا يستفيدون من خدماتهم في

---

[١٤] نسبة إلى مدينة الرها الواقعة شمال ميسوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين). تمّ تأسيس هذه المدرسة في القرن الرابع للميلاد، وفيها تلقّى معظم كبار رجال الإكليروس لكنيسة المشرق تعليمهم. وقد عُرفت بتمسُّكها باللاهوت الأنطاكيّ. ويُذكر من بين عمالقتها مار أفرام معلِّم الكنيسة. أغلق أبوابها الامبراطور زينون سنة ٤٨٩م.

[١٥] المونوفيزيّة (أُحاديّة الطبيعة): هو المذهب الذي نادى به وعلّمه أوتيخا (Eutiche) (ت نحو ٤٥٤ م)، وهو راهب اسكندريّ كان يقول بوجود طبيعة واحدة فقط في المسيح، وقد أدانه مجمع خلقيدونية (٤٥١ م). تعتنق هذا المذهب اليوم ثلاث كنائس شرقيّة: الأقباط الأرثوذكس (مصر واثيوبيا)، السريان الأرثوذكس، والأرمن الأرثوذكس.

[١٦] مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، ص ٥٣ – ٦٠، ترجمة، ص ٢٩٩ – ٣١٧.

[١٧] المصدر نفسه، ص ٦٢ – ٦٨، ترجمة، ص ٣١٠ – ٣١٧.

مجالات الطبّ والعلوم وأُمور الخزانة. وقد برز من بينهم الأطبّاء والعلماء والمترجمين، شأن حُنين بن اسحق وبختيشوع وابن الطيِّب وابن ماسّويه والكندي وغيرهم كثيرون[١٨].

وكان العلاّمة البطريرك طيموثاوس الأوّل الشهير بـ "الكبير" (٧٨٠– ٨٢٣) م أحدَ كبار رجال الكنيسة في تلك الحقبة. وهو الذي نقل مقرّ الكرسي البطريركيّ إلى بغداد عاصمة الخلافة العبّاسيّة، ونذر حياته بإيمانٍ وبتَفانٍ في العمل الرسوليّ في مختلف بلاد العالم المعروف آنذاك؛ فأسّس مدارسَ، وشجّع العلوم الكنسيّة والدنيويّة، مساهمًا هو نفسه بذلك من خلال مؤلّفات عديدة وصل إلينا قسم منها، وهي تشهد على ثقافته العميقة وغيرته الرسوليّة المتّقدة[١٩].

شهد عام ١٢٥٨م نهاية الخلافة العبّاسيّة على يد المغول الذين اجتاحوا بغداد بقيادة هولاكو (١٢١٧– ١٢٥٨م)، وإبّان دخولهم بغداد تمكّنت كنيسة المشرق من المضيّ في مسيرتها باطمئنان، فضلاً عن تمتُّعها بالحريّة الدينيّة. ويعود السبب في هذا إلى أنّ جزءًا كبيرًا من منغوليا كان قد اعتنق المسيحيّة منذ القرن السابع للميلاد على يد مُرسَلي هذه الكنيسة نفسها. واستطاع فيما بعد أحد أبناء الكنيسة المغوليّة الجلوس على كرسي البطريركيّة، وهو مار ياوالاها الثالث (١٢٨٣– ١٣١٧)م الذي نقل مقرّ البطريركيّة إلى ماراغا (Maragha) في منغوليا[٢٠]. ويُعَدّ الرحّالة الشهير ماركو بولو (Marco Polo) شاهدًا على انتشار هذه الكنيسة، فهو يذكر اللقاء الذي تمّ بينه وبين البطريرك النسطوريّ في قصر الأمير المغوليّ

[18] 1948, pp. 260-316; PUTTMAN, H., L'Église et l'Islam sous Timothée I (780-823), Beyrouth 1975.

[19] Cfr. LABOURT, H., De Timotheo I Nestorianorum Patriarcha (728-823) et Christianorum condicione sub Caliphis Abbasidis, Paris 1904; TISSERANT, E., art. Timothée I, in DTC, t. XV (1946), coll., 1121-1139; BIDAWID, R.J., Les Lettres du Patriarche Nestorien Timothée I, Studi e Testi 187, Città del Vaticano 1956.

[20] Cfr. NAU, F., L'Expansion Nestorienne en Asie, in Ammales du Musée Guimet, t. XI, Paris 1913, pp. 193-388; PELLIOT, P., Chrétiens de l'Asie Centrale et d'Extrême-Orient, in T'oung Pao, XV (1914), pp. 623-644; MINGANA, A., The early spread of Christianity in Central Asia and the Far East, in Bulletin of the John Rylands Library, IX (1925); GROUSSET, R., L'Empire des Steppes, 4a ed., Paris 1985, pp. 371-374.

إلخان (Ilkhan)[٢١]. ويُقدِّر الدارسون عدد المؤمنين التابعين لكنيسة المشرق في تلك الحقبة بِزُهاء ٨٠ مليون نسَمة تضمُّهم ٢٥٠ أبرشيّة، و٣٠ مركزًا في الحواضر من مصر إلى اليابان، مرورًا ببلاد ما بين النهرين وبلاد فارس والهند وسيلان وتركستان ومنغوليا والتبت والصين وجنوب آسيا وإندونيسيا.

غير أنّ المغول اعتنقوا الإسلام في أوائل القرن الرابع عشر؛ فتغيّرت حال المسيحيّين تغيّرًا تامًّا بلغ ذروتَه باعتلاء تيمورلنك (١٣٣٦– ١٤٠٥م) العرش، فقد قام بالقضاء على المسيحيّة في الأجزاء الشرقيّة من الإمبراطوريّة، ممّا أدّى إلى انخفاض عدد المؤمنين انخفاضًا شديدًا، فقد انحسروا في مناطقهم ونزحوا إلى بلاد ما بين النهرين حيث وجدوا لهم مَلاذًا في جبال كردستان، وفي مدينة الموصل وضواحيها، وفي شمال بلاد فارس. إثر الاضطهادات التي لحقت بهذه الأحداث المؤلمة، وبُغية المحافظة على استمراريّة نظام المراتب في كنيسة المشرق، قرّر البطريرك النسطوريّ شمعون الرابع (١٤٢٧– ١٤٧٧م) أن يتمّ تناقُل المنصب البطريركيّ عبر النظام الوراثيّ من العمّ إلى ابن الأخ أو إلى أبناء الأعمام. وبمرور الزمن شمل هذا المبدأ الأساقفة أيضًا، واستمرّ العمل به حتّى عام ١٩٧٦ عندما ألغت الكنيسة النسطوريّة (الآثوريّة) النظام الوراثي بعد مقتل البطريرك شمعون الثالث والعشرين في سان فرانسيسكو، وأعادت التشريع المجمعيّ القديم الذي يُقرّ نظام الانتخابات القانونيّة (المعترَف بها من قِبل الكنيسة) كما هو جارٍ في مختلف الكنائس الشرقيّة.

وانطلاقًا من هذا المبدأ قام البطريرك شمعون السابع بَر ماما (١٥٣٨– ١٥٥١) بتسمية ابن أخيه خلفًا له. وكان أن أثارت هذه التسمية سخط واستياء كثير من رجال الكنيسة ومن العلمانيّين، وأضحت سببًا للانشقاق في الكنيسة؛ لأنّها تخالف القوانين المجمعيّة المعمول بها في كنيسة المشرق.

وإثر وفاة البطريرك شمعون السابع عام ١٥٥١، لم يرَ كثيرون في ابن أخيه شمعون الثامن دنخا (١٥٥١– ١٥٥٨) الصفات التي من شأنها أن تؤهّله لتولّي منصب البطريركيّة. وبناءً على ذلك قاموا بترشيح الراهب يوحنّان سولاقا رئيس دير الربّان هرمزد في ألقوش الذي تمّ انتخابه بعدئذ بطريركًا من قِبل

[21] MARCO POLO, Il Milione, ed. BENEDETTO, F., Firenze 1928, p. 41; GROUSSET, R., op. cit., p. 364 ss.

مجمع الأساقفة المنعقد في الموصل وفق اللوائح المصادَق عليها من قِبل المجامع الكنسيّة لسلوقية وقطيسفون. وفي الوقت نفسه قرّر الأساقفة المشاركون في المجمع ذاته اتّحادهم بكنيسة روما[٢٢].

في ١٨ تشرين الثاني ١٥٥٢ م اتّجه يوحنّان سولاقا إلى روما بصحبة عدد من رجال الكنيسة ومن الوجهاء، حيث جاهر بإيمانه بين يدَي البابا يوليوس الثالث (Giulio III) (١٤٨٧- ١٥٥٥) الذي أمر بمنحه درجة الأسقفيّة[٢٣]. فسيمَ أسقفًا في ٩ نيسان، وفي ٢٨ من الشهر ذاته قلّده البابا يوليوس الثالث الزنّار المقدّس (المعروف بال: Pallio) رمزًا للسلطة الحبريّة المطلقة[٢٤]. وهكذا أصبحت كنيسة المشرق مُتّحدة رسميًّا بكنيسة روما.

واتّخذ البطريرك الجديد عند عودته إلى أرض الوطن مدينة آمِد (ديار بكر في تركيا) مقرًّا له، وبدأ حالاً بتنظيم الجماعة الكاثوليكيّة الجديدة حيث رسم خمس أساقفة لآمد والجزيرة وماردين وسعرْت وحسن كيفا، لتوطيد جماعة المؤمنين ولتشجيع الآخرين على الاتّحاد بروما. غير أنّ فرحة الكنيسة الكلدانيّة – للأسف– لم تدم طويلاً؛ فَبِتحريض من البطريرك النسطوريّ شمعون الثامن دنخا قام الأمير التركيّ لمنطقة العماديّة باعتقال البطريرك الجديد الذي قُتل بعدئذ عام ١٥٥٥ فوَسَمَ بِوَسم دمائهِ إيمانَه الكاثوليكيّ الذي عاش ومات من أجله؛ فصار بذلك أوّل شهيد للاتّحاد (بين كنيسة المشرق وكنيسة روما).

خلفَ يوحنّان سولاقا أسقف الجزيرة مار عوديشو الرابع مارون (١٥٥٥– ١٥٦٧) م الذي قصدَ بدَوره روما عام ١٥٦٢ لتجديد مجاهرته بالعقيدة الكاثوليكيّة بين يدَي البابا بيوس الرابع (Pio

---

[22] GIAMIL, S., GR, PP. 12-14; BELTRAMI, G., La Chiesa Caldea nel secolo dell'Unione, Orientalia Christiana, vol. XXIX, Roma 1933, p. 2 ss.

[23] GIAMIL, S., GR, PP. 19-23; DE VRIES, G., Nel Quarto Centenario della Chiesa Caldea, in La Civiltà Cattolica, 1952, II, pp.236-252 [ترجمه إلى العربيّة: بيداويد، ربّان، رافائيل، شهيد الاتّحاد البطريرك شمعون يوحنّان سولاقا الكلدانيّ، بغداد ;روفائيل، في "النجم"، ١٢ (١٩٥٢)] ١٩٤٨.

[٢٤] انظر: براءة الإقرار (المصادقة) في VOSTÉ, J. M., Mar ؛ GIAMIL, S., GR, pp. 24-27 Johannan Soulaqa, premier Patriarche des Chaldéens, martyr de l'Union avec Rome (+1555), in Angelicum, t. VIII (1931), p. 215 SS.

IV) (١٤٩٩– ١٥٦٥)م[٢٥] الذي صادق على شرعيّة انتخابه. وقد تمكّن مار عوديشو الرابع خلال إقامته في روما من المشاركة في جلسات الدورة الأخيرة لمجمع التريدنتيني.

كان على البطريرك الجديد أن ينقل مقرّ الكرسي البطريركي من آمِد إلى سعرت طلبًا للنجاة من الاضطهادات وتجنُّبًا للمشاكل، تمامًا كما فعل خلفُه مار ياوالاها الخامس (١٥٧٦– ١٥٨٠). ثمّ نُقل الكرسي البطريركيّ من سعرت إلى أورميا وَسَلماس في أذربيجان، وبقي هناك حتّى عام ١٦٦٢، وعندها قام البطريرك مار شمعون الثالث عشر دنخا (١٦٦٢– ١٧٠٠) بالانفصال من جديد والعودة إلى النسطوريّة، وانتقل مع أتباعه إلى قوجانس في جبال كوردستان حيث استقرّ الكرسي البطريركيّ النسطوريّ حتّى الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤– ١٩١٨). ويُلاحَظ أنّ كنيسة المشرق كانت قد حاولت في مناسبات سابقة الاتِّحاد بروما، وترجع المحاولة الأولى إلى حقبة المغول في عهد البطريرك سبريشوع الخامس (١٢٢٦– ١٢٧٥) الذي استقبل أوّل راهب دومنيكانيّ، وأرسَل عام ١٢٤٧ مَن يُمثِّله لدى البابا إنّوسنت الرابع (Innocenzo IV) (١١٩٥– ١٢٥٤)، وهو الراهب شمعون الشهير بِـ: "عَطا" مُزوِّدًا إيّاه برسالتَي المجاهرة بالإيمان (العقيدة الكاثوليكيّة) وطلب الاتِّحاد بروما.

أمّا المحاولة الثانية فقد جاءت زمن البطريرك مار ياوالاها الثالث المغوليّ الأصل، الذي أرسل الراهب بَر صَوما الصينيّ الأصل لإرساء دعائم الوِفاق مع الأمير المغولي أراغون. غير أنّ كلتا المحاولتَين باءتا بالفشل[٢٦].

في عام ١٦٨٢ اعتنق الأسقف النسطوريّ يوسف (أسقف ديار بكر) العقيدة الكاثوليكيّة، واستطاع الحصول على فرمان (مرسوم ملَكي) صادر عن السلطان العثمانيّ يُعرِّفه بوصفه بطريركًا لِديار بكر وماردين وما حولهما، وأنّ سلطته مستقلّة عن سلطة البطريرك النسطوري[٢٧]. ثمّ أسبغ عليه البابا في العام التالي (١٦٨٣) لقب بطريرك الكلدان. غير أنّ مار يوسف الأوّل (١٦٨٢– ١٦٩٥) بات مُنهَكًا بسبب المضايقات الكثيرة التي جعلته يتّجه إلى روما ليقدِّم استقالته بعد أن تمّ تعيين خلفٍ له، وهو

[25] GIAMIL, S., GR, p. 205 ss.
[26] Cfr. TISSERANT, E., art. Nestorienne, in DTC, t. XI (1931), coll. 218-222.
[27] Cfr. GR, P. 205 SS.

الأسقف يوسف صليبا الذي اتّخذ اسم يوسف الثاني (١٦٩٥– ١٧١٣)، واعترفت به روما عام ١٦٩٦ فَنودِيَ به بطريركًا للجماعة الكلدانيّة[٢٨].

أمّا خلفه يوسف الثالث (١٧١٣– ١٧٥٧) فقد عقد اتّفاقيّة ثنائيّة مع البطريرك النسطوري مُصادَق عليها من قِبل الباب العالي في القسطنطينيّة؛ وهي تخوِّل البطريرك النسطوريّ أن يحتفظ بمقرِّه في كلٍّ من الموصل وحلب، وتخوِّل في الوقت ذاته البطريرك الكاثوليكيّ أن يحتفظ بمقرِّه في كلٍّ من ديار بكر وماردين[٢٩].

واعتلى كرسي البطريركيّة من بعده خلفُه يوسف الرابع (١٧٥٧– ١٧٨١)، غير أنّ عهده لم يدم طويلاً؛ فقد تعيّن عليه أن يستقيل عام ١٧٨١ تاركًا إدارة شؤون البطريركيّة إلى ابن أخيه أوغسطين هندي (١٨٠٤– ١٨٢٨) الذي لم تعترف به روما، لكنّه مع ذلك استمرّ في إدارة شؤون الكلدان الكاثوليك في ديار بكر حتّى وفاته[٣٠].

في الخامس من تمّوز ١٨٣٠ قام البابا بيوس الثامن (Pio VIII) (١٧٦١– ١٨٣٠) بتنصيب أسقف الموصل مار يوحنّا هرمز الذي كان منذ وقت قصير قد عاد إلى الاتِّحاد مع روما –وهو ابن أخ البطريرك النسطوريّ مار إيليّا الثامن إيشوعياب (١٧٧٨– ١٨٠٤)– بطريركًا لبابل على الكلدان؛ فاتّخذ الموصل مقرًّا لكرسيّهِ حيث توفّاه الأجل عام ١٨٣٨[٣١]. ومنذ ذلك الحين حتّى يومنا هذا تتابعت سلسلة البطاركة الكلدان الكاثوليك بتسمية: "بطريرك بابل على الكلدان".

ظلّت الموصل مقرّ البطريركيّة الكلدانيّة منذ عام ١٨٣٠ حتّى عام ١٩٥٠. وقد تعاقب طوال تلك المدّة على اعتلاء الكرسي البطريركيّ بعد مار يوحنّا هرمز ستّ بطاركة كبار: مار نيقولاوس الأوّل زيعا (١٨٤٠– ١٨٤٢)، مار يوسف السادس أودو (١٨٤٨– ١٨٩٤)، مار عبديشوع الخامس خيّاط

---

[٢٨] المصدر ذاته، ص ٢٠٧، ٣١٤، ٣٣٩ وما بعدها.

[٢٩] المصدر ذاته، ص ٣٤٥ وما بعدها.

[٣٠] المصدر ذاته، ص ٣٧٥، ٣٨٣، ٣٩١ وما بعدها.

[٣١] المصدر ذاته، ص ٣٩٤ وما بعدها.

(١٨٩٥– ١٨٩٩)، مار يوسف عمّانوئيل الثاني توما (١٩٠٠– ١٩٤٧)، ومار يوسف السابع غنيمة (١٩٤٧– ١٩٥٨)[٣٢]. تمّ نقل الكرسي البطريركيّ إلى بغداد عاصمة العراق في عهد البطريرك مار يوسف السابع غنيمة؛ نظرًا لأنّ البطريرك كان عضوًا دائمًا في مجلس الأعيان، مُعيدًا بذلك صورة المقرّ القديم والمتألِّق – لقرونٍ خلَت– في سلوقية وقطيسفون حيث تعاقب البطاركة واحدًا تلو الآخر منذ العصر العبّاسي[٣٣]. يجلسُ على كرسي البطريركيّة منذ عام ١٩٥٨ صاحب الغبطة البطريرك مار بولس الثاني شيخو (١٩٠٦– ...)[٣٤] الذي يتّخذ من بغداد مقرًّا لإقامته، والمعترف به رئيسًا للكنيسة الكلدانيّة في العراق ودول الشرق الأوسط والعالم.

للكنيسة الكلدانيّة في العراق تسعُ أبرشيّات:

- الأبرشيّة البطريركيّة في بغداد
- أربع أبرشيّات كبرى في: البصرة، الموصل، كركوك، أربيل.
- أربع مطرانيّات في: زاخو، العماديّة، عقرة، ألقوش.

فضلاً عن أبرشيّة شاغرة حاليًّا، وهي أبرشيّة السليمانيّة التي يُديرها –مؤقّتًا– مدبِّر بطريركيّ. أمّا في إيران فتوجد ثلاث أبرشيّات كبرى: العاصمة طهران، أُورميا وسلماس في الشمال، والأهواز في الجنوب. في حين لم يتبقَّ في تركيا غير مركز واحد كبير باسم ديار بكر ومقرّه اسطنبول، وذلك بعد أن اختفت تمامًا أربع أبرشيّات كانت مزدهرة فيما مضى، وهي: ديار بكر، سْعرت، ماردين، والجزيرة. غير أنّها مُحِيَتْ بسبب المجازر التي تعرّض لها المسيحيّون خلال الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤– ١٩١٨).

في سوريا هناك أبرشيّة واحدة مقرّها حلب.

في لبنان هناك أبرشيّة واحدة مقرّها بيروت.

---

[٣٢] المصدر ذاته، ص ٤٠٠ وما بعدها.

[٣٣] انظر: أعلاه، ص١٧.

[٣٤] (١٩٠٦– ١٩٨٩)، كان صاحب الغبطة وقت إعداد الأطروحة ما يزال على قيد الحياة، لذلك ارتأينا إدراج تاريخ الوفاة هنا وليس في المتن.

في مصر هناك أبرشيّة واحدة مقرّها القاهرة. في الولايات المتّحدة الأمريكيّة هناك أبرشيّة واحدة مقرّها ديترويت في ولاية مشيغان تحمل اسم القدّيس توما الرسول لديترويت الكلدان. وهناك أربع وكالات بطريركيّة في: فلسطين/ القدس، فرنسا/ باريس، استراليا/ سدني، بلجيكا/ بروكسيل لبلدان البنلوكس (Benelux) والدول الاسكندنافيّة حيث توجد جالية ضخمة هاجرت من تركيا ودول الشرق الأوسط. أمّا في روما فتوجد مفوّضيّة بطريركيّة لدى الكرسي الرسولي (الفاتيكان) يُديرها نائب بطريركيّ، وهي تُعنى بشؤون الكلدان المقيمين في روما وإيطاليا بأكملها.

كلمة أخيرة بشأن الكنيسة الكلدانيّة في الهند، والتي يُطلق عليها اليوم اسم الكنيسة الـ "ملّباريّة": من المعروف أنّ هذه الكنيسة كانت تابعة لكرسي البطريركيّة الكلدانيّة حتّى الاحتلال البرتغالي في أواخر القرن الخامس عشر. في عام ١٥٩٩ أُخضِعَ كلدان منطقة ملَّبار لصلاحيّات رهبان لاتينيّين غربيّين، حاولوا أن يجعلوا الكلدان الملّبار يتحوّلون إلى الطقس اللاتينيّ، وكانت تلك المحاولات تتمّ أحيانًا بالقوّة. وفي عام ١٨٧٧ كانت هناك محاولات لاستعادة العلاقات المقطوعة مع كرسي بابل للكلدان، ولاسيّما في عهد البطريرك مار يوسف السادس أودو، غير أنّ تلك المحاولات باءت كلّها بالفشل. وفي ٢ كانون الأوّل عام ١٩٢٣ منح البابا بيوس الحادي عشر (Pio XI) (١٩٢٢- ١٩٣٩) كنيسة السريان.

الملّبار دستورًا نهائيًّا بإقرار نظام المراتب المحلّي، جاعلاً محافظة ايرناكولام (Ernakulam) مقرًّا رئيسًا يضمّ ثلاث أبرشيّات، وهي: ترِشور (Trichur)، كوتايام (Kottayam)، شانكانا شيري (Changanacherry)[٣٥].

[35] GR, P. 552 SS.; MINGANA, A., Early spread of Christianity in India, in Bulletin of the John Rylands Library, X (1926); BELTRAMI, G., op. cit., p. 86 ss.; TISSERANT, E., art. Syro-Malabare (L' Église), in DIC, t. XIV (1942), coll. 3089-3162.

أمّا اليوم فإنّ الكنيسة الملّباريّة هي كنيسة مستقلّة تتمتّع بنظام مراتب كَنسيّ خاصّ بها، على الرغم من احتفاظها بالطقس الكلدانيّ. وبفضل صحوةٍ ثقافيّة للكنيسة ممثَّلة بالجماعات الرهبانيّة (الرهبانيّات) وبالأجيال الجديدة؛ فإنّ هناك رغبة بالعودة إلى الجذور وإحياء الوشائج التي وحّدت الكنيستَين على مدى قرون، ابتغاءَ تمجيد الله وخير الكنيسة.

الفصل الثاني

نشأة الحياة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانيّة

يُعتقد أنّ نظام الترهُّب نشأ في مصر على يدَي كلٍّ مِن الناسك أنطونيوس (ت ٣٥٦ م)، والراهب باخوميوس (ت ٣٤٦/٣٤٧ م)، وانتشر في فلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين وقبادوقية والغال وأفريقيا. ولٰكن من المؤكّد أنّ حياة الترهُّب ظهرت في كنيسة المشرق متزامنةً مع ظهورها في مصر وفي أقاليم شرقيّة أخرى. غير أنّه من الصعب تقدير طبيعة وماهيّة الترابط والتفاعل المشترك بين هذه الأنظمة الرهبانيّة المختلفة؛ نظرًا لِشحّة الوثائق التاريخيّة التي ترقَى إلى القرون الأولى للمسيحيّة في هذه الأقاليم.

غير أنّ شيئًا واحدًا فقط يبدو واضحًا جدًّا، وهو أنّ الروحانيّة العامّة لتلك الرهبانيّات جميعًا هي روحانيّة مُستوحاة من الإنجيل، وقائمة عليه وعلى شخص المسيح، وذلك هو ما يمنحها خصائصها المميَّزة ويجعلها لا تقبل بمؤثِّرات غريبة المنشأ عن المسيحيّة، شأن نُسّاك سيرابيس[٣٦]، أو البوذيّة، أو الديانات الأخرى المنحدرة عن الهندوسيّة، أو التيّارات التزهُّديّة المختلفة التي تعود إلى الديانة اليهوديّة من أمثال "المعالِجين" (Terapeuti)[٣٧] و"الأسّينيّين" (Esseni)[٣٨]، أو تيّارات الأفلاطونيّة الحديثة والغنوصيّة والمانَويّة وغير ذلك ممّا حاول عدد من النقّاد البروتستانتيّين إثباتَه؛ فقد اتُّجِهَ إلى البحث عن جذور الترهّب قبل معرفة ماهيّة ذلك الترهّب وغايته.

---

[٣٦] سيرابيس (Serapis): كانت إحدى آلهة الإغريق التي وصلت عبادتها إلى مدينة ممفيس في مصر تحت حكم البطالمة (٣٠٦– ٣٠) ق.م.

[٣٧] المعالجون: هو الاسم الذي أُطلق على الرهبان اليهود الذين كانوا منتشرين في مصر.

[٣٨] الأسّينيّون: طائفة عبرانيّة (يهوديّة) فلسطينيّة ترقى إلى القرنين الأوّل والثاني قبل الميلاد حتّى القرن الأوّل الميلاديّ. وقد عُرفت بتقشُّفها الصارم، وكان أبناؤها يعيشون في جماعات بعيدًا عن المدن، تحكمهم قواعد للحياة، وكان لهم نظام هرَميّ للمناصب وشعائر دينيّة خاصّة بهم، كما يظهر من خلال النصوص التي تمّ العثور عليها حديثًا في قُمران على الضفاف الشماليّة الغربيّة للبحر الميّت.

إنّ خصوصيّة الحياة الرهبانيّة المسيحيّة تظهر بجَلاء من خلال الدواعي المسيحيّة التامّة؛ فقد أُريدَ لتلك الحياة أن تكون على وفق طلب المعلِّم الإلهيّ: "اتّباعه"، اقتداءً ببتوليّته وبتجرُّده عن أيّة غاية أرضيّة وبخضوعه لمشيئة الآب ومحبّته له. فكان السعي إلى مشاركته ذلك السرّ بالاتّحاد بشكل خاصّ بصليبه، عبر ممارسة عدد من أفعاله، مثال ذلك: عزلته في الصحراء، صومه، معركته ضدّ الأرواح الشرّيرة، والأوقات الطويلة التي كان يُمضّيها في الصلاة. لقد أُريدَ الاستجابة إلى نداء الندم على الخطيئة والتوبة عنها، وتغيير أُسلوب الحياة وطبيعة التفكير الذي نتجت عنه تلك الحياة. وأُريدَ كذلك أن يتحقّق بشكل جذريّ ذلك الوعد الذي اُلتُزِمَ به في المعموديّة، والحصول المؤكَّد على غفران الخطايا، ونَيل الروح القدس بشكل كامل، واكتساب نعمته الوافرة، والدخول معه في تلك العلاقة التي تربط العروس بعريسها، تلك العلاقة التي يتحدّث عنها الإنجيل ويذكرها القدّيس بولس في رسائله ويخبرنا بها سِفر الرؤيا. فضلًا عن إظهار القدرة على التألُّم من أجله شأنَ الشهداء، وخدمة كنيسته بالكرَم ذاتِهِ الذي أظهره تلاميذُه الأوائل. تأتي هٰذه الأمور كلّها بشكل مباشر من الإنجيل ومن كتابات الرسُل.

وبناءً على ذلك، فإنّ ما يوجد من وحي إنجيليّ في الرهبانيّة المسيحيّة لا علاقة له بالبُنَى الحياتيّة الموجودة في أديان أخرى، والتي تلبّي حاجات عدد من الأشخاص للاتّحاد بطُرق مختلفة بالجلال الربّانيّ الذي يرومونه. بل أن الحياة الرهبانيّة تجسِّد الدوافع التي تترجم بطرُق شتّى تعلُّقًا خاصًّا بشخص يسوع، ورغبةً ذاتيّة بالمشاركة العميقة في عمل الخلاص الذي أتمّه الآب في يسوع من خلال روحه القدّوس. فمِن غير عمل المسيح لم تكُن لِتوجَد رهبانيّةٌ مسيحيّة. وهي بشكلها الذي وُجِدت عليه لا يُمكن أن تُفسَّر من خلال عدد من التيّارات الفلسفيّة أو بتأثير عدد من الأديان.

أوّلاً: الرهبان

المسيحيّة الكلدانيّة في أصولها الأولى مَوسومة بنزعة صارمة نحو التزهُّد، ويظهر ذلك غالبًا بشكل مكابَدة أُواخريّة، وهو مطابق للمضمون الروحي ثنائيّ الأبعاد الذي تعيشه. إنّ البتوليّة هي المثال الأسمَى في الحياة المسيحيّة، والتي يُراد بها معنَى الاتّحاد بالمسيح. إنّ أوّل ظهور للحياة الرهبانيّة يتمثّل– بالفعل– بالنسّاك الذين كانوا يعيشون حياة البتوليّة، وهم الذين أُطلقت عليهم بالتحديد تسمية "**ܒܢܝ̈ ܩܝܡܐ**"

أي: "أبناء العهد"، وأقدمُ شاهدٍ عليهم هو أفراهاط[٣٩] الناسك، ومن المحتمل أيضًا أنّه كان أسقفًا، وقد عُرِف بـ "الحكيم الفارسيّ" من خلال كتابه "ܬܚܘܝܬܐ" أي: "الأدِلَّة"[٤٠] الذي كان قد كُتب ما بين ٣٢٧-٣٤٥م.

كان أفراهاط الذي يُمثِّل أحد أبناء العهد قد تحدّث في المقالة السادسة عن هؤلاء النسّاك "ܒܢܝ ܩܝܡܐ"، مقدِّمًا لنا الشهادة الأولى عن الحياة النُسكيّة التي كانت موجودة ومنتشرة منذ ذلك الوقت في كنيسة المشرق. كان أبناء العهد هؤلاء يمثّلون جماعة المتزهّدين المتبتّلين من كلا الجنسَين، وكان يُطلق على الجماعة النسائيّة "ܒܢܬ ܩܝܡܐ" أي: "بنات العهد"، وهم جميعًا (كلتا المجموعتَين) مرتبطين ارتباطًا وثيقًا بحياة الكنيسة وبطقوسها، ويمتازون عن المؤمنين المسيحيّين الآخرين بالتزامهم بـ "العهد" على الحياة الدينيّة. كانوا يُمارسون أفعالاً تقشّفيّة، ويواظبون على الصوم والصلاة وقراءة الكتاب المقدّس، فضلاً عن التزامهم الصمت ومساعدة الفقراء بما تيسَّر لهم من مَتاع هو نِتاج أيديهم. وكانوا يعيشون في جماعات (في مساكن جماعيّة) وبيوت تقع حول الكنائس، في ظلّ رقابة وتوجيه الكهنة والشمامسة. ولكن لا يبدو أنّهم كانوا يُجاهرون بنذور أو يلتزمون بها، سوى نذر البتوليّة أو العفة، حتّى أنّ أفراهاط كان يُسمِّيهم "ܒܬܘܠܐ" أي: "المـُتبتِّلين"، وكذلك " ܐܝܚܝܕܝܐ" أي: "المتوحّدين أو المترهّبين"[٤١].

ويُطلِق كتاب الرسامات الكلداني وكتاب مجموعة قوانين مار عوديشو النصيبينيّ (ت ١٣١٨ م) على الرهبان تسمية "ܐܝܚܝܕܝܐ" أي: (متوحّدين)، وكذلك "ܢܟܝܕܐ" أي: (متزهّدين). وتختلف التسميات تبعًا لاختلاف أنواع الرهبان، مثال ذلك: "ܕܝܪܝܐ" أو "ܥܘܡܪܝܐ"، ويُطلَق عليهم عمومًا تسمية "ܐܚܐ" أي (إخوة)، "ܢܙܝܪܐ" أي (الزاهدين)، وكذلك "ܚܒܝܫܝܐ" أي: (الحُبَساء)،

[39] Cfr. VÖÖBUS, A., History of Asceticism in the Syrian Orient, CSCO, 184, Subsidia 36, Louvain 1958, pp. 97-102, 173-208; ORTIZ DE URBINA, I., Patrologia Syriaca, 2a ed., Roma 1965, pp. 45-51;

أبونا، ألبير، أدب اللغة الآرامية، بيروت ١٩٧٠، ص ٧١-٧٦.

[40] Aphraatis Demonstrationes, ed. J. PARISOT, in Patrologia Syriaca, 2 vol., Paris 1894, 1907.

[41] Cfr. JARGY, S., Les Fils et les Filles du Pacte dans la literature monastique syriaque, in Orientalia Christiana Periodica, XVII (1951), pp. 304-320.

والذين- تبعًا لطبيعة حياتهم- كانوا يُسَمَّون "**ܚ̈ܒܝܠܐ**" أي (الخاطئين) و "**ܡܚܒ̈ܒܐ**" أي: (المعتزلين)[٤٢].

وكانت جماعة "**ܒܢܝ̈ ܩܝܡܐ**" (أبناء العهد) قد ذُكرت من قِبل مار أفرام (٣٠٦ - ٣٧٣) م بوصفِها جماعة أخويّة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالكنيسة، وهي تابعة (للاكليروس)[٤٣]. قارن مار أفرام -الراهب المتنسِّك- الحركة النُسكيّة (الرهبانيّة) التي وُجدت في عصره بـ "فيلق من الجيش على الجبال"[٤٤]. والمراد به بالطبع النظام النُسكيّ (الرهبانيّ) الذي استوطن الجبال، واتّخذ له مأوى بين الصخور أو الشقوق أو الثغور الموجودة في الجبال أو في الحُفَر أو في الصحارى[٤٥].

اتّسمت الحياة الرهبانيّة الفتيّة في كنيسة المشرق بالعُزلة والصمت والاختلاء في الصحراء، بعيدًا عن العالم وعن المدَنيّة. وكان هؤلاء الرهبان "يعيشون في أوقات استثنائيّة حياة جماعيّة بصحبة اثنين أو ثلاث إخوة، وما عدا ذلك فهم منعزلون، كلٌّ يعيش بمفرده بعيدًا عن الآخر"[٤٦]، كانوا يعيشون منفردين ويموتون وحيدين. وغالبًا ما كان يُعثر على رُفاتهم بعد عدّة أعوام من وفاتهم. ويقول مار أفرام -على وفق بعض المصادر المنسوبة اليه- إنّ الملائكة كانوا يدفنون جثث أولئك الرهبان المتنسِّكين في الصحارى وعلى الجبال، ويسهرون على حماية رُفاتهم. ظهرت في أواخر القرن الرابع للميلاد البوادر الأولى لأشكال الحياة الرهبانيّة (حياة التنسُّك والعُزلة) التي حظيت بانتشارٍ ونموٍ كبيرَين؛ ويرجع ذلك لثلاثة أسباب:

---

[42] Cfr. ASSEMANUS, I. S., Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana, III, 2, nuova ed., G. Olms, Hildesheim- New York 1975, p. 857 ss.
[43] Cfr. BECK, E., Ascéticisme et Monachisme chez Saint Ephrem, in OS, III (1959), pp. 273-299.
[44] Cfr. VÖÖBUS, A., Le Reflet du Monachisme primitive dans les écrits d'Ephrem le Syrien, in OS, IV (1959), p. 302.

[٤٥] المصدر نفسه.

[٤٦] المصدر نفسه.

١- الحركة التي جاءت من مصر مع مار أوجين الشهير بـ "أبي الرهبان"، متمثّلة بسلسلة من التأسيسات الرهبانيّة في شَمال بلاد ما بين النهرين، مثال ذلك: بيت زبدي، قردو، داسين، حكّاري.

٢- حركة الزهّاد اليونانيّين الذين تمّ إقصاؤهم عن بلادهم في عهد الامبراطور فالينتي (Valente) ٣٦٤-٣٧٨، فاستوطنوا جبل مقلوب وانتشروا في بيث نوهدرا.

٣- تكوُّن نوع من الحياة الرهبانيّة المحليّة، ولاسيّما حول مناطق الاستشهاد والمعابد أو المزارات[٤٧].

تُعَدّ الفترة الممتَدّة ما بين القرنين الخامس والسابع الميلاديّين العصر الذهبي لنشوء الرهبانيّات. فقد ورد في جدول عام ١٦٠٧ أنّ "عدد الأديرة كان يربو على مئة دير"[٤٨]. وقد جمع جان موريس فييه أكثر من ثلاثمئة اسم للأديرة[٤٩]. وكانت قد وصلت إلينا لائحة رسميّة تحمل أسماء أكبر "آباء الرهبان" ومؤسِّسي الرهبانيّات، وهي محفوظة في مخطوط لأحد كُتب الإنجيل للقراءة الطقسيّة يحتفظ به المتحف البريطانيّ، وربّما يرقى ذلك المخطوط إلى عام ١٠٧٤ م. وهؤلاء هم: إبن كسرى، ميخائيل وجبرائيل في آشور؛ أوراهام، داديشوع، باواي، عَوديشوع وإرميا في جبل إزلا؛ صَوريشوع، إيشوعياب، ياقو، أدونا، صليوا وإبنيماران في با نوهدرا؛ ياقو من بيث عاوي، بَر حذبشبّا، قاميشوع، أبريم وبارعيتا في مَرجا، ودازين؛ عَوديشوع، إيشوع زَهيا، سركيس دي حْنَيتا وأوراهام النَتباريّ في حدياب[٥٠].

وفيما يتعلّق بعدد الرهبان، فإنّ ما يورده جان موريس فييه يُعدّ جديرًا بالاهتمام، وهو يستند إلى نصّ يرقى إلى حوالي عام ٥١٥ م، مفاده أنّ ثُلث الشبّان الكلدان كانوا يدخلون الرهبانيّات، وهو أمر لا يُثير

---

[47] FIEY, J. M., Assyrie Chrétienne, II, pp. 822-824.

[48] GR, p. 517.

[49] Cfr. FIEY, J. M., Assyrie Chrétienne, 3 vol. Beyrouth 1959, 1965, 1968; Mossoul Chrétienne, Beyrouth 1959; Jalons pour une Histoire de l'Église en Iraq, CSCO, Louvain 1970; Médie Chrétienne, in Parole de l'Orient, I (1970), pp. 357-384.

[50] Cfr. AC, I, pp. 15-16; MOUSSESS, C., Les Livres liturgiques de l'Église Chaldéenne, Beyrouth 1955, pp. 25-26.

الدهشة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ جبلاً صغيرًا (وهو جبل مقلوب) كان قد استحقّ لوحده اسم "جبل الأُلوف"[٥١].

ولكي نبتعد عن الإطالة غير المجدية فإنّنا لن نتوقّف عند هذه الأديرة كلّها ولا المؤسِّسين بأسرهم، لكنّنا نُحيل القارئ إلى المؤلّفات المتقَنة للعلاّمة ولمؤرِّخ الكنيسة الكلدانيّة: الأب الدومنيكيّ جان موريس فييه الذي عاش في العراق[٥٢]. غير أنّنا –في الوقت نفسه– لا نستطيع إغفال عددمن الأسماء التي منحت الحياة والنموّ للترهُّب الكلدانيّ.

أمّا التقليد الذي ينسب نشأة الحياة الرهبانيّة إلى الراهب مار أوجين[٥٣]، ذلك الشيخ الذي كان يحترف صيد اللؤلؤ في جزيرة كلزما (Klysma) بالقرب من السويس، والذي يُقال إنّه جاء من مصر إلى بلاد ما بين النهرين بصحبة سبعين راهبًا، بعد أن تتلمذ بِدَوره على يد باخوميوس، فإنّه يفتقر إلى أُسس جادّة وقويمة؛ فالنصوص المدوّنة ما بين القرنين الثامن والتاسع لا تمتلك قيمة تاريخيّة فيما يتعلّق بأحداث القرن الرابع للميلاد[٥٤]. ولكن من المؤكّد أنّ مار أوجين كان في وقتٍ ما من القرن الرابع قد "حلّ في جبلَ إزلا وأنشأ هناك ديرًا نال شهرةً فيما بعد، وأنّ حشودًا غفيرة من الإخوة كانت تجتمع حوله"[٥٥]. أمّا أخبار سعْرت فإنّها تذكر –فضلاً عن هذه الأديرة– تأسيسات سبقت القرن الرابع، منها: دير قوني الذي أنشأه عبدا، ودير صليوا، وأديرة أخرى عديدة كانت قد أُنشئت مِن قِبل عَوديشو تلميذ عَبدا، منها دير يقع في

---

[51] AC, I, p. 14-15.

[٥٢] انظر: البيبليوغرافيّا (جريدة المصادر والمراجع).

[53] AMS, III, p. 376 ss.

[54] Cfr. LABOURT, H., Le Christianisme dans l'Empire Perse sous la dynastie sassanide (244-632), Paris 1904, pp. 302-315; Histoire de l'Église, A. FLICHE - V. MARTIN, vol. 3, Bloud et Gay 1945, p. 347; TISSERANT, E., art. Nestorienne (L' Église), in DTC, t. XI (1931), coll. 184; VÖÖBUS, A., Le Reflet du Monachisme primitive dans les écrits d'Ephrem le Syrien, in OS, IV (1959), p. 289; HASO, p. 217.

[55] LC, n. 1, Cfr. FIEY, J. M., Nisibe métropole syriaque orientale et ses suffragants dès origines à nos jours, CSCO, 188, Subsidia 54, Louvain 1977, pp. 134-141.

جزيرة بالقرب من البحرين، ودير آخر بالقرب من الحيرة. وقد كان كِلا البطريركَين آحاي (٤١٠– ٤١٤ م وياوالاها الأوّل (٤١٥– ٤٢٠) م أصلاً راهبَين في دير قوني[٥٦].

وسرعان ما دبَّ الضعف في مفاصل النظام الرهبانيّ جرّاء نَسطرة كنيسة المشرق التي كانت أمرًا قسريًّا أحيانًا على يد السلطات الفارسيّة، وذلك بتحريض مِن قِبل برصوما أسقف نصيبين (٤١٥– ٤٩٦) م. وكان أن أبطلَ سينودس آقاق عام ٤٨٦ م وجوب التزام البتوليّة في جميع درجات الهرَم الاكليريكيّ "بدءًا بالبطريرك وانتهاءً إلى آخر فرد في آخر رُتبة كهنوتيّة"، حتّى الرهبان والديرانيّات المتوحِّدات، فالجميع كانوا أحرارًا في الإقدام على الزواج. أمّا الذين كانوا يُريدون الالتزام بالحياة البتوليّة فكان عليهم الإقامة في الأديرة[٥٧]. وأحدثَ هذا الأمر أزمة في الدعوات الرهبانيّة أفضت إلى انخفاض في عدد الرهبان. واستمرّت هذه الأزمة حتّى أوائل القرن السادس، على الرغم من الجهود التي بذلها البطريرك الكبير مار آوا الأوّل (٥٤٠– ٥٥٢) م لاستعادة النظام الأصليّ للحياة الرهبانيّة.

وفي منتصف القرن السادس ظهر المصلح الكبير أبراهيم الكشكري (٤٩١– ٥٨٨) م الذي خُلِّد ذكرُه بلقب "الكبير" و "أبي الرهبان" بفضل الدعم القويّ الذي استطاع أن يمنحه لتطوير نظام الترهّب النُسكيّ. كان أبراهيم تلميذًا في مدرسة نصيبين، ثمّ عمل مُرسَلاً في الحيرة وقصدَ صعيد مصر وذهب إلى سيناء. وفي عام ٥٧١ م اعتكف في جبل إزلا بالقرب من نصيبين، وهناك أنشأ ديرًا عُرف فيما بعد باسم "الدير الكبير"، وعُدَّ الدير الأمّ للحياة النُسكيّة المصلَحة[٥٨].

وبطلب من شمعون متروبوليت نصيبين قام أبراهيم– يُساعده تلميذُه وسَمِيُّه أوراهام النَتباريّ (Awraham di Natpar) (٥٠٠– ٥٥٠ م– بوضع قوانين للرهبانيّة بُغيةَ تنظيم الممارسات التزهّديّة والواجبات الدينيّة وقواعد السلوك التي كان على الجماعة الجديدة أن تتّبِعَها[٥٩].

---

[56] CS, in PO, t. V, pp. 195-200, trad., pp. 307-312; p. 209, trad., p. 321; p. 212, trad., 324.

[57] SO, can. III, pp. 56-59, trad., 302-206.

[58] CS, in PO, t. VII, pp. 41-43, trad., 133-135; LC n. 14; HM, II, pp. 37-42; MARIS, AMRI et SLIBAE, De Patriarchis Nestorianorum commentaria, p. 47, 52, trad., p. 41, 46.

[59] Regulae monasticae saeculo VI ab Abramo fundatore et Dadjesu rectore conventus Syrorum in Monte Izla conditae,

تقوم الحياة الرهبانيّة في الدير على الصلاة والعمل، وكان على الرهبان التزام صوامعهم (قلاّياتهم) في خلوة وصمت، مُنصرفين إلى الصلاة والتأمُّل والقراءة وتلاوة الفرض (صلاة الساعات). ولم يكن ممكنًا لأحدٍ أن يكسر الصوم إلاّ بسبب المرض أو لأجل تأدية واجب استقبال الحُجاج الوافدين إلى الدير، أو بعد سفرٍ طويل. أمّا العمل الذي كان على الرهبان القيام به فهو يتمثّل بالأشغال اليدويّة كالزراعة وجني العنب من الكروم وحصاد القمح وما إلى ذلك من المواسم. أمّا الذين كانوا أكثر مهارة من غيرهم فكانت تُوكَل إليهم مَهَمّة نسخ الكتب لضمان إمكانيّة انتشارها وتداولها. وأخيرًا، فقد كان الرهبان يُمنعون منعًا باتًّا من ممارسة حياة التسكُّع أو التجوُّل ما بين الأديرة وفي القُرى، أو الذهاب إلى المدينة بغير إذن من الجماعة الرهبانيّة التي كانوا ينتمون إليها.

فرض أوراهام نظام حلق شعر الرأس، كما أنّه غيّر الثوب الرهبانيّ لكي يُميِّز الرهبان عن الهراطقة، أي المونوفيزيّين (القائلين بطبيعة واحدة فقط للمسيح)، وعن جماعة عُرفت بالمُصَلِّين "ܡܨܠܝܢܐ"[60]. وعمومًا فالرهبان في مرحلة الراغبيّة كانوا يحلقون شعرهم، ويرتدون الإسكيم بعد خمسين يومًا، ثمّ يُمضون نحو ثلاث سنوات من الحياة الجماعيّة في الدير. بعد ذلك تُعرض عليهم ثلاثة اختيارات:

- **أوّلاً**: الاعتكاف في الصومعة، ويكون اعتكافًا جزئيًّا في بادئ الأمر يدوم لمدّة سنة، يُسمح خلاله للراهب بالاشتراك مع المجموعة فقط في صلاة الساعات والقدّاس. وبعد تلك المرحلة

النصّ الكلداني، والترجمة اللاتينيّة لِـ: J. B. CHABOT، موجودان في: Rendiconti della Reale Accademia dei Lincei، قسم العلوم الأخلاقيّة والتاريخيّة واللغوية، سلسلة ٥، ج ٧، ص ٣٩-٥٩؛ VÖÖBUS, A., Syriac and Arabic documents regarding legislation relative to Syrian Asceticism, Stockholm 1960, pp. 150-162; ID., Historty of the School of Nisibis, CSCO 288, Louvain 1965; FIEY, J. M., Nisibe, pp. 144-150.

[60] CS in PO, t. VII, p. 42 ss.، النصّ المترجم: ص ١٣٤ وما بعدها. المُصَلّون هم الذين عُرفوا باليونانيّة Euchiti، وكذلك Entusiasti، وهي تسمية مأخوذة عن السريانيّة (المصَلِّي). وهؤلاء كانوا طائفة دينيّة تحدّد كمال الإنسان بالصلاة، أو تحصره بصلوات تُتلى بصوت مسموع. وكانوا يرفضون الأسرار المقدّسة والصوم وأفعال التوبة وما إلى ذلك من الممارسات التقويّة. وكانت لهم اعتقادات هرطوقيّة فيما يتعلّق بسرّ الثالوث الأقدس وبشخص المسيح وبرسالته الخلاصيّة. انظر: BO, III, 1, pp. 100-102; VÖÖBUS, A., HASO, pp. 127-139، أبونا، ألبير، آداب اللغة الآرامية، ص ١٧٤-١٧٧.

تُصبح العزلة دائميّة ما عدا أوقات الأعياد الكبيرة، ويعيش الراهب في صمت تامّ ويقوم على خدمته أحد التلاميذ.

- **ثانيًا**: حياة الدير، وفيها يوزّع الطالب وقته على الدراسة والتعليم والمشاركة في جوق المرتّلين.
- **ثالثًا**: العمل في الحقل أو في مزارع الكُروم[٦١].

عملت حركة الإصلاح التدريجيّة على تغيير الحياة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانيّة[٦٢]. وسادت المنطقة روح جديدة، حتّى أنّ توما المرجيّ مؤلّف كتاب "الرؤساء" قال إنّ دير إزلا بات يمثّل للرهبان ما كانت تمثّله أثينا للفلاسفة[٦٣]. إثرَ وفاة أبراهيم الكشكري تسلّم شؤون إدارة الدير الكبير– من بعده– داديشوع (٥٨٨– ٦٠٤) م الذي قام بدوره بوضع قوانين جديدة[٦٤] لتنظيم الحياة اليوميّة للرهبان، جاعلاً من معرفة القراءة شرطًا للقبول في الجماعة الرهبانيّة، ومُحدِّدًا بثلاث سنوات الوقت اللازم قبل البدء بحياة التنسُّك (العُزلة)[٦٥].

أمّا الرئيس الثالث للدير فهو باواي الشهير بـ "الكبير" (٥٥٣– ٦٢٨) م، الذي كان تلميذًا فأُستاذًا في مدرسة نصيبين، ودخل الدير الكبير زمن المؤسِّس، ثمّ أصبح –كما أسلفنا– الرئيس الثالث لذلك المركز الرهبانيّ الذي غَدا –بفضل اسم وشهرة رئيسه– أهمّ دير للكنيسة الكلدانيّة. وعلى الرغم من كون باواي رجلاً متبحِّرًا في العلم[٦٦]، إلاّ أنّ عمله في الدير –أي في حقل الحياة الرهبانيّة– تخلّلته صعوبات ومعارضات كثيرة، وواجه خيبات أمل مريرة من جماعته الرهبانيّة. كانت صرامته وتغيّبه المستمرّ عن الدير بحُكم تعيينه مفتِّشًا عامًّا على الأديرة عام ٦٩٧ م مِن قِبل الجاثاليق غريغوريوس الأوّل سببًا في تبدُّد الإخوة، وفرصة مؤاتيةً للآخرين لتأسيس جماعات رهبانيّة جديدة[٦٧]. ولكن على الرغم من حالة التشتُّت

---

[61] BO, III, 2, pp. 857-860; LABOURT, H., Le Christianisme, p. 302 ss.; HENDRIKS, O., La vie quotidienne du moine syrien oriental, in OS, V (1960), pp. 293-330, 401-431.

[62] HM, I, p. 23.

[63] PO, t. VII, p. 63, trad., p. 155; LC, pp. 255-291.

[64] SAD, pp. 163-175.

[65] Ibid., can. 7, 13, p. 170.

[٦٦] يذكر عوديشوع النصيبينيّ في فهرسهِ عن باواي: "كُتبَهُ العديدة ومذكّراته" التي تبلغ زهاء ٨٣ أو ٨٤ مجلّدًا في مختلف المجالات، والتي فُقد مُعظمها، ولا نعرف عنها إلاّ عناوينها. انظر: BO, III, 1, p. 94; HM, p. 50

[67] Cfr. FIEY, J. M., Nisibe, p. 147.

والتشرذُم هذه، فإنّ باواي ظلّ ملتزمًا بتدبير شؤون الدير الذي خصّه بضوابط وقوانين جديدة وضعها له بالتحديد[٦٨].

ينحدر كبار مؤسِّسي الرهبانيّات في ذلك الزمن من الدير الكبير في جبل إزلا، شان ربّان بَرعيتا (؟ – ٦١٢) م الذي يُعَدّ "أوّل التلامذة"، وكان قد أسّس ديره في مركَا حوالي عام ٥٦٢ م[٦٩]، فضلاً عن إيليا الذي رحل برفقة عدد من الإخوة وأسّس دير مار إيليا المعروف كذلك بدير سعيد جنوب الموصل[٧٠]. وخلال الأعوام ٥٩٠– ٥٩٥ م غادر الدير الكبير للأسباب ذاتها مجاميع من الرهبان، وقاموا بإنشاء أديرة أخرى في أماكن متعدِّدة. أمّا أشهر هؤلاء الرهبان فكان مار ياقو الذي أنشأ عام ٥٩٥ م دير بيث عاوي الشهير[٧١].

لعبت هذه الأديرة جميعًا منذ أواخر القرن السادس وحتّى أوائل القرن السابع دورًا هامًّا في الحفاظ على المسيحيّة في كنيسة المشرق. فمن هذه الأديرة انطلق المرسَلون الكلدان الأوائل لتعليم مُواطنيهم الدين ولنشر الإيمان بين الشعوب حتّى أقاصي آسيا. وهكذا أضحت مدرسة نصيبين –وهي وريثة مدرسة الرها– ذاتَ شهرةٍ، وباتت تُعرف بمدرسة الفُرس، وقد تشكّلت فيها أُطر الاكليروس ومؤسِّسي الأديرة[٧٢]. كان نظام المدرسة رهبانيًّا بحتًا؛ فقد أُنشئت في دير، وكان أعضاؤها يُدعون بـ "الإخوة"، أمّا الطلاّب فكانوا

---

[68] SAD, pp. 176-184; ID., Historty of the School of Nisibis, p. 289 ss.

[69] Cfr. BUDGE, E. A. W., The Histories of Rabban Hormizd the persian and Rabban Bar ‘Idta, in Luzac’s Semitic Text and Translation Series, 2 vol., London 1902; FIEY, J. M., Autour de la biographie de Rabban Bar ‘Eta, in OS, XI (1966), pp. 1-16.

[70] Cfr. AC, II, pp. 639-659.

[٧١] نَقَل إلينا تاريخ هذا الدير الشهير توما المرجي في كتابه "كتاب الرؤساء"، الذي نشره E.A.W. BUDGE بعنوان: The Book of Governors، جزء ١، ٢، لندن ١٨٩٣ (النصّ الكلدانيّ والترجمة الانكليزيّة). قام الأب ألبير أبونا بترجمة الكتاب إلى العربيّة بعنوان: كتاب الرؤساء، الموصل ١٩٦٦، عن النصّ الكلدانيّ الذي كان قد نشره P. BEDJAN بالعنوان اللاتينيّ: Liber Superiorum seu Historia Monastica, Leipzig – Paris, 1901.

[72] Cfr. CHABOT, J.B., L’École de Nisibie, son histoire, ses statuts, in Journal Asiatique, IXe série, 1896, t. VII, pp. 43-93; VÖÖBUS, A., The Statutes of the School of Nisibis, Etse-Stockholm 1960; ID.,., The History of the School of Nisibis, CSCO 266, Subsidia 26, Louvain 1964.

يُقيمون في صوامع (قلاّيات)، وكانوا يُشاركون في صلاة الساعات، ولم يكُن مسموحًا لهم بالزواج، وإن فعلوا فإنّهم يُعاقَبون بإقصائهم عن المجموعة الرهبانيّة.

لقد قدّم نظام العمل الفكريّ في الأديرة وقايةً فُضلى لمسيحيّة المشرق من تسرُّبات أفكار جماعة عُرفت بـ"المصلّين"[٧٣]. وكانت مجامع الكنيسة الكلدانيّة قد أقرّت قوانين بحدِّ ذاتها لتنظيم الحياة الرهبانيّة وأنشطتها، وصادقت على اللوائح المعمول بها في الأديرة، وهذه المجامع هي: مار آقاق عام ٤٨٦ م[٧٤]، يوسف عام ٥٥٤ م[٧٥]، حزقيال عام ٥٧٦ م[٧٦]، إيشوعياو الأوّل عام ٥٨٥ م[٧٧]، ساوريشوع عام ٥٩٦ م[٧٨]، غريغوريوس الأوّل عام ٦٠٥ م[٧٩]، وكوركيس الأوّل عام ٦٧٦ م[٨٠].

كان مجمع سبريشوع الذي عُقد عام ٥٩٦ م مخصَّصًا بأكمله للحياة الرهبانيّة. وقد حفظ لنا الزمن وثيقتَين هامّتين من وثائق ذلك المجمع، تُلخِّصان روح الحياة الرهبانيّة وضوابطها في كنيسة المشرق. يتعلّق الأمر بادئ ذي بَدء بالرسالة التي كان قد كتبها ذلك الجاثاليق القدّيس إلى رهبان دير بَر قاييتي في جبل سنجار، الذين تخلّصوا بفضله من هرطقة المصلّين. جاء في الوثيقة التي كتبها مار سبريشوع ما نصُّه: "إنّ الطريق المؤدّي إلى الكمال قوامه أن يُخلِصَ المرءُ المحبَّةَ لله بكلِّ نفسهِ، وأن يُحبَّ إخوتَه البشر، وأن يكونَ نقيَّ الروح"[٨١]. ونقرأ في الوثيقة أيضًا: "ليست الصحراء هي التي تمنح القداسة، ولا حياة العُزلة هي التي تُؤهِّل المرء لنَيل الإلهام الإلهيّ، ولا التخلّي عن الماديّات هو الذي يقود إلى معرفة الروحانيّات، ولكنَّ

---

[٧٣] كانت قد اتُّخِذت إجراءات قانونيّة ضدّ المصلّين في سينودس حزقيال (٥٧٦ م)، SO, p. 115 ss., trad., pp. 375 – 274، وفي سينودس إيشوعياب (٥٨٥م)، المصدر نفسه: ص ١٤٤– ١٤٥، ترجمة، ص ٤٠٦، وكان باواي الكبير قد قاومهم بهمّة عالية. انظر: HM، ص ٥١–٥٣، ترجة، ص ٩١–٩٥.

[٧٤] مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، قانون ٢، ص ٥٥– ٥٦، ترجمة، ص ٣٠٢– ٣٠٣.

[٧٥] المصدر نفسه، ص ١٠١، ترجمة، ص ٣٥٩؛ ص ١٠٦– ١٠٧، ترجمة، ٣٦٤.

[٧٦] المصدر نفسه، قانون ٣٥، ص ١٢٧، ترجمة، ص ٢٨٦؛ قانون ٢٧، ص ١٢٥، ترجمة، ص ٣٨٤.

[٧٧] المصدر نفسه، قانون ٨، ص ١٤٤– ١٤٥، ترجمة، ص ٤٠٦– ٤٠٧.

[٧٨] المصدر نفسه، ص ١٩٦– ٢٠٧، ترجمة، ص ٤٥٦– ٤٧٠.

[٧٩] المصدر نفسه، ص ٢١١– ٢١٣، ترجمة، ص ٤٧٦.

[٨٠] المصدر نفسه، قانون ١٢، ص ٢٣٣، ترجمة، ص ٤٨٧.

[٨١] المصدر نفسه، ص ٢٠٠، ترجمة، ص ٤٦٢.

الصحراء تُوصل المرء إلى القداسة عندما يعكف الجسد والروح كلاهما على الحوار الإلهيّ. كذلك حياة العُزلة تجعل المرءَ أهلاً لِتَلقّي الإلهامات الإلهيّة عندما يتّجه الفكر بكلّ طاقته نحو الأفعال الإلهيّة. هٰكذا فقط يغدو التخلّي عن الماديّات مصدرَ غِنَى للفقراء الحقيقيّين، كما جاء على لسان الرسول "فقط عندما نتخلّى عن كلّ شيء فإنّنا نملك كلّ شيء". التنسُّك إذن جميل، والفقر مبجَّل، والحياة الرهبانيّة إنّما هي حياةٌ سامية كلَّ السموّ"[٨٢].

أمّا الوثيقة الثانية فتحمل عنوان "ميثاق وأعراف الإخوة الرهبان بَر قاييتي" لعام ٥٨٩ م. وفيها يقوم الرهبان –أصالةً عن أنفسهم ونيابة عن موكّليهم من الرهبانيّات المختلفة– بالمجاهرة باعتناق الأرثوذكسيّة، كما يُعلنون استعدادهم للعكوف كلّما سنحت لهم الفرصة على الصلاة، والالتزام بتلاوة الفرض (صلاة الصباح والمساء)، وترتيل مزامير داود، فضلاً عن الصوم وما إلى ذلك ممّا تُقرُّه قوانينهم الرهبانيّة ومبادئ دينهم. ويلتزمون بعدم الخروج من أديرتهم أو صوامعهم إلاّ عند الضرورة وبإذن من رؤسائهم الذين تمّ تعيينهم من قِبل البطريرك. ولا يجوز لهم التجوُّل في القرى والمدن إلاّ بإذن أولئك الرؤساء. أمّا في الأديرة حيث يسكن الذين لا يُقيمون بعدُ في صوامع مُنعزلة[٨٣] فيجب عليهم إقامة الأسرار المقدّسة كلّ يوم، والحصول على غفران الخطايا ونَيل الحلّة. وفي أيّام الآحاد والأعياد يجتمعون كلّهم (المقيمون في الأديرة والمقيمون في الصوامع) في الدير لتلاوة صلاة الساعات والقراءات المختارة من الكتب المقدّسة، ويبتهجون بالاشتراك في إقامة الأسرار الإلهيّة على وفق طقس الكنيسة، ثمّ يعودون إلى صوامعهم أو إلى أديرتهم، ويحاولون من صميم قلوبهم وبكلّ أنفُسهم أن يكونوا من خلال كلامهم وسلوكهم، ومن خلال الثوب الذي يرتدونه مدعاةَ تمجيدٍ لله القدير، وذَوي فائدةٍ لأنفسهم ولإخوتهم[٨٤].

سقطت الامبراطوريّة الساسانيّة عام ٦٣٧ م فهيمن المسلمون على المنطقة، لكنّ المسيحيّين لم يُعانوا كثيرًا بسبب هذا التغيير؛ فقد حاول العرب أثناء الفتوحات الأولى أن يكسبوا المسيحيّين (أهل الكتاب)

---

[٨٢] المصدر نفسه، ص ٢٠٤–٢٠٥، ترجمة، ص ٤٦٧.

[٨٣] كان مُعظم الرهبان يعيشون حياة مشتركة مع الجماعة لمدّة ثلاث أو أربع سنوات، ثمّ ينعزلون ليعيشوا بمفردهم في صوامع كانت تقع على مقربة من الدير. انظر: مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، ص ٦٤٦، حاشية ١.

[٨٤] مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، ص ٢٠٠– ٢٠٣، ترجمة، ص ٤٦١– ٤٦٥.

إلى جانبهم، نظرًا لحاجتهم إليهم في أُمور الإدارة. غير أنّ الكنيسة على الرغم من الارتدادات الكثيرة التي حدثت فيها لصالح الإسلام حافظت على حرِّيتها وحيويّتها، واتّسعت رُقعتها –كما رأينا سالفًا[٨٥]– حتّى أقاصي آسيا بفضل رُهبانها في الأساس.

كان إيشوعياب الثالث (٦٥٠– ٦٥٩) م، وهو المصلح الكبير للّيتورجيّا الكلدانيّة في القرن الثامن، قد استفاد من خدمات الرهبان في عمله الإصلاحي للّيتورجيّا؛ فقد كان الدير المعروف باسم "دَيرا علّيتا" أي الدير العالي –كما يُطلق عليه في العربيّة– ذا أهميّة خاصّة لهذا العمل الإصلاحيّ الكبير. وقد عُرف الدير كذلك باسم "دير مار جبرائيل ومار إبراهيم"، أو باختصار "دير مار جبرائيل"، وهو يقع على ضفاف نهر دجلة في مدينة الموصل، حيث عاش البطريرك الكبير مار إيشوعياب الثالث، حيث وضع نظامًا يكاد يكون نهائيًّا للّيتورجيّا المشرقية[٨٦].

كذلك كان طيموثاوس الأوّل الملقّب بـ "الكبير" قد استفاد بدوره من خدمات الرهبان ولاسيّما دير بيث عاوي في إدارة الأبرشيّات وفي مشاريع الرسالات التي بلغت أوجَها في عهده[٨٧]. لقد كان للفتح الإسلاميّ آثارًا عميقةً ومستديمة على كنيسة المشرق بشكل عامّ، وعلى الوجود الرهبانيّ بشكل خاصّ، حتّى وإن كانت تلك الآثار لم تظهر للحال. فمع اتّساع رقعة الإسلام أخذت انطلاقة الترهُّب الكلدانيّ تسير نحو الركود والأُفول، وبمرور الزمن اختفت الأديرة واحدًا تلو الآخر، إمّا بسبب العنف أو بسبب حالة الحزن والاختناق البطيء كما حصل لدير "بيث قاتا" الذي قام طيموثاوس الأوّل بإخلائه في أواخر القرن الثامن[٨٨]. وعلى الرغم من وجود فترات هدنة أو نوع من الهدوء، فإنّ إيليا النصيبينيّ كان قد كتب في القرن الحادي عشر: "لقد انخفض عدد الأديرة والصوامع انخفاضًا كبيرًا"[٨٩].

---

[٨٥] انظر: الفصل الأوّل (الكنيسة الكلدانيّة عبر التاريخ).

[٨٦] انظر: DAUVILLIER, J.، مرجع سبق ذكره، سلسلة ٣٣٣؛ FIEY, J. M., Mossoul Chrétienne, Beyrouth 1959, PP. 126-135

[87] Cfr. BIDAWID, R. J., Les Lettres, pp. 84-85.

[٨٨] المصدر نفسه، ص ٢١.

[89] ELIAE METROPILATAE NISIBENI, Opus Cronologicum, ed. J. B. CABOT, CSCO, II, 63, Louvain 1908, p. 36.

فضلاً عن ذلك، فإنّنا نجد في الجزء الثاني من المجموعة القانونيّة لابن الطيِّب (ت ١٠٤٣)م، التي تحمل عنوان "فقه النصرانيّة"، وهو كتاب في الحقّ القانونيّ المسيحيّ مكتوب باللغة العربيّة، إحالات إلى قوانين المؤسّسات الكنسيّة المختلفة، ونُزُل الضيوف (المضايف)[٩٠]، والمدارس، ولوائح نرساي (٣٩٩-٥٠٣)م، وحينانا (ت ٦١٠ م) لمدرسة نصيبين، ولوائح مدرسة دير مار جبرائيل[٩١].

أمّا عَوديشوع الراهب، وهو أسقف سنجار وبيث عَربايا، الذي أصبح بعدئذٍ متروبوليت نصيبين وأرمينيا (ت ١٣١٨م)، فنجده في مجموعته الشهيرة الخاصّة بقوانين المجامع (السينودسات)، وبالتحديد في المقال السابع من الجزء الثاني يتناول بالتحليل كلّ ما يتعلّق بالرهبان وبحياتهم قائلاً بشأنهم: "من المتعارَف عليه هو أن يتمّ اختيار الأساقفة من بينهم". ويُشير بعد ذلك إلى لوائح إبراهيم الكشكاري، وإلى داديشوع، ويصف الاستثناءات والامتيازات التي حظيَ بها عدد من الأديرة[٩٢].

كما نجد طيموثاوس الثاني (١٣١٨- ١٣٣٢) م في السينودس المنعقد عام ١٣١٨ يُعيد المصادقة على كلّ المراسيم الصادرة سابقًا والمتعلِّقة بأنظمة وبقوانين الرهبان، التي كان قد أثبتها وأكّد عليها أسلافُه البطاركة عدّة مرّات[٩٣].

وبعد القرن الثالث عشر عملَ اجتياحُ المغول للمنطقة على أُفول ثمّ على نهاية الترهّب الكلدانيّ، حيث اختفت الأديرة بصمتٍ أحدها تلوَ الآخر.

---

[٩٠] الـ xenodocchi هي ملاجئ مجّانيّة كان يلوذ بها النزلاء الغرباء عن المنطقة. وهي تعود للرهبان، وتقع بالقرب من أديرتهم.

[٩١] ابن الطيِّب (ت ١٠٤٣)، فقه النصرانيّة، الطبعة العربيّة في: CSCO, I vol. 161/ar. 16, 1956; II, vol. 167/ar. 18, 1957؛ والترجمة الألمانيّة: HOENERBACH, W., e SPIES, O. cfr. DUAVILLIER, J., art. cit. col. 355.

[92] EBEDJESU METROPILATAE SOBAE ET ARMENIAE, Collection Canonum Synodicorum ex chaldaicis Bibliothecae Vaticanae codicibus sumpta et in latinam linguam translata ab ALOYSIO ASSEMANO, in Scriptorum Veterum Nova Collectio e vaticanis codicibus edita ab A. MAI, t. X, Romae 1838, pp. 124-136.

[٩٣] المصدر نفسه، ص ١٠١، SAD، ص ٢٠٥- ٢١٠.

في عام ١٦٠٦ م، وبمناسبة قدوم عدد من الحُجّاج الكلدان من منطقة لاسا في التبت إلى روما، فقد ورد في تقرير الزيارة المحفوظ في الإرشيف السرّي للفاتيكان ما كتبه الأمين العامّ الإيطاليّ في حديثه عن رجال الدين: "تضمّ الأديرة –كلّ دير بقدر استيعابه– عددًا يقلّ أو يزيد من الأشخاص، قسم منها يقطنه أكثر من ١٠٠ شخص، فالدير العائد لبطريرك المدينة (الربّان هرمزد) يضمّ ما يزيد على ٢٠٠ راهب، وهم يتلقّون المساعدات من البطريرك الذي يمدّ لهم يد العون من دخلِهِ، كما يفعل الشيء ذاته مع الأديرة والكنائس الفقيرة، فضلاً عن النفقات الكثيرة التي ينفقها بشكل مستمرّ على ما يربو عن ١٠٠ شخص ممَّن يتردّدون عليه طلبًا للعون"[٩٤]. جاء في الجدوَل المدوّن عام ١٦٠٧ في نصّ تقرير مُوفَدِي البطريرك مار إيليا الثامن إلى قداسة البابا بولس الخامس ما نصُّه: "كان عدد الأديرة يزيد على ١٠٠ دير، ولكن بسبب القصور في الطاقات البشريّة وبسبب العيش تحت حكم غير المؤمنين انخفض عدد الأديرة إلى ٣٥ ديرًا"[٩٥].

كما نجد في الحقبة الزمنيّة ذاتها –من خلال كلدان روما– أنّ نصّ تقرير الوكيل البطريركيّ عبد المسيح (وهو وكيل البطريرك مار إيليا) يذكر أيضًا أنّ عدد الأديرة كان "على الأقلّ ٣٠ ديرًا"[٩٦]. ويأتي في السياق نفسه تقرير مار إيليا الثامن إلى البابا بولس الخامس، حيث يذكر أنّ الأديرة الأكثر أهميّةً كانت: دير مار إيليا، مار ميخائيل، مار إبراهيم، ربّان هرمزد (الذي كان يُعرف بالمقرّ البطريركيّ) في نينوى، مار عَوديشوع، مار أياسديد، مار زَيعا، بيث عاوي في هكّاري، مار ساوريشوع في إربيل[٩٧].

أمّا في أيّامنا هذه فقد بقيَ في ضواحي مدينة الموصل الواقعة شمال العراق ثلاثة أديرة كلدانيّة يقطنها الرهبان الأنطونيّون الهرمزديّون، وهذه الأديرة هي: دير الربّان هرمزد، دير السيِّدة (حافظة الزروع) وهو الدير الأُمّ ومقرّ الرئيس العامّ للرهبانيّة الهرمزديّة، ودير مار كوركيس الذي يحتوي على مدرسة للتلاميذ

---

[٩٤] GR ص ١٠٥.

[٩٥] المصدر نفسه، ص ٥١٧.

[96] THOMAS DE JESUS (+1609), De unione schismaticorum, cit. in AC, II, p. 827.

[٩٧] GR ص ١٠٨– ١١٥.

الراغبين (فهو يمثّل بيت الراغبيّة، أي: الطلاّب الراغبين في الانتساب إلى الرهبنة). وفي عام ١٩٦٣ تمّ نقل مقرّ الابتداء إلى بغداد في دير مار أنطونيوس الذي تمّ إنشاؤه في تلك الحقبة. كما أُنشئ فيما بعد دير خامس للرهبانيّة في روما يحمل اسم دير مار يوسف، وهو يستضيف الرهبان الذين يُرسَلون إلى روما لمتابعة دراساتهم الدينيّة العُليا في جامعاتها، وكذلك لغرض تنشئتهم الدينيّة في مركز المسيحيّة.

ثانيًا: الراهبات الديرانيّات

ترقى الرهبانيّات النسائيّة في كنيسة المشرق إلى أزمنة بعيدة جدًّا، شأنها شأن الرهبانيّات الرجاليّة. وهي مُستوحاة من حياة الفادي الإلهيّ ومن حياة والدته القدّيسة، فضلاً عن سِيَر النساء التقيّات اللواتي نذرن حياتهنّ بِوَرع تامّ لخدمة المعلّم، وكُنَّ المساعِدات الأوائل للتلاميذ. والتاريخ يُحدِّثنا عن وجود أديرة للنساء في مصر منذ زمن مبكّر، يرقى إلى زمن نشوء الأديرة الرجاليّة[٩٨].

يعود أقدم نصّ مدوّن وصل إلينا عن النساء المكرّسات إلى أوائل القرن الرابع، وهي حقبة الاضطهادات الكبيرة التي قادها الملك شابور الثاني (٣٣٩- ٣٧٩) م. وبالفعل، فإنّنا نجد في متن الوثائق التي دوّنتها القدّيسة فِبرونيا (العذراء والشهيدة) حوالي سنة (٣٠٩ م) ذِكرًا لدير نسائيّ في نصيبين، حيث كانت تقطنه خمسون "ܒܢܬ̈ ܩܝܡܐ أُختًا"، ترأَسُهنّ الأخت بيرونا التي تتلمذت على بلاتونيد (Platonide)، وكانت بيرونا في الوقت عينه شمّاسة وقانونيّة كبيرة[٩٩]. ونقرأ في موضع آخر عن ستّ فتيات نبيلات نذرن "البتوليّة مدى الحياة" في سبيل الله، وهنّ: تَقلا، دَنقا، طاطون، ماما، مَزاكيا، آنا،

---

[٩٨] يذكر القدِّيس أثناسيوس في "سيرة القدِّيس أنطونيوس" أنّ شقيقة القدِّيس أنطونيوس اقتداءً بأخيها نذرت حياة البتوليّة في سبيل الله، وأسَّست أوَّل دير للنساء المكرَّسات، تمامًا كما فعلت شقيقة القدِّيس باخوميوس (S. Pacomio). لمراجعة هذا المقال انظر: B, III ٢، ص ٨١٨-٩١٩؛ FIEY, J. M., Cénobitisme féminin ancient dans les Églises Syriennes Orientale et Occidentale, in OS, X (1965), pp. 281-306; حدّاد، بطرس، الرهبانيّات النسائيّة في الكنيسة الكلدانيّة، بغداد ١٩٧٢.

[99] AMS, II, pp. 286-289; BO, III, 2, p. 888.

اللواتي استُشهِدن حوالي عام (٣٢٨ م) في موضع يُدعى حُورا بالقرب من كرخ سلوخ وهي حاليًّا كركوك (في العراق)[١٠٠]. كما ورد ذِكر ثلاث دَيرانيّات أُخريات في باث كَرماي، وهنّ: أبيات، حاتا، ومَزاكيا[١٠١].

أمّا وقائع استشهاد مار دانيال (القسّيس) فإنّها تتحدّث كذلك عن راهبة تُدعى وردة كانت قد استُشهدت معه[١٠٢]. كما يروي لنا التاريخ أحداث استشهاد مريم مع شقيقها مار ياقو حوالي عام (٣٤١ م)[١٠٣]. ولا تتوقّف سلسلة أسماء الشهيدات عند هذا الحدّ؛ ذلك أنّنا نجد بين الشهداء المئة والعشرين الذين ضُربت أعناقُهم في المدائن عام (٣٤٥ م) ذِكرًا لشهيدات عذارى عُرِفن بـ "بنات العهد"[١٠٤]، فضلاً عن الشهداء الأربعين في بابل، حيث نجد من بينهم أسماء سبع راهبات: مريم، تيتا، ايمّا، أدراني، ماما، مريم (ثانية)، وَمراح[١٠٥].

ويذكر تاريخ البطريرك مار شاهدوست (٣٤١-٣٤٣ م) أنّ من بين الشهداء الذين استُشهدوا معه، والبالغ عددهم ١٢٨ شهيدًا، كانت هناك أيضًا راهبات[١٠٦]. وقد حفظ لنا التاريخ قصّة استشهاد الراهبة طاربو، وهي شقيقة البطريرك الشهيد مار شمعون بَرصبّاعي (٣٢٩-٣٤١ م)؛ فالأخبار تُفيد بأنّها استُشهدت مع شقيقها وتلميذةٍ لها عام (٣٤١ م)[١٠٧].

وشهدت قرية باكشاز في سنة (٣٤٧ م) أحداث استشهاد خمس راهبات: تَقلا، مريم، مرتا، مريم (ثانية)، و ايمّا، اللواتي ضُربت أعناقُهنّ بمعيّة الأب المسؤول عنهنّ[١٠٨].

---

[100] BO, III, 2, p. 882.
[101] AMS, II, p. 289.

[١٠٢] المصدر نفسه، ص ٢٩٠.
[١٠٣] المصدر نفسه، ص ٣٠٧.
[١٠٤] المصدر نفسه، ص ٢٩١.
[١٠٥] المصدر نفسه، ص ٣٢٥.
[١٠٦] المصدر نفسه، ص ٢٧٦- ٢٨١.
[١٠٧] شير، شهداء المشرق، ١/ ٢٧٠.
[١٠٨] المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

وأخيرًا، فإنّ تاريخ مار دوسّا الأسقف الذي استُشهد عام (٣٦٣ م) يتحدّث كذلك عن راهبات استُشهدن في تلك الحقبة[١٠٩]. على الرغم من الرأي المخالف الذي يتبنّاه كلٌّ مِن السمعاني[١١٠] و جان موريس فييه[١١١]، فإنّنا نعتقد -كما يرى أدّي شير[١١٢] والأب بطرس حدّاد[١١٣]- أنّ الكنيسة الكلدانيّة منذ أوائل القرن الرابع كانت قد عرفت نوعًا حقيقيًّا من الحياة الرهبانيّة النسويّة؛ فكما كان الرهبان يُدعَون بـ "أبناء العهد"، هكذا كانت الراهبات (الديرانيّات) يُدعَين بـ "بنات العهد"، وهنّ مكرَّسات لله، قد نذرن العفّة نذرًا مؤبّدًا، ويعشن حياةً جماعيّة في أديرة أُعدَّت لهذا الغرض. وكنّ ملتزمات بالطاعة لراهبة رئيسة، ولديهنّ قانون خاصّ بهنّ، كما أنهنّ يرتدينَ ثوبًا خاصًّا يُميِّزهنّ عن بنات العالم (العلمانيّات). وكلّ هذه الأمور قد استخلصناها من معلومات وصلت إلينا عبرَ الوقائع المدوَّنة التي تروي أخبار الشهداء.

أمّا أفراهاط الذي عاش في النصف الأوّل من القرن الرابع للميلاد فإنّه يتحدّث في كتاب "الأدِلَّة" -المشار إليه سابقًا- عن "العذارَى" (ܒܬܘܠܬܐ)، أو عن "بنات العهد" (ܒܢܬ ܩܝܡܐ)، وعن "عرائس المسيح". ويقول إنّهنّ كنّ يؤدِّين نذورًا ويُقِمن معًا، خاضعاتٍ لسلطة الأسقف الذي تقع على عاتقه مَهمَّة تعليمهنّ وإعدادهنّ للحياة الرهبانيّة[١١٤].

ومنذ القرن الخامس فصاعدًا تُصبح أخبار العذارى المترهِّبات أكثر تواتُرًا وشيوعًا، وتغدو التنشئة الدينيّة أكثر تنظيمًا باستنادها إلى قوانين ومراسيم مجمعيّة (سينوديّة) ممّا يمنحها قدرًا أكبر من التماسك والمصداقيّة. ويُلاحَظ أنّ التقويم الكلدانيّ يذكر فقط "بنات العهد" الشهيدات، ولا يتحدّث عن غيرهنّ من النساء المترهِّبات أو مؤسِّسات لرهبانيّات نسويّة، على عكس ما هي الحال قياسًا بأسماء الرجال.

---

١٠٩ المصدر نفسه، ص ٣٤٨.

110 BO, III, 2, p. 888.

111 FIEY, J. M., art. cit., p. 281.

١١٢ شير، كلدو وآثور، ٢/٥٨؛ شهداء المشرق، المقدمة، ص ٥.

١١٣ حداد، بطرس، مرجع سبق ذكره، ص ١٣- ١٤.

114 Patrologia Syriaca, t. I, col. 260 ss. Cfr. DAUVILLIER, J., Caldéen (Droit), in DDC, III (1942), col. 295.

ولكنّنا من خلال سِيَر القدِّيسين وكتابات المؤرِّخين نستطيع أن نجمع عددًا غير قليل من أسماء نساءٍ مؤسِّسات لرهبنات، وأسماء راهبات، وأديرة نسويّة. نجد –على سبيل المثال– في كتاب "العفّة" لإيشوعدناح البصريّ في معرض حديثه عن مار أوجين (القرن الرابع) ذِكرًا لشقيقتَيه إستراتانيس وتَقلا، وكلتاهما من "بنات العهد"[١١٥]، كما حفظ لنا التاريخ اسم الديرانيّة حدوخت[١١٦]، وهيلين إحدى "بنات العهد"، وهي شقيقة رئيس دير ربّان يوزاداق[١١٧].

ويذكر تاريخ ربّان بارعيتا دير القدِّيسة فِبرونيا، وكانت قد أسّسته حانا إيشوع شقيقة بارعيتا عام (٥٦٣ م)[١١٨]. أمّا في تضاعيف قصّة مار كوركيس الشهيد (٥٧٦–٦١٥ م) التي دوّنها مُعاصره مار باواي الكبير، فنجد ذِكرًا لدير القدِّيسة مارت نارسوي بالقرب من نصيبين[١١٩]. وتُحدِّثنا وقائع استشهاد مار فنحاس (القرن الرابع للميلاد) –وهو تلميذ الراهب الشهيد مار أوجين– عن تأسيس دير على جبل حوارا[١٢٠] في كوردستان، حيث كانت قد أُنشئت كنيسة على اسمه في منطقة عزية بالقرب من هوسار، ثمّ حُوِّلت إلى دير للراهبات[١٢١].

أمّا في جبل مقلوب (شمال– غرب الموصل) حيث يتربّع دير مار متّى (المعروف محليًّا بـ: دير شيخ متّي) (القرن الرابع للميلاد)، والذي تعود مُلكيّته اليوم إلى السريان الأرثوذكس، فإنّنا نجد على مقربة

---

[١١٥] LC، عدد ١، ص ٢٤.

[١١٦] المصدر نفسه، عدد ٤٩، ص ٤٥.

[١١٧] المصدر نفسه.

[118] BUDGE, E. A. W., The Histories of Rabban Hormizd the persian and Rabban Bar 'Idta, II, 1, p. 203.

[١١٩] سيرة مار ياوالاها الثالث (١٢٨٣–١٣١٧م)، طبعة P. BEDJAN، نصّ كلداني، Leipzing، ١٨٩٥، ص ٤١٦–٥٧١؛ شير، كلدو وآثور، ص ٢٣٢– ٢٣٣.

مارت (Mart) هي مؤنّث لفظة مار (Mar)، وهما تُقابلان بالعربيّة لفظتَي (قدِّيس، قدِّيسة). وتُطلق لفظة (مار) أيضًا على البطاركة والأساقفة، بمعنى "سيِّد" (مونسنيور Monsignore).

[١٢٠] جبل "حوارا": يُعرف اليوم بالجبل الأبيض، وهو يمتدّ من دهوك حتّى زاخو.

[121] VAN HELMOND, Mas'oud du Tour'Abdin, Louvain 1946, p. 12; AC, II, p. 728.

من المغارات التي تحمل اسم المؤسِّس وأسماء عدد من القدِّيسين الرهبان صومعة (قلاّية) تحمل اسم مارت شموني، وهي تعود إلى "رئيسة الراهبات اللواتي كنّ يتعبّدن للربّ على ذلك الجبل".

وتروي الأخبار أنّ والدة مار متّى كانت قد جاءت مع ابنها إلى ذلك الموضع، وانقطعت لحياة التعبُّد في ديرٍ للراهبات. أمّا ابنتا أخيه زكريّا فأصبحتا راهبتَين[١٢٢]. وفي منطقة داقاق (المعروفة اليوم بـ: طاعوق) في بيث كَرماي فقد أتى ذِكرُ دير للراهبات عُرف بـ: دير شيرين، وكان يقع بمحاذاة دير مار حزقيال الذي يرقى إلى القرن الرابع[١٢٣].

وفي الحيرة على مسافة غير بعيدة عن النجف كان يوجد دير "هند الكبرى" ابنة الحارث بن عمرو بن حجر آكِل المرار الكندي، وكان ذلك الدير قد شُيِّد في عهد كِسرى أنوشيروان (٥٣١- ٥٧٢) م، يومَ كان أفرام أُسقفًا للحيرة[١٢٤]. وإلى الشَمال من الحيرة، على الطريق المؤدِّية إلى الكوفة كان يقع في موضع غير بعيد عن نهر الفرات دير "هند الصغرى" ابنة النعمان بن المنذر المكنّى بـ: أبي قابوس (٥٨٠- ٦٠٢) م، وكان ذلك الدير "أحد أكبر أديرة الحيرة"، وقد عُرف كذلك باسم "دير حَرقة"[١٢٥] و"الدير الجديد" كما ورد اسمه في أخبار دفن جثمان البطريرك إيشوعياب الأوّل عام ٥٩٦ م. وكانت هند الصغرى قد تلقّت -شيئًا فشيئًا- تنشئة روحيّة خاصّة، بإصغائها إلى القَصص والأخبار الدينيّة التي كانت ترويها

---

[١٢٢] يعقوب الثالث، أغناطيوس، دفقات الطيب في تاريخ دير القدِّيس مار متّى العجيب، زَحلة ١٩٦١، ص ١٤؛ AC, II، ص ٧٥٧-٧٧٠.

[١٢٣] MO, II، ص ٢٣٨- ٢٦٥. يرجِّح جان موريس فييه "التاريخ حوالي سنة ٦٠٠ م"، انظر: المصدر المشار إليه سابقًا، ص ٦٥-٦٦.

[١٢٤] دُوِّنت هذه المعلومة مِن قِبل مؤرِّخي الأخبار العرب تخليدًا لذكرى إنشاء الدير: أبو عُبيد عبد الله البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، القاهرة ١٩٤٥، ص ٥٩٥- ٥٩٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، بيروت ١٩٥٥، ص ٥٣٠- ٥٣١. انظر: الشابوشتي، الديارات، ط ٢، ج. عوّاد، بغداد ١٩٦٦، ص ٢٤٥- ٢٤٦؛ يوسف غنيمة، الحيرة المدينة والمملكة العربيّة، بغداد ١٩٣٦، ص ٤٧-٤٨؛ محمّد سعيد الطريحي، الديارات والأمكنة النصرانيّة في الكوفة وضواحيها، بيروت ١٩٨١، ص ١٣٧-١٣٨.

[١٢٥] المسعودي، علي بن الحسين (ت ٩٥٦ م)، مروج الذهب، ج ٢، القاهرة ١٩٤٦، ص ١٠٢-١٠٣؛ البكري، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٢-٢٦٣؛ الطريحي، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩-١٥١.
"حرقة" هو الاسم الذي خلعه الشعراء والمؤرِّخون على هند.

لها خادمتها ماريّا حول راهبات دير مار توما الذي كان يقع على مقربة من الحيرة، حتّى انتهت بها الحال هي الأخرى إلى دخول الدير[١٢٦].

كما ورد ذِكر أديرة أخرى في الحيرة لانعرف عنها سوى أسماء مؤسِّساتها: دير أذرَمانج[١٢٧]، ودير ابنة العهد دودي[١٢٨]، ودير قُومان ابنة الحارث بن هاني الكندي[١٢٩]، ودير حَيّي في ضواحي الكوفة[١٣٠]، ودير مارت مريم[١٣١].

أمّا في رسائل البطريرك طيموثاوس الأوّل (٧٨٠- ٨٢٣) م فيأتي الكلام عن دير دبنوغ (Dabnogh) في سوسيانا (Susiana)، حيث يحدّثنا التاريخ عن راهبة تُدعى "حينانا" كانت قد غادرت الدير بسبب سوء فهمٍ وقع بينها وبين رئيستها في الرهبانيّة ممّا حدا بأشقّائها إلى ترجّي البطريرك للتدخل في مصالحتها مع الرئيسة؛ فقام طيموثاوس بالكتابة إلى سركيس –ميتروبوليت عيلام– لتسوية المسألة[١٣٢].

---

[126] CS, II, P. 122; Chronicon anonymumde ultimisregibus Persarum, ed. I. GUIDI, CSCO Chronica Minora, Louvain 1903, p. 16; AC, III, pp. 215-217.

[127] LC, n. 134, p. 80.

[١٢٨] المصدر نفسه، عدد ١٣٤، ص ٨٠.

[١٢٩] البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، الترجمة الانكليزيّة (The Origins of the Islamic State, 2 vol., New York 1916, 1924, p.443) لـ: فيليب حِتّي، و MURGOTTEN, F. C. ؛ AC، ص ٢٢١.

[١٣٠] الطريحي، مرجع سبق ذكره، ص ٩٩-١٠٢. كان قد ذُكِرَ دير آخر يحمل اسم "حنّة" في الحيرة في ضواحي الكوفة، وهو "دير حنّة الكبرى" لتمييزه عن الدير الأوّل. انظر: المصدر نفسه، ص ١٠٢-١٠٦.

[١٣١] الطريحي، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٧-١٣٤؛ زيّات، حبيب، الديارات النصرانيّة في الإسلام، دار المشرق ٣٦، ١٩٣٨، ص ٢٢.

[١٣٢] بيداويد، روفائيل، Les Lettres، ص ٢١.

ويذكر توما المرجي ديرًا للراهبات في قرية بيث طحُوناي بالقرب من بيجيل في منطقة عقرة. وتُحدِّثنا الأخبار عن الميتروبوليت ماران عَمّيه الذي يحاول إنقاذ امرأةٍ تقيّة؛ فيرسلها وابنَيها إلى دير قُوراي، وهو ربّما دير آخر للراهبات[١٣٣].

وفي ضواحي علث في منطقة تريهان على مقربة من منطقة الخضيرة الواقعة شمال مدينة سامرّاء الحاليّة، فيأتي ذِكر "دير العذارى"، وهو أحد أربعة أو خمسة أديرة –على الأقلّ– تحمل الاسم ذاته، حيث يُدرجها جميعًا المؤرِّخ ياقوت الحمَويّ[١٣٤]. وكان الدير المذكور قائمًا أيّام أبي الفرج الأصفهانيّ (ت ٩٦٧ م). غير أنّ نهر دجلة كان قد اجتاح المنطقة في وقت لاحق؛ فأتى على معالم ذلك الدير ولم يُبقِ له أثرًا[١٣٥].

أمّا الشاعر الموصليّ السَرِيّ الرفّاء (ت ٩٧٦ م) صاحب كتاب الأديرة المفقود –للأسف– فيذكر إلى جانب دير الرهبان المعروف بـ: دير يوسف ديرًا آخر يحمل الاسم عينَه ولكنّه للراهبات، كان يقع بالقرب من مدينة الموصل[١٣٦]. ونجد في ضواحي الموصل كذلك ديرًا آخر قريبًا من نهر دجلة، لايبعد سوى عدد قليل من الكيلومترات عن دير مار ميخائيل[١٣٧] في وادي حليلة على التلّ المعروف بـ: "تلّ العابدات"[١٣٨]. ويُحدِّثنا الشابوشتي (ت ٩٩٨ م) في كتابه الشهير "الديارات" عن "دير الخَوات"، أي: "دير الأخوات" الواقع في منطقة كُعبَرة، قائلاً: "هو دير كبير مزدهر تقطنه عذارَى مترهِّبات"[١٣٩].

---

[133] HM, II, p. 323.

[١٣٤] الحموي، ياقوت، مرجع سبق ذكره، ٢/٥٢٢–٥٢٣.

[135] AC, III, P. 121.

[١٣٦] زيّات، حبيب، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧؛ AC, II، ص ٥٦٣.

[١٣٧] فيما يخصّ هذا الدير، انظر: صائغ، سليمان، تاريخ الموصل، بيروت ١٩٥٦، ص ١١٨–١٢٢؛ AC, II، ص ٦٦٠–٦٧٣.

[138] AC, II, pp. 671-672; MC, pp. 55-56.

[١٣٩] الشابوشتي، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.

وبالقرب من ألقوش، بين قريَتي بوزان وهورازان –تحديدًا– يُطالعنا دير آخر يستقرّ على جبل مرتفع، يُعرف اليوم بـ: "دير بي قيمة" أو "ܒܝܬ ܩܝܡܬܐ"، أي: "بنات العهد"[١٤٠].

فضلاً عن ذلك، فإنّ دير السيِّدة (الكلدانيّ) الكائن في ألقوش يحتفظ لنا بين مخطوطاته بمخطوط لكتاب القدّاس كان قد كُتب عام (١٥٢٥ م) بأمر من "مريم، وهي راهبة من أربيل"[١٤١].

وفي مطلع القرن السابع عشر، عندما قام كلدان لاسا في التبت بالحجّ إلى روما عام ١٦٠٦، فإنّهم كانوا قد تحدّثوا عن وجود أديرة لراهبات كلدانيّات، حيث جاء في مذكِّرة أمين السرّ الإيطاليّ ما نصُّه: "لديهم كذلك أديرة للعذارى تُقام فيها الأنشطة الدينيّة ذاتها التي تقوم بها راهباتنا"[١٤٢]. ولا نجد بعد ذلك التاريخ ذِكرًا لأديرةٍ للراهبات الكلدانيّات. إلاّ أنّ إشارات متفرِّقة ذكرت أسماء منفردة لراهبات: فعلى سبيل المثال يأتي ذِكر الراهبات اللواتي التقاهنّ بادجر في دير مار عوديشوع في غندُك سنة ١٨٥٠[١٤٣]. وكذلك الراهبات اللواتي التقاهنّ ريش في تلّسقف وفي ألقوش سنة ١٨٢٠، وأُولاء لم يكن لهنّ دير خاصّ بهنّ، وإنّما كنّ يُقِمن في بيوت أقاربهنّ[١٤٤]. بعد هذا الاستقراء التاريخيّ، نأتي الآن إلى دراسة حياة تِلكُم الراهبات كما تقدِّمها لنا الوثائق التي بين أيدينا.

---

[140] AC, II, p. 550.

[١٤١] MS، عدد ٢٠ في مجموعة J. M. VOSTÉ، عدد ١٧ في مجموعة أدّي شير. انظر: حدّاد، بطرس، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦.

[142] GR, p. 105.

[143] BADGER, G. P., The Nestorians and their Rituals, 2 vol., London 1852, Cfr. Vol. I, p. 390.

[144] RICH, C. Narrative of a residence in Koordistan and on the site of Ancient Niniveh, London 1836, vol. II, p. 101.

١– القوانين

لم تترك لنا الأحداث التاريخيّة المؤلمة التي تعرّض لها عدد من بلاد الشرق –للأسف– نصًّا كاملاً لقوانين الحياة في الرهبانيّات النسويّة. فَفِي النصوص القانونيّة العربيّة لمجمع نيقية التي ربّما تعود للقرن الخامس[١٤٥] نجد أنّ نصّ القانون رقم ٧٩ يتحدّث عن المكرّسات، أمّا القانون رقم ٨١ الذي يخصّ الرجال أكثر من النساء، فإنّه يتحدّث عن الثوب الرهبانيّ المختلف عن ثياب العلمانيّين، فضلاً عن حلق شعر الرأس بشكل إكليل، والتمنطُق بحزام[١٤٦]. كما نجد في مجمع نيقية ذاته –بعد القوانين العربيّة– مجموعة يبلغ عددها خمسة عشر قانونًا تختلف عن القوانين العربيّة، غير أنّها منسوبة كسابقتها إلى مجمع نيقية، وهي تتعلّق بالراهبات (الديرانيّات– المتوحّدات). تأخذ هذه القوانين بعين الاعتبار كلاًّ من الأنظمة الرهبانيّة وقوانين الحياة في الرهبنات الرجاليّة والنسائيّة، كما سيأتي ذكره لاحقًا.

تتحدّث القوانين المنسوبة إلى مار مارُوثا أسقف ميافرقين (٣٥٠– ٤٢٩ م)[١٤٧] عن "**ܒܢ̈ܬ ܩܝ̈ܡܐ**" وعن "الشمّاسات". وتقضي بأن يكون لكلِّ كنيسة في المدينة رهبانيّة نسائيّة[١٤٨]، على أن يكون لديهنّ مرشد حاذق يُلقِّنهنّ مبادئ الكتب المقدّسة، ولاسيّما المزامير[١٤٩]. ومن بين تِلكُم الراهبات يتمّ انتخاب أكثرهنّ نَجابةً مِمّن بلغنَ سنّ الستِّين بمقتضى نظام القدِّيس بولس[١٥٠] لِنَيل رتبة الشمّاسيّة[١٥١].

وينصّ القانون رقم ٢٥ على ضرورة انتخاب خورسقف للأبرشيّة[١٥٢]، يضطلع كذلك بمَهمّة "الزائر الرسمي" للكنائس والأديرة. وفي حال احتياج تلك الكنائس أو الأديرة إلى إخوة رهبان (**ܐ̈ܚܐ**) أو

---

145 RABBAN, R. S., Les Canons Arabes. Dissertation historico- critique avec publication et traduction des textes, Rome 1937, pp. 144-168.
146 BO, III, 2, pp. 894-895.
147 SAD, pp. 115- 149.

١٤٨ المصدر نفسه، قانون ٤١، فقرة ١، ص ١٢٥.

١٤٩ المصدر نفسه.

١٥٠ ١ طيم، ٥: ٩.

151 SAD, pp. 125-126.

١٥٢ المصدر نفسه، ص١١٩.

أخوات راهبات (ܒ̈ܢܬ ܩܝܡܐ) يكون من واجبه هو معالجة الموضوع، حاثًّا المؤمنين على إرسال أبنائهم وبناتهم إلى الأديرة[١٥٣].

أمّا القوانين المنسوبة إلى إيشوع بَرنون (٨٢٣– ٨٣٨ م)[١٥٤] فإنّها كانت تأذن للرجل المتزوّج ولقرينَتِهِ كذلك دخول الدير، باتّفاق مشترك بينهما "بحثًا عن حياةٍ أكثر كمالاً"[١٥٥]. ولا يكون هذا الأمر جائزًا إلاّ بموافقة الشريك (الزوج أو الزوجة)[١٥٦]، كما لا يُسمح به في حال التخلّي عن تربية الأبناء أو التنصُّل من مساعدة الأقارب الذين هم بحاجة إلى العون[١٥٧]. أمّا قوانين مار إبراهيم الكبير (٥٧١ م)، وقوانين داديشوع (٥٨٨ م) فإنّها لا تُصرِّح بذِكر الراهبات؛ ولذلك فلا يُمكننا أن نستلهم منها شيئًا، إلاّ ما كان على سبيل الموازنة أو التقريب[١٥٨].

٢– الدير

لم نقع على أيّة دراسة أو كتابٍ يُعالِج موضوع "أديرة الراهبات". ولكنّها –على ما يبدو– لم تكن مختلفة كثيرًا عن أديرة الرهبان، ولاسيّما إذا حكمنا على الموضوع من خلال "تاريخ ربّان باعوث" الذي قام بترميم ديرٍ كان مخصّصًا للراهبات، وهو دير الأرملة حدومادوخت وابنتها، ليجعل منه ديرًا للرهبان[١٥٩].

وفي كتاب "الديارات" للشابوشتي نجد وصفًا لأديرةٍ نقلَه مؤلِّف الكتاب المصريّ عن شهود عيان يُفترض مرورهم بأرض الرافِدَين. فالكتاب في الواقع يتحدّث عن أديرة للراهبات في العراق، تقع وسط

[١٥٣] المصدر نفسه، قانون ٢٦، فقرة ١، ٢، ص ١٢١– ١٢٢.
[١٥٤] المصدر نفسه، ١٨٩– ٢٠٤.
[١٥٥] قانون ١٦، المصدر نفسه، ١٩١.
[١٥٦] المصدر نفسه، قانون ١٧.
[١٥٧] المصدر نفسه، قانون ١٨، ص ١٩١–١٩٢. انظر: ١ قور ٧/٤.

[158] FIEY, J. M., art. cit., p. 285.
[159] LC, n. 49, p. 104.

مروجٍ خضراء خلاّبة، وهي مُحاطة بالجنائن وكروم العنب[١٦٠]. وقد أوردَ المؤلِّف عددًا من المختارت الشعريّة التي كانت قد نُظِمت حول الموضوع[١٦١].

من الأطلال القليلة المتبقِّية لعدد من الأديرة النسائيّة[١٦٢] لا يبدو وجود اختلافات واضحة بين هيئاتها وطُرزها المعماريّة إذا ما قُورِنَت بتلك المخصّصة للرجال؛ فالدير عادةً كان يتكوّن من باحتَين، إحداهُما خارجيّة والأخرى داخليّة، تفصل بينهما كنيسة. وكان يوجد في الباحة الخارجيّة "نُزُل" لاستضافة زوّار الدير أو الحجيج. أمّا الباحة الداخليّة فكانت مخصّصة لإقامة الراهبات فقط، حيث تقع غُرفهنّ الصغيرة (الصوامع)، وبين الكنيسة والصوامع يوجد بناء ضيّق جدًّا وخاضع لرقابة مشدَّدة، وهو يُمثِّل بداية حصن الدير.

كانت الأديرة النسائيّة أشبه ما تكون بِمَناسك أو مُعتكَفات بحدّ ذاتها، فهي لم تكن تشتمل على قلاّيات خارجيّة منعزلة كتلك التي كانت في أديرة الرجال؛ لذلك فلا توجد أخبار كثيرة عن نساء متنسِّكات منعزلات، إلاّ ما جاء من أخبار متفرِّقة عن نساء "متوحِّدات" كنّ يتواجدنَ شرقيّ نهر دجلة في أواخر القرن السادس للميلاد. فقد ورد في أخبار مار ياو، ثمّ مار ياقو لبيث عاوي أنّهما صادفا امرأتين (وهما أُمّ وابنتها) كانتا تعيشان في عزلة تامّة في جبال قَردو، وقد اتّخذتا من الأعشاب والنباتات اليابسة

---

[١٦٠] الشابوشتي، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣، ١٠٧. انظر كذلك: العمري، ابن فضل الله، مسالك الأبصار، القاهرة ١٩٢٤، ص ٢٥٨– ٣٠٢.

[161] FIEY, J. M., art. cit., p. 285.

[١٦٢] شأن الدير الذي لا يُعرَف اسمه في وادي حليلة بالقرب من الموصل، ودير "قيمة" بين بوزاي وخُراسان، ودير "كوجنك" بالقرب من شَمرة وراء مانكيش.

ثيابًا لهنّ، وكانتا تتغذّيان على جذور وثمار النباتات البريّة[١٦٣]. ونظرًا لكون هذا الأسلوب للحياة (حياة التوحُّد في الجبال) خَطِرًا على النساء أنفسهنّ، فقد تمّ حظره ولم يدُم إلاّ قليلاً[١٦٤].

وقد بلغت الحال بمار إيشوعياب الأوّل أن يقول: لو أمكن ألاّ تكون هناك أديرة نسائيّة لكان أفضل؛ وذلك لخطورتها على الراهبات أنفسهنّ، بسبب الرخاوة الذي كان يعمّ عددًا من تلك الأديرة. وإن كان لا بدّ من إنشاء أو وجود أديرة فيجب على الراهبات أن يعشنَ معًا في الدير الأمّ، وألاّ يقلّ عددهنّ عن خمس أو أربع راهبات، ولا يعشنَ منعزلات على الإطلاق في دير صغير أو صوامع منفردة، حتّى إذا ما عشنَ معًا استطعن التوصُّل إلى سلوك يليق بالحياة الرهبانيّة ويقضي على الرخاوة الذي قد يغزو حياة الراهبات والذي يستوجب الحرمان من الكنيسة[١٦٥].

وكان كوركيس الأوّل قد أصدر مرسومًا يقضي بوجوب إقامة الراهبات معًا، بحيث يَكُنَّ مجتمِعات في دير أو ديرَين داخل المدينة، على أن تكون إدارة المجموعة موكلَة إلى إحداهنّ، مِمَّن بلغنَ مرحلة متقدِّمة من العمر أمضينَها في ظلّ العفّة التامّة، وألاّ تفعل الراهبات شيئًا إلاّ بإذنها. ويجب على الرئيسة –فضلًا عن ذلك– تطبيق القوانين التي هي بمثابة وقاية للراهبات، تُبعدهنّ عن الأحاديث العبثيّة الفارغة، وتحميهنّ من نميمة الناس. وتكون أكثرهنّ فضيلةً هي المرشَّحة لنَيل رتبة الشمّاسيّة بمعناها الكَنَسيّ المطلَق[١٦٦].

[163] HM, II, pp. 73-74, 76; CS, II, pp. 138-139.

[164] انظر قصّة مريم القيدوميّة في سيرة مار أوراهام (القرن الرابع). انظر: Bibliotheca Hagiographica Orientalis, ed. P. PEETERS, Beyrouth-Bruxelles, 1910 (1945), n. 16-17; شير، شهداء المشرق، ٢/٦٦–٧٢. أوردَ إيشوعياو في سينودس عام (٥٨٥ م) شاهدًا آخر، مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، ص ١٤٦، ترجمة، ص ٤٠٧؛ BO, III, 2 ص ٨٨٩.

[١٦٥] مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، ص ١٤٦، ترجمة، ص ٤٠٧.

[١٦٦] المصدر نفسه، ص ٢٢١، ترجمة، ص ٤٨٦.

٣- حِصن الدير

تُظهر المجامع الكنسيّة كثيرًا من الصرامة في تحديد مسألة فصل الديرانيّات عن الرهبان وعن الرجال بشكل عامّ. إنّ سينودس إيشوعياب الأوّل المنعقد عام (٥٨٥ م) يُدين في كلٍّ من القانونَين الثامن والتاسع[١٦٧] إمكانيّة السكن المشترك للرهبان مع الراهبات، واضعًا الجميع تحت الرقابة المشدَّدة وعقوبة الحرمان الكنسيّ إن اقتضت الضرورة، ولا يُسمح إلاّ بزيارات قصيرة الأمَد (يوم واحد أو ليلة واحدة) ولأسباب طارئة، مع الأخذ بعين الاعتبار كلّ الاحتياطات والضمانات الممكنة فيما يتعلّق بمحلّ الإقامة؛ لتجنّب أيّ نوع من أنواع الشكّ أو الريبة.

ويسير على الخطّ ذاته كلٌّ من سينودس ساوريشوع الأوّل المنعقد عام (٥٩٦ م)[١٦٨]، وسينودس غريغوريوس الأوّل سنة (٦٠٥ م)[١٦٩]، فقد أعادا التأكيد على أنواع الحَظْر التي كانت قد أُقِرَّت سابقًا بشكل رسميّ. كما كان غريغوريوس الأوّل قد أصدر قرارًا يقضي بوجوب إقامة الراهبات في دير خاصّ بهنَّ، ويكون محظورًا عليهنّ التجوُّل مع الرجال[١٧٠].

٤- الثوب الرهبانيّ

يتحدّث إيشوعياب الأوّل عن ثوب رهبانيّ يُسمِّيه "ثوب العهد" (ܐܣܟܝܡܐ ܕܩܝܡܐ)، وهو ثوب خاصّ بالمكرَّسين[١٧١]. وكان كوركيس الأوّل في سينودس عام (٦٧٦ م) قد نصّ في القانون رقم ٩ على أنّ: بنات العهد المدعوّات بـ: "العذارى" اللواتي نذرنَ حياة العفَّة، يتميَّزنَ عن غيرهنَّ من النساء بالثوب الذي يرتدينَهُ[١٧٢].

---

[١٦٧] المصدر نفسه، ص ١٤٤- ١٤٥، ترجمة، ص ٤٠٦- ٤٠٧.

[١٦٨] المصدر نفسه، ص ١٩٩، ترجمة، ص ٤٥٩.

[١٦٩] المصدر نفسه، ص ٢١٢، ترجمة، ص ٤٧٤.

[١٧٠] المصدر نفسه.

[١٧١] المصدر نفسه، قانون ٨، ص ١٤٥، ترجمة، ص ٤٠٦.

[١٧٢] المصدر نفسه، ص ٢٢١، ترجمة، ص ٤٨٦.

تحتفظ لنا المخطوطات برسومات دقيقة تَصِف الثوب الرهبانيّ الرجاليّ، كما نجدها كذلك على جِرار سامرّاء، فضلاً عن المنحوتات التي ترقى إلى القرن الثالث عشر، وهي موجودة في دير مار بهنام بالقرب من الموصل. غير أنّنا –للأسف– لا نمتلك أدلّة مماثِلة تتعلّق بطبيعة الثوب الرهبانيّ النسائيّ، ولكن أغلب الظنّ أنّه لم يكن يختلف كثيرًا عن ثوب الرهبان، ما عدا غطاء الرأس.

كانت ثياب الراهبات (المتوحّدات) تُصنع من الصوف الأسود الخشن، مِمّا حدا بالشعراء العرب إلى تشبيه الرهبان والراهبات بالليل ذي السواد الحالِك، وبالقَطران، أو بالغربان[١٧٣]. غير أنّ للثوب الأسود معنى آخر: إنّه في الحقيقة يعني الموت عن العالم وعن أفراحه ومُتَعِه. وفي هذا الصدَد كان سِمعان الشقلاويّ (القرن الثاني عشر) قد كَتب: "يرمز الثوب الذي يرتديه الرهبان إلى الحِداد، فنحن علينا أن ننأى بمظهرنا عن الزيّ العلمانيّ. إنّ الثوب الرهبانيّ يُمثِّل الرداء الأُرجوانيّ الذي كسا به اليهود يسوع تحقيرًا وازدراءً له"[١٧٤].

كان ذلك الثوب –على وفق ما ورد في كتاب الطقس الكلدانيّ– يتكوّن من: رداء صوفيّ أسود اللون يُدعى "ܡܕܪܥܬܐ" ويسمّى بالعربيّة " مَدرَعة " (تُجمع على مَداريع)، أو "ܡܥܦܪܐ" كما يُطلَق عليه في طقوس الرسامة الرهبانيّة. ويُربط حول المدرعة عند منطقة الخصر حبل غليظ يُعرف بال "ܙܘܢܪܐ" بالعربيّة "زُنّار" أو "حزام"، وهو يرمز إلى الخروج من العالم[١٧٥]. ويوضع غطاء على الرأس يُسمّى "ܟܘܣܝܬܐ" أو "قُناعة"، وهو يُقابل عند الرهبان ال "ܡܨܢܦܬܐ" بالعربيّة "قلنسُوة". ويُغطِّي الثوب برمَّتِهِ عباءة تستقرّ فوق الكتفَين تُدعى "ܓܒܥܬܐ" أو " ܓܠܐ" بالعربيّة "بُرنُس". أمّا القدَمان فينتَعِلان حذاءً مفتوحًا يُطلق عليه "ܡܣܐܢܐ". كلُّ هذه القِطَع مجتمعةً تُكوِّن الثوب الرهبانيّ الذي يُسمّى "ܐܣܟܝܡܐ ܕܩܝܡܬܐ" أي: "ثوب العهد". وكان الشعراء العرب قد ذكروا في قصائدهم ال "مِسح"

---

١٧٣ انظر: حدّاد، بطرس، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣–٤٤؛ FIEY, J. M.، مقال سبق ذكره، ص ٢٩٧؛ زيّات، حبيب، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٣–١٠٤.

174 Liber Patrum, p.38; FIEY, J. M., art. cit., p. 297.

175 EBEDJESUS (‘Awdisho‘) di Nisibin, Ordo Iudiciorum Ecclesisticorum, d. J. M. VOSTÉ, in Fonti, II, XV (Chald II), Rome 1940, p. 84.

(جمعه: مُسوح)[١٧٦]، وهو الثوب المصنوع ربّما من الوبَر الأسود. وكانت هذه المسوح قد تركت أثرًا خاصًّا في نفوس هؤلاء الشعراء لغِلظَتها ولمظهرها التقشُّفيّ.

نصّت القوانين الخمس عشرة المعروفة بقوانين نيقية، والقانون الرابع عشر لأبي الطيِّب على أن يمتلك الرهبان (والراهبات) ثوبَين، أحدهما لفصل الشتاء والثاني لفصل الصيف. وكان كلّ ثوب يحمل اسم صاحبه، ويُحفظ في خزانة الملابس المشتركة في الدير حين لا يكون صاحبهُ بحاجة إليه[١٧٧].

كانت طقوس ارتداء الثوب الخاصّ بالراهبات –وكذلك الحال عند الرهبان– تقتضي حلق شعر الرأس أوّلاً، وكان ذلك يتمّ في حفلٍ مؤثِّر جدًّا[١٧٨]. كان الأسقف يضع يديه على رأس الراهبة (التي ما تزال في تلك اللحظة مبتدئة) ماسحًا جبهتها بالـ "ܚܢܢܐ" (وهو تراب ممزوج بالزيت المقدّس)، ويتلو في الوقت عينه صلاة خاصّة، ثمّ يتناول المقصّ فيقطع أربع خصلات من شعرها بطريقة تُشكِّل هيئة صليب، ثمّ يسلِّم هذه الخصلات الأربعة إلى الراهبة المبتدئة قائلاً لها: "انظري إلى هذا الشَعر، إنّه لن يعود إلى موضعه من رأسِك؛ هكذا أنتِ أيضًا يجب عليكِ ألاّ تعودي أبدًا إلى العالم بأفكارِكِ". وهنا تنزع الأمّ الرئيسة عن الراهبة المبتدئة ثوبها العلمانيّ، فيقدِّم لها الأسقف الثوب الرهبانيّ الجديد مع صلاة خاصّة، ثمّ يرسم على رأسها إشارة الصليب، في حين يتلو الحاضرون ترتيلة يتضرّعون بها إلى النساء التقيّات والراهبات القدّيسات ليشفعنَ لدى الله للراهبة الجديدة[١٧٩].

٥– الحياة اليوميّة

كانت الحياة اليوميّة للراهبة الكلدانيّة في الدير موزَّعة على ثلاثة أقسام أساسيّة: الصلاة والقراءة، الطعام والعمل، وما يتبقّى من الوقت فهو للراحة[١٨٠]. وكانت أوقات الصلاة والعمل وما إلى ذلك تتغيّر مِن مَوسم لآخِر خلال السنة. ففي فصل الصيف كانت الراهبات يُبكِّرنَ جدًّا في الاسيقاظ للذهاب إلى

---

176 FIEY, J. M., art. cit., p. 298.

١٧٧ المصدر نفسه.

178 BO, III, 2, pp. 908-912.

١٧٩ من كتاب الرسامات (الحبريّات) الكلداني المحفوظ في مكتبة البطريركيّة الكلدانيّة، ص ٣٣٩؛ بطرس حدّاد، مرجع سبق ذكره، ص ٤٦؛ FIEY, J. M., Une Hymne nestorienne sur les Saintes Femmes, in Analecta Bollandiana, t. 84, fasc. 1-2, Bruxelles, 1966, pp. 77-110.

180 XV Canoni e Canoni dei Padri, can. 5.

العمل. ومع ارتفاع درجة حرارة الجوّ خلال النهار يتوقّفنَ عن العمل لأخذِ قسطٍ من الراحة، ولكنّهنّ في الوقت نفسه كنّ يُمارسنَ الصلاة والقراءة، وكان كلّ ذلك يجري في صمت تامّ حتّى منتصف النهار. وعنده يقمنَ بتلاوة صلاة الساعة السادسة (الظُهر)، ثمّ يتناولنَ وجبة خفيفة من الطعام تتبعها استراحةٌ تدوم حتّى موعد صلاة الساعة التاسعة (العَصر)، وبعد الفراغ من الصلاة يستأنفنَ أعمالهنَّ حتّى موعد صلاة الغروب فتناوُل طعام العشاء. أمّا في فصل الشتاء فكانت قراءة الكتاب المقدّس والمؤلّفات الدينيّة تشغل ساعات الصباح حتّى موعد صلاة الساعة الثالثة (الضُحَى)، فيبدأ العمل بعد ذلك ليستمرَّ حتّى صلاة الساعة السادسة (الظُهر)، ثمّ تلاوة فرض القراءات، والصمت حتّى صلاة الساعة التاسعة (العصر). وتكون الساعات الواقعة ما بين العصر حتّى صلاة الغروب مشغولة بالعمل[١٨١].

كانت الصلاة الجماعيّة المرتَّلَة تتوزّع على سبعة أوقات في اليوم: صلاة الصباح، صلاة الساعة الثالثة (الضُحى)، صلاة الساعة السادسة (الظُهر)، صلاة الساعة التاسعة (العصر)، صلاة المساء، صلاة ما بعد الطعام، صلاة الليل (ما قبل النوم)[١٨٢]. وكانت تلك الصلوات تتألّف بشكل خاصّ من مزامير داود.

إنّ حثَّ الراهبات على المواظبة على الصلاة لَهُوَ أحد واجبات الرئيسة[١٨٣]، ومَن يُقصّر في أداء مَهامّه الكنسيَّة كان يُصبح غريبًا عن الجماعة (مجموعة الإخوة أو الأخوات)، ولم يكن يُسمح لأحد التغيُّب عن إحدى الصلوات الجماعيّة إلاّ في حال المرض، أو السفر، أو لإذن خاصّ ممنوح من قِبَل رئيس الدير[١٨٤].

يبدو أنّ الديرانيّات كنّ يُشاركنَ في صلاة الساعات في محلٍّ مخصَّص لهنّ في الكنيسة اقتُطع بحاجز، وهو على الأرجح في الجزء الأماميّ إلى جانب محلّ جلوس الرجال، ولكنّه معزول –كما أسلفنا– بحائط[١٨٥]. وكانت قد أُسندَت إلى الديرانيّات مهمّة إغلاق باب النساء عندما كان الكاهن يطلب إلى الموعوظين الخروج: "مَن لم يتَلقَّ سرّ المعموديّة فليُغادر الكنيسة إلى الخارج"[١٨٦]. كان كوركيس الأوّل قد

---

[181] FIEY, J. M., art. cit., pp. 287-288.
[182] XV Canoni, can. 3 di Awraham, Canoni dei Padri, can. 5 e can. 15 di IBN Al-ṬAYYIB, p. 173; Ordo Iudiciorum Ecclesisticorum di EBEDJESUS (ʿAwdishoʿ) di Nisibin, p. 83.
[183] XV Canoni.
[184] Can. 15 di Dadishoʿ, SAD, p. 171.
[185] Cfr. MARIS, AMRI et SLIBAE, De Patriarchis Nestorianorum Commentaria, p. 82.
[186] GEORGIUS ARBELENSIS, Expositio Officiorum Ecclesiae, ed. R. H. CONNOLLY, CSCO Syr. II, 71, Paris 1913, p. 28.

أمرَ بأن تتعلّم الديرانيّات قراءة المزامير شرطًا لقبولهنّ في الدير، وأن يضعنَ نُصب أعيُنهنّ كتاب الفرض (صلاة الساعات) الذي أقرّته الكنيسة، ويحرصنَ على احترام أوقات تلاوة تلك الصلوات[١٨٧].

وكان عليهنّ أيضًا أن يتعلّمنَ "المداريش" التي كانت تُتلى مُرتّلة. فمنذ حقبة مار أفرام كُنَّ "بنات العهد" يُرتّلنَ المداريش[١٨٨]، ثمّ أعاد كوركيس الأوّل هذا التقليد، وأمرَ الديرانيّات بترتيل المداريش في الجنازات، أو عند إحياء ذِكرى المتوفّين، فضلاً عن ليالي الأعياد. ولكنّه لم يسمح لهنّ بالذهاب إلى المقبرة لتلاوة المداريش[١٨٩]. أمّا فيما يتعلّق بالقدّاس فكان الاشتراك به واجبًا عليهنّ يوم الأحد الذي يرمز إلى خلق العالم وإلى قيامة الربّ التي حدثت في ذلك اليوم. وهو واجب أيضًا يوم الجمعة؛ الذي يرمز إلى يوم خلق الإنسان، فضلاً عن كونه يوم آلام الربّ. ومن المعروف أنّ يوم الجمعة كان وما يزال اليوم المتعارَف عليه للاحتفال بذكرى القدّيسين في الليتورجيّا الكلدانيّة، في حين كان يوم الأحد مخصّصًا للربّ فقط[١٩٠].

تتخلّل ساعات اليوم في الدير أوقات مخصّصة للقراءة، ولاسيّما قراءة الكتب المقدّسة، ويُعَدُّ يوم الأحد هو الوقت المفضّل لهذه القراءات. كان أبراهيم الكبير يرى أنّ المواظبة على الصلاة وعلى قراءة الكتاب المقدّس هي الوسيلة الأنجع التي تضمن للأكليروس وللمترهّبين (رجالاً ونساءً) المحافظة على سلامهم الداخلي[١٩١].

الديرانيّات –على ما يبدو– كُنَّ يعملنَ في الزراعة؛ نظرًا لعدم توفُّر معلومات حول طبيعة الأعمال التي كانت تُمارَس في الأديرة. كما لا نعلم إن كانت الديرانيّات الكلدانيّات قد مارسنَ التعليم وما إليه من الخدمات الاجتماعيّة شأن العناية بالمرضَى أو نشاطات أخرى مماثلة. أمّا فيما يتعلّق بالحُمية الغذائيّة للديرانيّات فالمعلومات تُفيد بأنّ الدير –عدا أوقات الصيام القانونيّة والطوعيّة– كان يُقدِّم وجبة أو وجبتَين من الطعام في اليوم: فأمّا الوجبتان فكانت إحداهما بعد صلاة الساعة السادسة (الظُهر)، وكانت الأُخرى عند الغروب، وهما تُقدَّمان للراهبات اللواتي كُنَّ يقمنَ بأعمال باهضة أو مُتعِبة. أمّا الوجبة الواحدة فقط فكانت تُقدَّم بعد صلاة الساعة التاسعة (العصر) أو بعد الغروب، وهي من نصيب الراهبات

---

[١٨٧] مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، ص ٢٢١، ترجمة، ص ٤٨٦.

[188] BO, III, 1, p. 47; III, 2, p. 891.

[١٨٩] مجموعة أعمال مجامع كنيسة المشرق، ص ٢٢٢، ترجمة، ٤٨٦.

[190] EBEDJESUS (‘Awdisho‘) di Nisibin, Ordo Iudiciorum Ecclesisticorum, p. 93; FIEY, J. M., art. cit., p. 290.

[191] SAD, can 1, pp. 154-155.

الأُخرَيات[١٩٢]. وكانت الراهبات يمتنعنَ عن تناوُل اللحوم مرّتين في الأسبوع[١٩٣]، ربّما يومَي الأربعاء والجمعة[١٩٤]. ويُلاحَظ أنّ اللوائح الخمس عشرة كانت تأذن للديرانيّات باستهلاك منتظَم لكميَّة قليلة جدًّا من الخمر على المائدة، ما عدا الأيّام التي تُوجب الانقطاع (وهي الأيّام المقرّرة في الطقس). أمّا الحِرمان من الطعام والشراب لمدَّة قد تطول أو تقصر فكان يُمكن فرضُه في حالات خاصّة كحالة العقاب[١٩٥].

وفيما يتعلّق بطبيعة وأوقات الراحة فليست لدينا معلومات عن ذلك. ولكن ربّما كان الأسلوب المتَّبع مُشابهًا لِما كان معمولًا به في أديرة الرهبان؛ وتبعًا لذلك فإنّنا نعتقد أنّ الديرانيّات كُنَّ ينمنَ على الأرض فوق قطعة من الحصير المصنوع من القصب أو من اللِبد. ولم يكن النوم على السرير مسموحًا به إلّا للرؤساء وللمرضَى[١٩٦]. كما لم يكن مرخّصًا للديرانيّات النوم خارج الدير إلاّ بإذن من الرؤساء لأسباب تقتضي المبيت خارج الدير.

٦- النذور

لا تؤهِّلُنا الوثائق التي بين أيدينا -بالتأكيد- للكلام عن حياة رهبانيّة كانت تقوم على نذور صريحة وعلَنيَّة لـ "الطاعة والفقر والعفَّة" في الكنيسة الكلدانيّة آنذاك. غير أنّ تاريخ ونهج الحياة الدينيّة لدى الكلدان يفترضان مُسبقًا وجود هذا الالتزام (النذور) عند الديرانيّات (المتوحِّدات)، حتّى وإن لم نستطع أن نُطلق عليها نذورًا بالمعنى الدقيق المتعارَف عليه في الحقّ القانونيّ الحاليّ للكنيسة. ما يهمّنا هو تَمرُّس الديرانيّات -منذ ذلك الوقت- في هذه الفضائل التي تُعدّ أساس التزهُّد الدينيّ في كلّ الأزمنة، وألاّ يوجد أيّ شكّ في أنّها مُورِسَت حدَّ البطولة ووسَمَت بميسَم المجد أولئك القدِّيسين من الرهبان والراهبات على مدى عصور الكنيسة الكلدانيّة.

---

[192] XV Canoni.
[193] Ibid.; Canoni dei Padri, can. 5.
[194] EBEDJESUS (‘Awdisho‘) di Nisibin, Collectio Canonum Synodicorum, tr. V, cap. 10, pp. 81-83.
[195] FIEY, J. M., art. cit., p. 292.
[١٩٦] المصدر نفسه، ص ١٩٤. يُقال إنّ القدِّيسة فِيرونيا "كانت تنام على سرير خشبيّ يبلغ طوله ثلاثة أذرُع. وأحيانًا كانت تفترش الأرض، مُسرِفة في تعذيب جسدها". شهداء المشرق، ١/١١٤.

كان أفراهاط يقول إنّ الحياة الرهبانيّة هي –قبل كلّ شيء– حياة "تبتُّل" و "قداسة"[١٩٧]. فالبتوليّة – كما هو جَليّ في كلّ الوثائق– هي العنصر الأساس والمكوِّن الرسميّ للحياة المكرّسة. فهناك عدد لا يُحصَى من العذارى اللواتي فضَّلنَ الاستشهاد على التفريط بهذه الدُرَّة التي لا تُقدَّر بثَمن، وهي "العُذريّة (البتوليّة) المكرَّسة". من ذلك ما تخبرنا به قصّة حياة الديرانيّة مَرتا، وهي ابنة رجل كان يُدعى بوسّي، التي استُشهدت في عهد شاهبور الثاني، حينما عرض عليها الحاكم الزواج، وحاول إرغامها على التخلّي عن "ذلك الاسم اللعين: راهبة– ديرانيّة"، فإن قبلت فسوف تنجو من الموت؛ فما كان منها إلاّ أن أجابته بفخر وبثقة بالنفس أنّها مكرَّسة (نذرت حياتها) للمسيح في الرهبانيّة، وأنّها مستعدَّة أن تجود بحياتها شهادةً على وفائها وإخلاصها لهذا الالتزام[١٩٨]. إنّ تسمية "عذراء" هي مرادفة في اصطلاح الكنيسة لتسمية ابنة العهد، أو ديرانيّة، أو راهبة. أمّا فيما يخصّ نذر الفَقر، فحتّى لو لم تكُن هناك شروط مُلزِمة فإنّ النفوس المكرَّسة من خلال إنكارها العالم وتخلّيها عن أموالها وممتلكاتها تُجاهر ضمنًا بهذا النذر، حتّى وإن لم يكن محكومًا بقوانين وأنظمة. وكان البطريرك ساوريشوع قد قال: "إنّ التجرُّد والتخلّي عن الأموال يُعني الفقراء الحقيقيّين"[١٩٩].

يبدو أنّ الأشخاص المكرَّسين كانوا يتمتَّعون بشيء من الحريّة في الاحتفاظ بأموالهم، ولاسيَّما الممتلكات التي ورثوها عن أقاربهم[٢٠٠]. وفي الجزء الخاصّ بمراسيم الاحتفال بتكريس الراهبات (الديرانيّات) الواردة في كتاب الطقس الكلدانيّ نجد ذِكرًا للفقر الطوعيّ الذي تُلزِم به الراهبةُ نفسَها[٢٠١].

نأتي أخيرًا إلى "الطاعة" التي تُعَدّ المطلَب الأساس للحياة في الدير؛ فمِن غيرها لا نظامَ ولا انضباطَ يُمكن مُراعاتُهما. فضَوابط الدير تقتضي: طاعة القانون، طاعة الأسقف، وطاعة الرؤساء.

---

197 Aphraatis Demonstrations, ed. J. PARISOT, in Patrologia Syriaca, I, Paris 1894, col. 260. انظر: نصّ الجزء الأوّل من الفصل الثاني

١٩٨ شهداء المشرق، ١/٢٤٩– ٢٨٨؛ كلدو وآثور، ٢/٧٠–٧١.

١٩٩ انظر: أعلاه، ص ٢١، ومابعدها.

200 FIEY, J. M., art. cit., pp. 294-295.

٢٠١ في كتاب الرسامات (الحبريّات) الكلداني المحفوظ في مكتبة البطريركيّة الكلدانيّة، ص ٣١٤ ومابعدها؛ بطرس حدّاد، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩.

٧- الرئيسة

كانت تتولّى رئاسة كلِّ دير رئيسة تُدعى "ܐܡܐ" أي: أُمّ. أمّا الراهبات فيُدعَينَ "ܐܚ̈ܘܬܐ" أي: أخوات. وكانت الرئيسة- فضلاً عن تسمية أُمّ- تُدعى أيضًا "ܪܒܝܬܐ" أي: معلِّمة، و "ܡܪܬܐ" أي: سيِّدة، وكذلك "ܡܫܡܫܢܝܬܐ" أي: شمّاسة، و "ܪܫܝܬܐ" أي: رئيسة. وفي مراسيم الاحتفال بقصّ شعر الرأس للراهبات المبتدئات إيذانًا ببدء حياة جديدة، تقوم الراهبة المسؤولة- وتُدعى "ܪܫܐ ܕܕܝܪܐ" أي: رئيسة الدير- بنزع الثوب القديم عن الراهبة المبتدئة، وتُلبِسها الثوب الجديد الذي كان الأسقف قد باركه من قَبل، في حين يتابع الأسقف قصَّ شعر المبتدئات الأُخرَيات[٢٠٢]. لم تُحدَّد بدقَّة السجايا التي يجب أن تتحلَّى بها الأمّ الرئيسة، خلافًا لِما هي الحال فيما يتعلَّق برئيس الرهبان[٢٠٣]. ولكن يُمكن على أيّة حال تشخيص المزايا التي يجب توفُّرها في الرئيسة من خلال نصّ القانون التاسع لسينودس مار كوركيس الأوَّل (٦٧٦ م)، المُشار إليه سابقًا[٢٠٤].

لا نعلم بالتحديد كيف كان يتمّ اختيار الرئيسة: أَعَن طريق الانتخاب أم بوساطة التسمية (التعيين). فقد كانت "فُضلَى" الراهبات تُعَيَّن "للنهوض بمَهامّ الخدمة الكنسيّة"، فتُرسَم شمّاسةً. وكانت الرئيسة في الواقع هي التي تُكلَّف بهذا الواجب[٢٠٥].

وبما أنّ الرئيسة كانت حاصلة على رتبة الشمَّاسيَّة فقد كان لها الحقّ أن تترأسَّ وتقود صلاة الساعات التي كانت تُتلَى بانتظام مِن قِبل الراهبات. كما كانت تقوم بالإعداد الروحيّ للنساء الراشدات اللواتي يتهيّأنَ لتلقّي سرّ المعموديّة، وتمسحهنَّ بالزيت المقدَّس. فضلًا عن أعمال أخرى كانت تُوكَل إليها: فقد كانت تَمنح سِرّ "مَسحة المرضَى" إلى النساء والراهبات المريضات. وكانت تستطيع -في حال غياب الكاهن والشمّاس- أن تقوم "بمُناولة" أخواتها الراهبات والنساء وحتّى الأطفال ممَّن هم تحت سنّ الخامسة.

---

202 BO, III, 2, pp. 916-917.

203 EBEDJESUS (‘Awdisho‘) di Nisibin, Collectio Canonum Synodicorum, tr. VII, cap. 2,can. 1, p. 125.

٢٠٤ انظر: أعلاه ص،٣٨ وما بعدها.

205 BO, III, 2, p. 892.

وقد كان لها الحقّ أن تُمسك بقارورة الميرون، وتستعمل الزيت المقدَّس، وتأخذ بيدَيها إناء القربان المقدَّس المودَع في الحَنية الجانبيّة. ولكنّها لم تكن تستطيع أن ترفع بيدَيها وعاء القربان الموضوع على المذبح، أو تُعيد وضعه عليه، ولا حتّى أن تلمس المذبح؛ لِكَونها امرأة[٢٠٦]. وللسبب نفسهِ (أي لعدم استطاعتها الاقتراب من المذبح) فإنّ رسامتها لنيل رتبة الشمّاسيّة كانت تتمّ في الـ (ܒܝܬ ܪ̈ܘܡܐ) وهو دَرَج أمام بيت المقدس خارج نطاق باب المذبح[٢٠٧]. وكان من واجب الشمّاسات تعليم النساء، ولاسيَّما ما يتعلّق بتلقينهنَّ الفضائل والأعمال الصالحة[٢٠٨]. تعود آخر إشارة وردت حول الشمّاسات في الكنيسة الكلدانيّة إلى الكرمليّ توماس يسوع (Thomas de Jésus) عام (١٦٣١) بقوله: يُطلَق عليهنَّ ܡܫܡ̈ܫܢܝܬܐ أي "ديرانيّات أو شمّاسات" مُساعِدات[٢٠٩].

يجب أن ننتظر حتّى أوائل القرن العشرين لكي نشهد الولادة الثانية للحياة الرهبانيّة النسويّة بشكلها الجديد في الكنيسة الكلدانيّة، وهي مستوحاة من روح المؤسَّسات الدينيّة (الرهبانيّات) الغربيّة، كما سيأتي ذِكره في الفصل القادم.

---

[٢٠٦] المصدر نفسه، ص ٨٥١- ٨٩٢.

[٢٠٧] المصدر نفسه، ص ٨٥٠. (القستروما) في الهندسة المعماريّة للكنائس الكلدانيّة هو المنبر المرمريّ المعروف بِ "البيم" (ambone) حيث يجلس القارئون، ويكون خلال القدّاس معزولاً عن المقدِس بستار.

[٢٠٨] رتبة الرسامة الشمّاسيّة (للراهبات) في كتاب الحبريّات للبطريركيّة الكلدانيّة، ص ١٩٤؛ بطرس حدّاد، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣.

[209] THOMAS DE JESUS, Thesaurus Sapientiae Divinae in gentium salute procurando, Anvers, 1613,
BO, III, 2, p. 890 : انظر: الكتاب السابع، فقرة ١، فصل ٢، ص ٣٤٥.

الفصل الثالث

تجديد الحياة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانيّة

حين خُيِّلَ للجميع أنّ كلّ شيء قد ضاع، إذا بالروح الحاضر دومًا في الكنيسة ينفخ نسمة حياة جديدة في الكنيسة الكلدانيّة التي كانت قد أعلنت اتِّحادها بكنسية روما منذ عام ١٥٥٣ م. تلك الوحدة التي شهدت مُعاناةً كان سببُها انتكاسات سُرعان ما تمَّ تجاوُزها[٢١٠]. وأخذ اللقاء بين الكنيستَين يتعزَّز شيئًا فشيئًا، ولاسيَّما منذ القرن الثامن عشر حتّى أوائل القرن العشرين. وكان ذلك أوَّلًا بفضل جهود الآباء الكرمليِّين[٢١١] والكبّوشيِّين[٢١٢] ثمَّ الآباء الدومنيكان الإيطاليِّين منذ عام ١٧٥٠ حتّى عام ١٨٢٤، ليخلفهم الفرنسيّون منذ عام ١٨٤٠ حتّى اليوم[٢١٣]. ورجَّح هذا اللقاء كفّةَ الجماعة الرهبانيّة الكلدانيّة الجديدة التي عُرفت بالرهبانيّة الأنطونيّة الهرمزديّة، فضلاً عن معهدَي إعداد الكهنة (السمنير) في الموصل: سواءٌ كان المعهد البطريركيّ (معهد شمعون الصفا) الذي أسَّسه سنة ١٨٦٦ الراهب اللعازريّ (من ديار بكر) روفائيل مازَجي (ت ١٨٦٧)، أو المعهد السريانيّ – الكلدانيّ (معهد مار يوحنّا الحبيب) الذي أسَّسه الآباء الدومنيكان عام ١٨٧٨.

أوّلاً: الرهبان

يُحدِّثنا التاريخ في أوائل القرن التاسع عشر أنّ شابًّا كلدانيًّا يُدعى جبرائيل دَنبو، من مواليد ماردين/ تركيا، سنة ١٧٧٤، ينتمي لِأُسرة ثريَّة وعريقة في مسيحيَّتها، كان مصابًا بداءٍ عُضال؛ فنذر لله أن يترهَّبَ في حال شفائه من مرضه. وهكذا كان؛ فلم يتوانَ الشابّ دنبو عن الذهاب إلى لبنان عملًا بنصيحة

---

[٢١٠] انظر: الفصل الأوّل

[211] TISSERANT, E., art. Nestorienne (L' Église), col. 250.

[٢١٢] المصدر نفسه، سلسلة ٢٥٠-٢٥١.

[٢١٣] المصدر نفسه، سلسلة ٢٥٢- ٢٥٤؛ B. M. GOORMACHTIGH, Histoire de la Mission Dominicaine en Mésopotamie e tau Kurdistan depuis ses premières origines jusau'à nos jours, in Analecta Ordinis Praedicatorum, t. II, pp. 271-283, 405-419; III, pp. 79-88, 187-200, 533-545.

راهب كَرمليّ كان يتوقّع الخير الذي يُمكن أن تجنيه الكنيسة من إعادة بناء الحياة الرهبانيّة للكنيسة الكلدانيّة، فدخل جبرائيل عام ١٨٠٠ دير مار إشعيا للرهبان الأنطونيّين المارونيّين الذي يقع في قرية برمّانا (قضاء المتن/جبال لبنان)، على الرغم من عدم موافقة والدَيه على الأمر. وأكملَ الشابّ في ذلك الدير مرحلة الأبتداء، وبقيَ هناك عدَّة سنين حتّى جاهرَ بنذوره. ثمّ كان لجبرائيل أن يُصغي إلى نصيحة أخرى، وهي هذه المرّة لأحد الآباء اللعازريّين، فقرّر مغادرة الرهبانيّة الأنطونيّة ليؤسّس هناك جماعة رهبانيّة خاصّة بالكنيسة الكلدانيّة. وكان عليه –على أيّة حال– أن يبدأ بتهيئة الأجواء أوّلاً في بغداد ثمّ في الموصل وأخيرًا في ألقوش حيث عملَ في إدارة مدارس للأحداث. وبعد مرور خمس سنوات على هذه الأنشطة، وإثرَ طلبٍ متكرّر إلى متروبوليت الموصل مار يوحنّان هرمز لِيُمَكِّنَه من دير الربّان هرمز في ألقوش[٢١٤]، استطاع جبرائيل الحصول على حيازة الدير في ٢٣ آذار ١٨٠٨، ليجعل منه مركزًا لاستئناف مسيرة الحياة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانيّة. فكان له ما أرادَ، وأصبح لديه على مدى سنتَين ما يُقارب عشرين تلميذًا، كان يسري عليهم قانون الحياة الخاصّ بالرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة، فضلًا عن اللوائح والأنظمة التي يسير عليها الرهبان الأنطونيّين.

شَهِدَ يوم ١٤ نيسان ١٨١١ السيامة الكهنوتيّة لجبرائيل الذي انصرف تمامًا إلى التنشئة الروحيّة والدينيّة لرهبانه. غير أنّ عمله واجهَ معضلات، شأنَ كلّ الأعمال التي هي من صُنع الله؛ فقد تكالبت ضدّ الأب دنبو وضدّ أتباعه قوى الجحيم، ممّا اضطرّهم إلى النزوح عن الدير حتّى عام ١٨١٤. ثمّ عاد الأب جبرائيل ورهبانه إلى الدير بعد ذلك التاريخ، وشرَع بإعادة تعمير كنائس الدير، بدءًا بكنيسة الثالوث

---

[٢١٤] انظر: نصري، بطرس، ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، ج ١، ٢، الموصل ١٩١٣، ص ٤٠٦ ومابعدها؛ كجّو، سعيد، سيرة الأنبا جبرائيل دنبو، الموصل، ١٩٣٢؛ BELLO, S., La Congrégation de S. Hormisdas et l'Église Chaldéenne dans la première moitié du XIXe siècle, Orientalia Christiana Analecta 122, Roma 1939; جولاغ، يوحنّا، دير ربّان هرمزد في جبل ألقوش، في بين النهرين، ١، الموصل ١٩٧٣، ص ٣٩١– ٤١٦؛ حَيّي، يوسف، دير الربّان هرمزد، بغداد ١٩٧٧؛ يوسف، بطرس، مقال: Ormisda (Santo) in Dizionario degli Istituti di Perfezione, VI, ed. Paoline, Roma 1980, coll. 829-830. ؛ FIEY, J. M., Assyrie Chrétienne, II, pp. 533-541.

الأقدس، فكنيسة الورديّة المقدّسة، فكنيسة القدّيس أنطونيوس، وأخيرًا تمّ عام ١٨١٩ تعمير الكنيسة التي عُرفت بـ "الكنيسة الحمراء".

وبما أنّ الكنيسة الكلدانيّة كانت في ذلك الوقت تُعاني شِحَّة في الأشخاص من ذَوي الكفاءة؛ فقد اتَّجهت أنظارها نحو دير الربّان هرمزد لتختار من بين رهبانه رُعاةً للجماعة، ومُرسَلين كانت بحاجة إليهم سواء للخدمة الرعويّة أو لأعمال الرسالات في مناطق النساطرة.

وفي أوائل سنة ١٨٢٧ اتَّجه الأب جبرائيل إلى روما بعدَ أن زوّده القاصد الرسولي بييترو كوبّيريه (Pietro Copperie) برسائل توصية لغرض الحصول على مصادقة الكرسي الرسوليّ على عمله والاعتراف بالرهبانيّة بشكل رسميّ. واستطاع جبرائيل أثناء إقامته في روما أن يكسب ثقة ومودّة مجمع نشر الإيمان (Propaganda Fide) الذي أمعن النظر في طلبه خلال جلسة انعقاد المجمع في ١٠ آذار ١٨٢٨. وبعد دراسة وتدقيق الأنظمة والقوانين التي استمدّها الأب جبرائيل أساسًا من قوانين الرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة مُدخِلًا عليها تعديلات طفيفة، أقرّ المجمع في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩ آذار ١٨٣٠ شرعيّة الرهبانيّة وتمّت المصادقة على القرار.

وفي مُدّة غياب المؤسِّس اضطُرَّ الرهبان إلى النزوح عن الدير، ليس بسبب وباء الكوليرا الذي كان قد اجتاح الموصل فحسب، ولكن كذلك بسبب الحرب التي دارت رحاها بين حكّام العماديّة، فضلاً عن الاضطهادات التي وقعت بداخل الكنيسة الكلدانيّة نفسها؛ فسيقَ أسقف العماديّة مار يوسف أودو سجينًا إلى الموصل، واقتيدَ الأب يوحنّا (نائب الأب دَنبو) أسيرًا إلى دهوك؛ فارتأى الأب جبرائيل نقل مقرّ الرهبانيّة إلى لبنان. غير أنّ روما أمرَته بالعودة إلى ألقوش، لعلّه يتمكّن من إعادة السلام إلى داخل الكنيسة (١٨٣٠). وعند وصوله إلى بغداد قرّر المرور بالموصل ثمّ الاتّجاه إلى ألقوش ليؤدّي رسالته وليتمكّن من رؤية رهبانه (١٨٣٢). ولكنّه وقع أسيرًا إثرَ هجوم مفاجئ قام به باشا راوندوز محمَّد ميراكور، ثمّ قُتل في ١٥ آذار ١٨٣٣. ولم يتمّ العثور على جثمانه إلاّ بعد انقضاء ثلاثة أيّام عندما حطّت المعركة أوزارَها؛ فَوُورِيَ الثَرى في كنيسة مار ميخا في ألقوش. وفي عام ١٨٤٤ تمّ نقل رُفاته إلى دير الربّان هرمزد حيثُ دُفن هناك.

كان الأب دَنبو يرغب –قبل كلّ شيء– في الاستمرار بالسير وِفق روحانيّة الآباء الأوائل الذين عاشوا الحياة الرهبانيّة، ولاسيّما روحانيّة القدّيس أنطونيوس الذي أراد الأب جبرائيل أن يؤسِّس رهبانيّته في حمايته. شرع الأب جبرائيل في رسالته الرهبانيّة برفقة اثنين فقط من الإخوة، وعند وفاته كان عدد أعضاء الرهبنة يفوق الـ(١٢٠) عضوًا، من بينهم أربعة وخمسون كاهنًا وخمسة أساقفةٍ. وهو عدد له دلالته الخاصّة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ عدد مؤمني الكنيسة الكلدانيّة آنذاك لم يكن يتجاوز مئتَي ألف شخص.

كان الأب جبرائيل رجلاً مؤمنًا متواضعًا غَيورًا وذا إرادة صُلبة في متابعة السير لتحقيق مقاصده ومشاريعه من أجل خير الكنيسة. لذلك نجده قد أمضى السنوات الأخيرة من حياته يعمل جاهدًا في سبيل انضمام النساطرة إلى الكنيسة الكاثوليكيّة، هذه الرسالة التي ما لبثَ أن سلّمها إلى إخوته في الرهبنة وأوكلَها إليهم؛ فأضحوا من بعده الرُسل الجُدد في العصر الحديث من تاريخ الكنيسة الكلدانيّة، مُقتَفين آثار إخوتهم الذين عاشوا الرسالة في القرون الماضية[٢١٥]، عملاً على تثبيت المؤمنين الكاثوليك؛ ففتحوا المدارس في القُرى، وأدخلوا إليها التعاليم والممارسات الروحيّة الكاثوليكيّة: كتلاوة الورديّة المقدَّسة، وإكرام العذراء سيِّدة الكرمل، وقلب يسوع الأقدس؛ بُغية الإسراع في تحقيق اتِّحاد النساطرة بالكنيسة الكاثوليكيّة.

كانت حياة الرهبان الأوائل شديدة القساوة، على وِفق ما جاء في تقرير القاصد الرسولي في سوريا الأب الفرنسيسكانيّ فرانشيسكو فِيلارديلّ (Francesco Vilardell) إثرَ زيارته الرسوليّة للدير في ١٨ حزيران ١٨٤٠. فالرهبان كانوا يعيشون في مغاور الجبال[٢١٦] حيث لا يوجد إلاّ صومعة واحدة مُسَقّفة وأربع كنائس صغيرة[٢١٧]. وكانوا يقتاتون على ما تُنتجه الأرض التي كانوا يعزقونها ويزرعونها بأيديهم، وقد يستعطون من حين لآخر متجوِّلين في القرى الكلدانيّة. كان طعامهم متواضعًا جدًّا، ولم يكونوا ليذوقوا اللحم إلاّ مرَّتين في السنة.

---

[٢١٥] انظر أعلاه: كلّ من الفصلين الأوّل والثاني.

[٢١٦] نصري، بطرس، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠٧، يُشير إلى وجود أكثر من مئة مغارة نُحِتَت في الصخور لإقامة الرهبان، منها ما يمكن معاينته حتى الآن.

[٢١٧] هي الكنائس الوارد ذِكرها في أعلاه.

في عام ١٨٤٤ تمّت مراجعة عدّة طلبات لاستثناء عدد من النقاط التي يحتويها قانون الرهبانيّة المصادَق عليه سنة ١٨٣٠. وفي ٢٨ أيلول ١٨٤٥ مُنِحَت الرهبانيّة اسم "جمعية القديس هرمزد لرهبانية القديس أنطونيوس"، وأصبحت مدّة الابتداء سنتَين، وتمّ تخفيف صرامة الأنظمة والقوانين الأصليّة للرهبانيّة: فقد أُبيحَ للرهبان تناوُل أطعمة دسمة في الأوقات التي يُسمح بها ذلك للمؤمنين عامّةً؛ نظرًا لشحّة الأطعمة الهزيلة. كما سُمِحَ لهم بنزع الثوب الرهبانيّ عند الخلود إلى النوم. وأولئك الذين ليسوا كهنة لم يَعودوا مُلزَمين بتناول القربان المقدَّس في الأيّام الملزِمة. وغدا مسموحًا للمُهتَدين أن يدخلوا الرهبانيّة. أمّا الرهبان الكهنة الذين يخدمون في الرعايا (الخورَنات) فعليهم العودة من حين لآخر إلى أديرتهم. ويجب على الجميع تلاوة صلاة الساعات، مع الإبقاء على نظام السَفر برفقة أحد الإخوة[٢١٨].

قام غريغوريوس السادس عشر (١٨٣١-١٨٤٦) بالمصادقة النهائيّة على القانون وعلى الاسم الجديد للرهبانيّة من خلال الرسالة الحَبريّة "مؤسّسة الرهبان" (Breve Monachroum Instituta) بتاريخ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٨٤٥. وفي الوقت عينه خصَّص مجمع نشر الإيمان عددًا من المقاعد الدراسيّة لمنتَسبي الرهبانيّة في الكليّة الأوربانيانيّة.

وبعد الأزمة الناتجة عن قضيّة الملبار[٢١٩]، والتي عمَّت الجماعة الكلدانيّة بأكملها، أصبح من الضروريّ إجراءُ عدد من الإصلاحات، كان بطَلُها الأب شموئيل جميل الذي أُعيد انتخابه ثلاث مرّات رئيسًا عامًّا للرهبانيّة (منذ عام ١٨٨١ حتّى عام ١٩١٨)، ثمّ عُيِّنَ نائبًا بطريركيًّا (للكنيسة الكلدانيّة) لدى الكرسي الرسوليّ، حيث تمكَّن من جمع ونشر مجموعة مستندات ووثائق هامّة حول العلاقات بين الكرسي الرسوليّ والكنيسة الكلدانيّة، تحت عنوان: "العلاقات الأصيلة بين الكرسي الرسولي والكنيسة الكلدانيّة أو الآثوريّة أو الشرقيّة" (Genuinae Relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientalium seu Chaldaeorum Ecclesiam)، طُبعت في روما من

[218] Cfr. DAUVILLIER, J., Chaldéen (Droit), in DOC, III (1942), coll. 375.

[٢١٩] انظر أعلاه: الفصل الأوّل، وجريدة المصادر.

قِبل Ermanno Loescher & C.، ١٩٠٢، وهي مجموعة وثائق تتضمّن: رسائل، براءات، رسائل حَبريّة، صورة إيمان، وما إلى ذلك ممّا جُمع منذ عام ١٢٨٤ حتّى عام ١٩٠٠.

ما تزال الرهبانيّة الأنطونيّة الهرمزديّة الكلدانيّة ماضية في مسيرة حياتها، مستمرّة في خدمة الكنيسة الكلدانيّة، سائرة على خُطى روحانيّة مؤسِّسها، سعيًا إلى حياة تأمُّليّة ورسوليّة في آنٍ معًا، تنشطُ في ميادين الرسالات والمدارس والوعظ[٢٢٠]. وهي تضمّ في الوقت الحاضر ٦٥ راهبًا، و٢٢ قِسِّيسًا، وأُسقفَين.

ثانيًا: الراهبات الديرانيّات (المتوحّدات)

تأخّرت الصحوة الرهبانيّة النسويّة قرنًا كاملاً من الزمن قياسًا لصحوة الرهبانيّة الرجاليّة. ومن الجدير بالذِكر أنّ عبادة القلب الأقدس –بشكل خاصّ– كانت وراء إيقاد تلك الشُعلة الحيّة الكامنة في قلوب النساء الكلدانيّات، والمتمثِّلة بالانخراط في سلك الحياة الرهبانيّة. وكان رسول العناية الإلهيّة لإرساء دعائم الحياة الرهبانيّة الجديدة في أبرشيّة العماديّة للكلدان، الأب عبد الأحد ريِّس الذي أسَّس عام ١٩١١ الرهبانيّة الأبرشيّة لِـ "بنات قلب يسوع الأقدَس"، موضوع هذه الدراسة، والتي سنتحدّث عنها في الفصل القادم.

كما تمّ تأسيس رهبانيّة ثانية في بغداد بتاريخ ٧ آب ١٩٢٢، تُعرَف بِـ "الراهبات الكلدانيّات بنات مريم الطاهرة"، على يد غبطة البطريرك مار يوسف عمّانوئيل الثاني توما، بمساعدة قِسِّيسَين غَيورَين، هما الأب أنطون زبوني والأب فيلبّس شوريز، وكانا ينتميان للأبرشيّة البطريركيّة. وهي رهبانيّة ذات حقّ بطريركيّ تتّخذ من تربية وتعليم العناصر الشابّة هدفًا لها، فضلاً عن ممارسة مختلف أعمال المحبّة والرسالة الخورنيّة[٢٢١]. وتُشير الإحصاءات الأخيرة التابعة للرهبانيّة إلى أنّها تتكوّن من ١٤٥ راهبة، وانّ عدد أديرتها

[220] ANNUARIO PONTIFICIO, Città del Vaticano, 1988, p. 1266.

[221] ORIENTE CATTOLICO, 4ª ed., Città del Vaticano, 1974 (Sacra Congregazione per le Chiese Orientali), p. 687; Dizionario degli Istituti di Perfazione, III, ed. Paoline, Roma 1976, coll. 1625-1626.

هو ٢٢ ديرًا، موزّعة ما بين العراق وسوريا ولبنان والكويت ودُبَي وأبو ظبي وإيران والولايات المتَّحدة الأمريكيّة. أمّا الدير الأُمّ (الدير الرئيس) فمقرّه في بغداد– العراق.

ولا نغفل أخيرًا عن ذِكر رهبانيّة ثالثة تُعرف باسم "الراهبات الدومنيكيّات للقدِّيسة كاترينا السيانيّة" التي أسّسها الأب بيّو دُوميني الدومنيكي عام ١٨٩٤ لمساعدة الرسالة الدومنيكانيّة في الموصل، العاملة في حقل تربية وتثقيف الشباب. وهي في نطاق الرهبانيّة الثالثيّة للدومنيكان، كما أنّها تتّخذ الثوب الدومنيكاني ذاته زيًّا رسميًّا لها. وكانت هذه الجمعيّة قد انضمّت رسميًّا إلى الرهبانيّة الدومنيكانيّة الأُمّ عام ١٩٢٧، وحصلت على المرسوم الاعتيادي في الموافقة على مشروع الرهبانيّة من مجمع الكنائس الشرقيّة عام ١٩٢٨، والمصادقة النهائيّة من قِبل الكرسي الرسولي عام ١٩٣٦. وتخضع الرهبانيّة لسلطة الكرسي الرسولي بشخص ممثّله في العراق، وكذلك خلال للرئيس العامّ للدومنيكان بوصفه مساعدًا كنَسيًّا لمتابعة كلّ ما يتعلّق بتنشئتهنّ الروحيّة. وهي رهبانيّة متعدِّدة الطقوس، فالراهبات ينتمينَ إلى ثلاثة طقوس مختلفة: الطقس الكلداني واالطقس السرياني والطقس الأرمني[٢٢٢]. وتُشير الإحصاءات الأخيرة إلى أنّ عددهنّ يبلغ ١٦٠ راهبة، أمّا عدد الأديرة فهو ٢٠ ديرًا.

[222] ORIENTE CATTOLICO, pp. 648-649.

الباب الثاني

رهبانيّة

بنات قلب يسوع الأقدس

الفصل الأوّل

التأسيس

١– أبرشيّة العماديّة:

تحوّلت أبرشيّة العماديّة إلى الكثلكة في القرن السابع عشر[٢٢٣]، ولكنّها ما لبثت أن عادت إلى النسطوريّة على يد البطاركة الذين سقطوا في الفخّ أكثر من مرّة، والذين كانوا يبسطون سلطتهم على منطقة كوردستان بأكملها، حيث تقع العماديّة[٢٢٤]. ولكنّها عادت في القرن التالي لتنضمّ مجدّدًا إلى الكنيسة الكاثوليكيّة في عهد مار يوحنّا هرمز. وكما رأينا سالفًا، فقد اعترف الكرسي الرسولي بهذا الحَبر الذي اتّحد بكنيسة روما عام ١٧٧٨، ومُنِحَ لقب ميتروبوليت الموصل. وفي ٥ تمّوز ١٨٣٠ نصّبه البابا بيوس الثامن بطريركًا على الكلدان. كان مار حْنانيشوع (١٧٨٥– ١٧٩٠) أوّل أسقف كاثوليكيّ على العماديّة، وكان هو أيضًا –شأن مار يوحنّا هرمز– ابن أخ البطريرك النسطوري مار إيليّا الثالث عشر إيشوعياو، وهو الذي كان قد سامَهُ أسقفًا على العماديّة

---

[٢٢٣] في رسالة الوحدة التي حُرِّرت في ٢٢ تشرين الثاني ١٦٦٩ من قِبل البطريرك مار إيليا الثامن، والموجّهة إلى البابا كليمنضوس التاسع، نجد من بين الأساقفة الموقّعين مار عوديشوع متروبوليت العماديّة: " Ego Abedjesu Dei gratia metropolita Amedensis" في GR، ص ٥٤٠.

[٢٢٤] العماديّة: مدينة في كوردستان العراق، تقع على مسافة ١٦٠ كم شمال الموصل، في حوض گارا (الرافد الأيمن للزاب الكبير). تتربّع المدينة على تلّ مرتفع، وتُشرف عليها قلعة شُيِّدَت على صخرة صلبة وَعِرَة. ويتموضَعُ هذا الحصن في نقطة تسمح له بإحكام سيطرته على ما حوله: فمن الشرق يُهيمن على المناطق التي ترتبط بوديان الروافد اليُسرى للزاب الكبير (شمدينان، روكوجك، راوندوز). ومن الغرب يُحكم قبضتَه على الممرّات التي تنحدر عبر حوض الخابور. ووفقًا لما يرويه المؤرِّخ ابن الأثير (١١٦٠– ١٢٣٤) م، فإنّ الحصن اتّخذ اسمه من اسم الأمير عماد الدين زنكي الذي شيّده عام ١١٤٢م على أنقاض قلعةٍ أقدم منه كانت تُدعَى أشب (الكامل في التاريخ، ٩/٦٠). انظر: Encyclopédie de l'Islam، ١، طبعة فرنسيّة جديدة، Leyde– باريس، ١٩٦٠، ص ٤٣٨– ٤٣٩.

والجزيرة ضدّ ابن أخيه الآخر العائد إلى الكثلكة مار يوحنّا هرمز، ولكن سُرعان ما تخلّى مار حْنانيشوع عن النسطوريّة معتنقًا العقيدة الكاثوليكيّة. وكانت أبرشيّة العماديّة آنذاك تضمّ كذلك كُلاً من أبرشيَّتَي عقرة وزاخو.

اعتلى كرسي الأبرشيّة من بعده مار متّاي شمعون (١٧٩١ –١٨١٨)، وهو ابن أخ مار يوحنّا الثامن هرمز، وقد سيمَ أسقفًا على العماديّة عام ١٧٩١ متّخذًا له اسم "شمعون". وكان غيورًا على عقيدته، ومشجّعًا للكثلكة في تلك المنطقة.

تابعت سلسلة الأساقفة الكاثوليك سَيرها مع مار باسيليوس أسمر (١٨٢٤– ١٨٢٨) الذي أعقبه أحد رهبان دير الربّان هرمزد، وهو مار يوسف أودو (١٨٣٣– ١٨٤٧) الذي انتُخب فيما بعد بطريركًا، متّخذًا له اسم "مار يوسف السادس أودو". وبعد اعتلائه كرسي البطريركيّة اختار الراهب عوديشوع توما ديرتشو (١٨٥١ –١٨٥٩) أسقفًا يخلفه على أبرشيّة العماديّة، مُجتزئًا منها منطقتَي عقرة وزاخو اللتَين أصبحتا أبرشيّتَين جديدَتين.

بعد ثلاث سنوات عُيِّنَ عبديشوع خيّاط أسقفاً لأبرشية العمادية للأعوام (١٨٦٠ –١٨٦٣) ثم نائبًا بطريركيًّا عامًّا للأعوام (١٨٦٣ –١٨٧٣)، ثمّ نُقل إلى ديار بكر فمكث فيها حتّى انتخابه بطريركًا سنة ١٨٩٤ باسمِ عبديشوع الخامس، وتوفي في بغداد سنة ١٨٩٩.

إثر مغادرة مار عبديشوع خيّاط أبرشيّته وقع الاختيار على راهب آخر خلفًا له، وهو مار متّاي شَمّينا (١٨٧٤–١٨٧٩)؛ فسيمَ أسقفًا متّخذًا اسم "مار بولس". ثمّ نُقل إلى زاخو سنة ١٨٩٧، ومكث فيها حتّى عام ١٨٨٥ حين تمّ نقله إلى سنندج في إيران بتعيينه نائبًا بطريركيًّا هناك، حيث وافاه الأجل عام ١٨٩٣؛ فأعقبه في أداء المهمّة أسقف زاخو مار قرياقوس– كوركيس گوگا (١٨٧٩ –١٨٩٣) الذي أدار الأبرشيّة أسقفًا لمدّة ١٤ عامًا، ليقدِّم بعدئذٍ استقالته سنة ١٨٩٣. ثمّ عُيِّن هو الآخر نائبًا بطريركيًّا لأبرشيّة سنندج – إيران حيث مكث حتّى وفاته في كانون الثاني ١٩١١. أمّا خلَفُه مار إيليّا يوسف

خيّاط (١٨٩٤-١٨٩٥) فإنّه قبل أن يتسلّم مهامّ عمله في الأبرشيّة انتُخِبَ نائبًا بطريركيًّا عامًّا سنة ١٨٩٥، وانتقل إلى أبرشيّة كركوك الكبرى عام ١٩٠٠ حيث تُوفِّيَ في ٢ شباط ١٩٠٣.

وفي سنة ١٨٩٥ تمّ تنصيب أسقف عقرة آنذاك مار يعقوب حنّا سحّار (١٨٩٥-١٩٠٩) أسقفًا على العماديّة التي أُعيدَ ربطُها مرّة أخرى بأبرشيّة عقرة؛ فأدار شؤون الأبرشيَّتين معًا حتّى وفاته عام ١٩٠٩.

المثلث الرحمات مار فرنسيس داؤد

خلَفًا لمار يعقوب حنّا سحّار تمّ تعيين مار فرنسيس داوُد (١٩١٠-١٩٣٩)، وهو أوّل أسقف من مواليد أبرشيّة العماديّة بالتحديد؛ فقد وُلِدَ في ١٤ تشرين الأوّل ١٨٧٠ في أرادن، وهي بلدة كبيرة تقع في وادي صَبنا المترامي الأطراف، ودخل عام ١٨٨٢ المعهد الكهنوتي السرياني - الكلداني في الموصل، وكانت سيامته الكهنوتيّة في ٤ حزيران ١٨٩٣ بوضع يد غبطة البطريرك مار إيليّا الرابع عشر عبّو اليونان. تمّ بعدها تعيين الكاهن الشابّ مدرِّسًا وأبًا روحيًّا في كلّية دير مار ياقو[٢٢٥]. وهناك أُتيح له معاينة المهامّ التي كانت تنهض بها راهبات التقدمة[٢٢٦] خدمةً للآباء الدومنيكان وللتلاميذ. وبما أنّه كان يفكِّر في ضخامة العمل الرسوليّ الذي ينتظره

[٢٢٥] مار ياقو: قرية تقع على الجبل الأبيض، بالقرب من مدينة دهوك. وكان الآباء الدومنيكان قد استقرّوا فيها عام ١٨٤٧ وشيّدوا مدرسة للعمل الرسولي بين النساطرة (الآشوريِّين) في الدير القديم لمار ياقو (للمعلومات عن هذا الدير انظر: AC، ٢، ص ٧٠٧- ٧٣٧). وكانت تلك المدرسة كذلك مصيفًا للآباء الدومنيكان ولتلاميذ معهدهم الكهنوتي حتّى عام ١٩٦٢ عندما أُرغِموا على مغادرتها بسبب الحرب الكرديّة ضدّ الحكومة العراقيّة، وقد دُمِّرَ المبنى بعد ذلك تدميرًا كاملاً ولم يُترَك فيه حجرٌ على حَجر.

[٢٢٦] في عام ١٨٧٥ بناءً على طلب من الآباء الدومنيكان جاءت راهبات التقدمة الدومنيكيّات إلى الموصل لإدارة مدارس لتعليم البنات، حيث كانت تُقدَّم- فضلاً عن المناهج الدراسيّة المقرَّرة- دروسٌ في الخياطة والتطريز. كما كانت الرهبانيّة تؤدّي خدمات للمعهد الكهنوتي السرياني- الكلداني المعروف بمعهد مار يوحنّا الحبيب.

في الأبرشيّة؛ فقد أدرك حقيقة المساهمة التي تستطيع الراهبات تقديمها لتيسير العمل هناك، على ضوء ما اتّضح له مُدَّةَ تواجدِهِ في تلك المؤسّسة الرسوليّة (مار ياقو) التي كانت لسنين عديدة المدرسة الوحيدة في جبال كوردستان.

وبعد مضيّ أربع سنوات عاد مار يعقوب حنّا سحّار إلى الأبرشيّة باستدعاء من الأسقف ذاته؛ لكي يساعد الأب المُسِنّ هرمز داوُد قاشا المسؤول عن خورنة أرادن التي كانت آنذاك مقرّ الأسقف. وهنا نجد الكاهن الشابّ فرنسيس يزجُّ بنفسه في ميادين التعليم والوعظ، ويقوم بتنظيم وإدارة الأخويّات والجمعيّات الخورنيّة بعناية بالِغة وغيرة متّقدة. ويعود لتلك الحقبة كلٌّ من "كتاب التعليم المسيحي" و "الشهر المريمي"، وهما مكتوبان باللغة الكلدانيّة المحليّة التي يُطلق عليها الـ "سُوْرَث" و"ܝܪܚܐ ܕܡܪܝܡ"[٢٢٧]، وكانا قد طُبعا في مطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل.

في عام ١٩٠٩ تمّت تسميتُه وكيلاً عامًّا للأبرشيّة، ثمّ اختيرَ أسقفًا لأبرشيّة العماديّة في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٠، بعد أن فُصلت عن أبرشيّة عقرة في ٢٤ شباط ١٩١٠- إثرَ وفاة مار يقعوب حنّا سحّار- ليصبح اسمها أبرشيّة العماديّة وشمكان. وفي ١٥ آب سيمَ مار فرنسيس أسقفًا بوضع يد غبطة البطريرك مار يوسف عمّانوئيل الثاني توما، في كاتدرائيّة الشهيدة مسكنتة للكلدان في الموصل.

امتاز مار فرنسيس في طبيعة خدمته الأسقفيّة عن غيره بفضل الأنشطة الراعويّة التي كان يُمارسها في مختلف المجالات التربويّة وأعمال المحبّة (الأعمال الخيريّة) والمساهمات الاجتماعيّة من ذلك: إنشاء المدارس ومساعدة الفقراء والمعوزين من أبناء الأبرشيّة في أوقات الضيق، فضلاً عن تشجيعه الدعوات الكهنوتيّة والرهبانيّة التي منحها جُلَّ طاقته. كما حاول أن يؤمِّن للأبرشيّة كادرًا من الكهنة المتعلِّمين والجديرين بالاحترام؛ نظرًا لأنّ كاثوليك كوردستان كانوا يعيشون في أجواء توجب على الكاهن أن يتمتّع بتنشئة وتأهيل جيِّدَين، وأن يكون أهلاً للعمل الرسولي.

---

[٢٢٧] السورَث الذي يُعرف أيضًا بـ "ليشانا سواديا": هي اللغة المحكيّة للمسيحيّين الكلدان والسريان والآشوريّين، وهي اللهجة العاميّة للغة الآرامية المتداولة حتّى الآن في العراق وإيران وتركيا وسوريا، فضلاً عن بلدان المهجر.

وفي خضمِّ هذا العمل كان مار فرنسيس دائم التفكير بإمكانيّة وجود مؤسّسة أو جمعيّة نسويّة محلِّيّة من شأنها أن تُسهم في تيسير النشاط الرسوليّ في الوسط النسائيّ، وهو أمر لم يكن سهلاً في تلك البيئة المغلقة والمتأخِّرة آنذاك. فما انفكَّ يُشجِّع الأب الفاضل عبد الأحد رَيّس مساعده في خورنة أرادن على تأسيس جمعيّة نسويّة بإمكانها أن تقوم بهذا العمل الرسولي الحسّاس والصعب في آنٍ معًا، وكان يدعمه مادِّيًا ومعنويًّا للنهوض بهذه المهمّة الرسوليّة. إلاّ أنّ هذا الراعي الغيور تلقّى حكمًا بالسجن من قِبل السلطات العثمانيّة، إثْرَ اتِّهامات ذات خلفيّة سياسيّة؛ فأُقصِيَ عن أبرشيّته وأُرسلَ إلى الموصل حيث بقيَ حتّى حطّت الحرب العالميّة الأولى أوزارَها (١٩١٤– ١٩١٨)، ولم يستطع العودة إلى بلدته إلاّ بعد أن سيطر الجيش البريطانيّ على مدينة الموصل. عاد مار فرنسيس إلى أبرشيّته في ٢٢ كانون الأوّل ١٩١٨ ليواجه صعوبات جديدة وليمرَّ بتجارب أخرى بسبب الاضطرابات وأعمال الشغب التي نتجت عن المصادمات بين العشائر الكرديّة والانكليز؛ ممّا اضطرّ الناس إلى مغادرة قراهُم والنزوح إلى القرى الكلدانيّة التابعة لمدينة الموصل طلبًا للُّجوء فيها، حيث أقاموا من عام ١٩١٩ حتّى عام ١٩٢٢.

إثرَ مسيرةِ حياة حافلة بالعمل الرسولي وبكل ما يُشهد له بالجدارة والكفاءة، وبعدما أبصر تأسيس ونشأة رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس التي أعدّ لها وأرادها، لفظَ أنفاسه الأخيرة في أرادن، في الأوّل من تشرين الأوّل ١٩٣٩، فَوُرِيَ جثمانه الثرى ليرقد في سلام الربّ في كاتدرائيّة أرادن[٢٢٨].

[٢٢٨] النجم، مجلّة البطريركيّة الكلدانيّة، الموصل، ١٩٢٩، ١٩٣٠، ١٩٣٢، ١٩٣٤، ١٩٣٦، ١٩٣٨؛ يوميّات مار فرنسيس داود (مخطوط محفوظ في عُهدة الأستاذ شمعون داود ابن أخ الأسقف، يضمّ يوميّاته ما بين ١٩١١– ١٩٣٩)؛ مراسلات مار فرنسيس داود (محفوظة في عُهدة الأستاذ شمعون داود)؛ أوراق متنوعة كتبت بخطّ وبتوقيع الأب عبد الأحد ؛ سجلّ الوقائع التابع لمعهد مار يوحنّا الحبيب السرياني– الكلداني في الموصل؛ ألبير أبونا، آداب اللغة الآراميّة، ص ٥٦٣– ٥٦٤.

٢- مؤسِّس الرهبانيّة الأب عبد الأحد رَيّس:

إنّ مؤسِّس رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس هو الأب عبد الأحد رَيّس (١٨٧٩- ١٩١٦). وهو ابن سَمّانو (سمعان) گاورييل (جبرائيل) رَيّس. وُلد في أرادن، ومُنح اسم "شابو" في المعموديّة (وهو تصغير لاسم "خوشابا" بالكلدانيّة، الذي يعني عبد الأحد). نشأ عبد الأحد في كَنَف أُسرة متأصِّلة في الكثلكة[٢٢٩]، ودخل منذ حداثة سنِّه مدرسة القرية التي كان يُديرها شَمّاشا إيليّا هومو الألقوشي[٢٣٠]، وكان تلميذًا للإكليريكيّ فرنسيس داوُد في دروس الليتورجيّا التي كان يُعدُّها باللغتين الكلدانيّة والعربيّة خلال عُطلاته الصيفيّة، ويخصّ بها الصبيان في قريته أرادن.

ونظرًا لعطفه الكبير على جميع الناس ولذكائه اللامع فقد وقع عليه اختيار الرؤساء؛ فأُرسل عام ١٨٩٤ إلى المعهد الكهنوتي السرياني- الكلداني للآباء الدومنيكان في الموصل، حيث تابع شابو دراسته في مضمار الكنيسة، وكان بارعًا في كلّ دروسه، كما تعلّم -فضلًا عن اللغات: العربيّة والكلدانيّة والكرديّة- كلاًّ من: الفرنسيّة واللاتينيّة والتركيّة.

وبما أنّه كان بطبعه وَرِعًا ومتواضعًا فقد ظنّ في نفسه أنّه غيرُ أهلٍ لنَيل سرّ الكهنوت؛ فقرّر دخول الدير ليصبح راهبًا في الرهبنة الكلدانيّة في دير السيّدة حافظة الزروع (ألقوش)، حيث كان يوجد أحد

---

[٢٢٩] أُسرة رَيّس هي أوّل أسرة اعتنقت المذهب الكاثوليكيّ في أرادن؛ ولهذا السبب تمّ إقصاؤها عن القرية، ولم تستطع العودة إلاّ بعدما انضمّ معظم أبناء القرية إلى الكنيسة الكاثوليكيّة.

[٢٣٠] شَمّاشا: هي التسمية التي تُطلق على الشمامِسَة والمتأهِّلين لرتبة الشمّاسيّة. وهي لفظة من أصل كلدانيّ (ܡܫܡܫܢܐ) اي الخادم، وتُطلق كذلك على معلّمي التربية الدينيّة.

أقربائه، وهو الأخ اسطيفانوس الذي عُرِفَ بفضائله وحياته الزهديّة التي شهد له بها الفتى شابو. ولكن بعد مدّة قصيرة أمضاها شابو في الدير تأكّد رؤساؤه أنّه مدعوٌّ ليسلك طريقًا آخر، ويحيا حياةً أخرى، وهي حياة الرسالة في الأبرشيّة حيث شاء له الربّ أن يغدوَ أبًا روحيًّا لنفوس كثيرة كرّست حياتها لله بفضله هو.

وهكذا، فقد أصبح شابو قِسّيسًا، وكانت سيامته الكهنوتيّة بتاريخ ١٥ أيّار ١٩٠٤ مُتّخذًا اسم "عبد الأحد"[٢٣١]. وشهد ذلك اليوم أيضًا السيامة الكهنوتيّة لرفيقه يوسف غنيمة الذي أضحى فيما بعد بطريركًا على الكلدان (١٩٤٧– ١٩٥٨). وتمّت سيامتهما بوضع يد مار يوسف عمّانوئيل الثاني توما بطريرك بابل على الكلدان.

وما أن وصل الأب عبد الأحد إلى الأبرشيّة حتّى عُيِّنَ مساعدًا للأب فرنسيس داوُد في خورنة أرادن. وهنا تبنّى القسّيس الشابّ منهاجًا لحياته لا يختلف كثيرًا عن الحياة في المعهد الكهنوتيّ: فقد كان وقته مقسّمًا بين الصلاة الشخصيّة والصلاة الجماعيّة[٢٣٢] والعمل الذي كان معظمه في نطاق التعليم في مدرسة البنات صباحًا، والانصراف إلى المحاضرات والمواعظ التي كان يوجّهها إلى شباب القرية مساءً. كان حاضرًا باستمرار في منبر الاعتراف ليستقبل النفوس التي كانت بحاجة لِنَيل المغفرة الإلهيّة، والنُصح لسلوك حياة مسيحيّة حقيقيّة. كما كان مستعدًّا دائمًا لمساعدة أولئك الذين كانوا يسألونه المشورة والإرشاد.

---

[٢٣١] كان الأب المؤسِّس يُعرف– من خلال كتاباته وبين أوساط المؤمنين– باسم "أبلحد"، كما هو مُدوَّن في مخطوطاته. و "أبلحد" هو اختصار لاسم "عبد الأحد".

[٢٣٢] كان شائعًا بين أوساط الطائفة الكلدانيّة التي تقطن القرى وعددًا من المدن تلاوة صلاة الفرض مرتّلةً بشكل جماعيّ (كورال) صباحًا ومساءً، يشترك فيها رجال الدين (الاكليروس) وجماعة المؤمنين. وهذا التقليد ما يزال جاريًا في كثير من المراكز ذات الأغلبيّة الكلدانيّة، ولاسيّما في القُرى.

ونظرًا لاتّساع مجال العمل الرسوليّ الذي ترامَت أطرافُه على مرأى من الكاهن الشابّ، وشحّة عدد العاملين في "حقل الربّ"؛ فقد حاول الأب عبد الأحد أن يجمع حوله عددًا من شباب القرية الذين تدارس معهم فكرة إنشاء رهبانيّة رجاليّة للنهوض بمتطلّبات العمل الرسوليّ. واستطاع في وقت قصير أن يستقطب ستّة شباب، وشرعَ يلقّنهم مبادئ الروحانيّات ويُعدّهم للحياة الرهبانيّة زاجًّا بهم في رحاب الصلاة والعمل في الحقول، ولا سيّما الكُروم التي كانت منتشرة في وادي صَبنا. غير أنّ التجربة باءت بالفشل؛ فحزن القسّيس الشابّ لذلك الأمر حزنًا شديدًا وأسِفَ له أكبرَ الأسف، ولكنّه- على الرغم من كلّ شيء- لم يتخلَّ عن مشروعه.

وكان الأب فرنسيس داوُد قد طلب -من قَبلُ- إلى رئيس الجماعة الدومنيكانيّة في الموصل الأب دومنيك بيريه (Domenico Béret) الذي أصبح بعدئذٍ قاصدًا رسوليًّا أن يُرسل عددًا من الفتيات لينخرطنَ في الحياة الرهبانيّة عند راهبات التقدمة في الموصل. لكنّ الأب بيريه فضّل بحدس ذكيّ أن يُصارَ إلى تكوين جماعة صغيرة من الراهبات المولودات أصلاً في المنطقة؛ لينهضنَ برسالة التعليم والتنشئة الدينيّة والمهنيّة لفتيات الأبرشيّة ولعموم مناطق جبال كوردستان.

وبعدما حطّ الأب عبد الأحد الرِحال في الأبرشيّة قرّر الاثنان معًا المضيّ قُدُمًا في تشكيل هذه الجماعة، وذلك بتأسيس رهبانيّة نسائيّة تلبيةً لاحتياجات الأبرشيّة؛ فقاما عام ١٩٠٧ بتقديم طلب إلى الأسقف مار يعقوب حنّا سحّار. إلاّ أنّ الإجابة جاءت بالنفي لأسباب اقتصاديّة، فضلاً عن عدم وجود محلّ إقامة ملائم يفي بالغرض. فما كان منهما إلاّ أن أعادا تقديم الطلب في السنة التالية، بعد أن تجاوزا العوائق المانعة: فقد استطاعا الحصول على تمويل لتأمين معيشة الراهبات، كما وجدا المحلّ الملائم لسُكناهنّ، وإن كان لمدّة محدودة. عندئذٍ اقتنع الأسقف برجاحة المشروع وبعقلانيّة الحلّ؛ فوافق ومنحهما الإذن، متنازلاً لهما عن المبنى القديم للمطرانيّة الكائن فوق بيت الصلاة[٢٣٣]، بما أنّ المؤمنين قد وعدوا بالمساهمة في توفير نفقات المعيشة للراهبات، فضلاً عن تزويدهنّ بالمواد الغذائيّة والتبرُّعات الأخرى على وفقِ ما تقتضيه الحاجة. عندئذ بدأ الأب عبد الأحد دون تسويف أو مماطلة بتهيئة عدد من الفتيات اللواتي توسّمَ فيهنّ بوادر أو علامات الدعوة للحياة الرهبانيّة؛ فألّفَ حوله ثلاث فتيات هنّ على التوالي: شموني يوحنّا قاشا هرمز (الأخت مريم) وهي ابنة أخ الأب فرنسيس داوُد، وراحيل شماشا يوحنّا ياقو(الاخت مركنيثا)، ووَدّي سولاقا (الأخت تيريزا).

وإثرَ وفاة مار يعقوب حنّا سحّار في آذار ١٩٠٩ انتُخِب الأب فرنسيس أسقفًا للعماديّة؛ فأحسّ الأب عبد الأحد بتدخّل العناية الإلهيّة من خلال هذه السيامة؛ لأنّه سيتمكّن من تحقيق حلمه مشفوعًا ببركة الكنيسة. وبالفعل، فقد أصدر الأسقف الجديد أوامره إلى الأب عبد الأحد بمتابعة تأسيس الرهبنة. وكان عدد الراهبات قد وصل إلى أربع، فقد انضمّت إليهنّ أرملة تُدعى جَوزَل نيسان (الأخت يوليطي)، وكانت تسكن بجوار الكنيسة وتشارك الراهبات في أعمال الرحمة وفي أسلوب حياتهنّ[٢٣٤].

[٢٣٣] ܒܝܬ ܨܠܘܬܐ (محلّ أو بيت الصلاة): هو محلّ يقع في مؤخّرة الفناء الخارجي للكنيسة، حيث تُتلى صلاة الفرض في موسم الحَرّ (من عيد الصعود حتّى أوائل شهر تشرين الأوّل/ أكتوبر).

[٢٣٤] جوزَل نيسان: امرأة تقيّة كانت تسكن بالقرب من كنيسة أرادن. قرّرت– بعد مقتل زوجها– أن تنتمي إلى رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس؛ فأخذت تشارك الراهبات المجاورات لمنزلها في صلواتهنّ– بادئ الأمر– ثمّ قُبلت في الرهبانيّة. وكان لديها ابن وابنةٌ، وقد انضمّت ابنتها أيضًا إلى الرهبانيّة ذاتها.

تأسّست الرهبانيّة رسميًّا بتاريخ ١٥ آب ١٩١١، وهو يوم عيد انتقال السيّدة العذراء إلى السماء، فقد رغب الأب عبد الأحد أن يضع في حمايتها رهبانيّته "الفتيّة" المكرّسة لقلب يسوع الأقدس. وسُرعان ما وضع الأب عبد الأحد قانونًا للحياة الرهبانيّة لكي تسير عليه بناته بالربّ. وأقرّ الأسقف –لاحقًا– ذلك القانون، فصار بإمكان المبتدئات الأربع أن يُجاهرنَ بنذورهنّ الأولى بين يدَي مار فرنسيس داوُد الذي بارك بملءِ الفرح الرهبانيّة الجديدة ورسالتها، وتبّتَ الأب عبد الأحد مرشدًا روحيًّا لها.

لماذا "رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس"؟

اعترفت الكنيسة في القرن التاسع عشر اعترافًا علنيًّا مَهيبًا بعبادة قلب يسوع الأقدس، كما أذِنت بممارسة هذا التكريم وحثّت المؤمنين على القيام به بوصفه تكريمًا يُشيد بحبّ المسيح الذي يرمز إليه قلبه الأقدس. ذلك الحبّ الإلهيّ والبشريّ في آنٍ معًا: حبّه للآب وحبّه للبشريّة. إنّ عبادة قلب يسوع لا يُسوّغها فقط إمكانيّة كون الرموز موضوع تكريم أو ممارسات طقسيّة، وليس فقط لأنّ الناس جميعًا يتّخذون من القلب رمزًا طبيعيًّا للحبّ، ولكن لأنّ قلب يسوع بخاصّة هو الرمز الأسمى للمسيح، بوصفه قلبًا إلهيًّا يجب أن يُخَصّ بالعبادة. ولا سيّما لأنّ المسيح بنفسه قدّم لنا قلبه رمزًا لحبّه وموضوعًا لتقديسنا إيّاه. وقد أسهم الأحبار الأعظَمون من خلال رسائلهم العامّة ومصادقاتهم الرسميّة على ممارسة الطقوس الخاصّة بقلب يسوع الأقدس في الارتقاء بهذا التكريم ونشره في العالم كلّه حاثّين المؤمنين باستمرار على التمرُّس فيه بِغيرةٍ وحرصٍ شديدَين، كما أنّهم جعلوا عيد قلب يسوع الأقدس واحدًا من الأعياد الكبرى في طقس السنة الليتورجيّة.

إنّ التصريحات الرسميّة الأولى التي تُبرز بجلاء أهميّة عبادة القلب الأقدس تعود إلى البابا بيوس التاسع الذي جمعته بكثير من الأساقفة والقُسس والعلمانيّين الرغبة في تعميم عبادة القلب الأقدس، فما كان منه إلاّ أن أعلن ذلك على الكنيسة جمعاء عام ١٨٥٦. وفي ١٩ آب ١٨٦٤ أعلن تطويب الأخت مارغريتا ماريّا ألاكوك (Margherita Maria Alacoque) من رهبانيّة الزيارة في باري لي مونيال/ فرنسا (Paray-le-Monial). وقد أظهرت الرسالة الحبريّة العامّة التي حملت عنوان "كم من الاهتمام"

(Quanta Cura) الصادرة في ٨ كانون الأوّل ١٨٦٤ أهميّة هذه العبادة، وحثّت المؤمنين على الالتجاء إليها والتمسُّك بها، مع الصلاة على نيّة احتياجات الكنيسة والمجتمع المدني[٢٣٥].

كانت عبادة القلب الأقدس قد مدّت جذورها في أعماق نفوس رجال الدين والشعب على السواء، بوصفها هبة من قِبل المسيح، تُعين على مواجهة محن وشدائد الحياة. وقد بدا هذا الأمر واضحًا من خلال الالتماس الذي تقدّمت به الغالبيّة العظمى من الأساقفة إلى البابا بيوس التاسع عند انعقاد المجمع الفاتيكاني الأوّل، رغبةً منهم في أن يُرفع الاحتفال بعيد قلب يسوع الأقدس إلى أقصى مرتبة في الليتورجيّا، وأن يتمّ في ذلك العيد نفسهِ تكريس الكنيسة جمعاء لقلب يسوع الأقدس. غير أنّ أحداث الحرب التي اندلعت بين فرنسا وألمانيا أدّت إلى حلّ المجمع في وقت مبكّر، فتمّ تأجيل موضوع التكريس هو الآخر. ومع ذلك فقد ظلّ العمل جاريًا من أجل إنجاز هذا التكريس، وكان المدير العامّ لحركة "رسالة الصلاة" الأب هنري راميير اليسوعي (Henri Ramière) قد أضحى المحرّك الروحي لتلك الجهود؛ فقام البابا بيوس التاسع بتحرير صلاة تكريسيّة وكلّف الأب راميير بإرسالها إلى الأساقفة جميعًا. ولكنّ وفاة الأب راميير في أوائل عام ١٨٨٤ أرجأت أمر هذا التكريس حتّى ٢٥ أيّار ١٨٩٩ مع صدور الرسالة الحبريّة العامّة "السنة المقدّسة" (Annum Sacrum) للبابا لاون الثالث عشر[٢٣٦] التي أعلن فيها فعل التكريس لقلب يسوع الأقدس، ليس تكريسًا للكنيسة فحسب، لكن للجنس البشري كلّه. وتمّ تثبيت ذلك التكريس في ١١ حزيران ١٨٩٩. وكان لاون الثالث عشر يجد في تكريس العالم أكبر الإنجازات أهميّةً في تاريخ حبريّته؛ فهو يرى في التضرّع إلى القلب الأقدس علاجًا شافيًا يقاوم الشرور وبلسمًا لاحتياجات العصر، بقوله: "عندما كانت الكنيسة –في عصورها الأولى– تنوح متألّمة تحت وطأة نير القياصرة لاحَ الصليب عاليًا في السماء للإمبراطور الشابّ قسطنطين، وكانت تلك العلامة نذيرًا له، فضلاً عن كونها السبب في النصر الآتي. وها هي ذي علامة أخرى أمام أعيُننا تَعِدُنا بالسعادة: إنّه قلب يسوع

[235] PII IX Acta, Roma, Pars I, vol. 3, pp. 397-398.
[236] Acta Sanctae Sedis, t. XXXI (1899), pp. 646-652; Fr. DEGLI ESPOSITI, La teologia del Sacro Cuore di Gesù da Leone XIII a Pio XII, Roma 1967.

الأقدس، يُتَوِّجُه الصليب، ساطعًا يتألّق وسط لهيب النار المتأجّجة! فيه يجب أن نضع كلّ آمالنا، ومنه نلتمس ونرجو العافية للإنسانيّة"[٢٣٧].

كان لاون الثالث عشر يأمل أن يكون في تكريس العالم لقلب يسوع، وفي الاعتراف بملوكيّة المسيح عودةً إلى الربّ الذي هو وحده "الطريق والحقّ والحياة"، ومن خلاله يمكن للعالم أن يستعيد إنسانيّته ونظامه واستقراره. فضلاً عن كلّ هذه الاعتبارات فيما يتعلّق بالقيمة الخفيّة والعميقة الكامنة في تكريم القلب الأقدس، والطريقة التي يهرع بها ذلك القلب لاستجابة التماسات عصرنا، فهناك سبب آخر يحثّ الأحبار الأعظمين على الالتزام بأن تمارس الكنيسة فعل التكريم هذا. إنّه يتمثّل بالرسالة التي بلّغتها القدّيسة مارغريتا ماريّا ألاكوك[٢٣٨].

تتجلّى عبادة القلب الأقدس التي استودعَتنا إيّاها القدّيسة مارغريتا ماريّا من خلال الأسباب التي

جعلت المسيح يكشف عن قلبه للبشريّة؛ فقد لَمّح مرّات عديدة عبر ظهوره للقدّيسة مارغريتا ماريّا عن حبّه اللامحدود للبشر الذين غالبًا ما يُبادلونه هذا الحبّ بالجحود والنكران. غيرّ أنّ يسوع لا يريد أن يضع هؤلاء الجاحدين في قفص الاتّهام، وعلى الرغم من ذلك فهو يريد تجاوُزَ موقفهم الناكر مقدِّمًا لهم دليلاً آخر على حبّه بكشفه لهم عن قلبه الأقدس[٢٣٩]. وقد وصفت القدّيسة مارغريتا موقف

---

237 Annum Sacrum, in Acta Sanctae Sedis, t. XXXI (1899), pp. 650-651.

238 Cfr. HAMON, A., Histoire de la dévotion au Sacré Coeur, I, Paris 1923, p. 137.

٢٣٩ "إنّ قلبي الإلهيّ المفعم حبًّا للبشر ولَكِ بصفة خاصّة، لم يعُد قادرًا على أن يُخفي لهيبَ محبّته المتّقدة؛ ويودّ أن يُشيع ذلك الحبّ بوساطتكِ، ويُظهر ذاته لِبَني البَشر ليُغنيهم بكنوزه النفيسة التي أنا مُوكِلٌ بها لكِ، والتي تحتوي على نِعَم القداسة والبِرّ؛ فينتشلهم من هاوية الضياع". انظر: SAINTE MARGUERITE MARIE, Sa vie par elle-même, Ed. Saint-Paul, Paris-Fribourg, 1979, ç 53, pp. 81-82; Vie et Oeuvres de

الربّ غير المتوقَّع في تعامله مع بَني البشر بأنّه تجديد لفاعليّة الفداء، وقالت إنّ قلب يسوع الأقدس هو تقريبًا وسيطٌ ثانٍ بين الله والبشر؛ فيسوع يريد بإظهاره قلبَهُ أن يبيِّن بجلاء مدى عظمة وقدرة حبِّه اللامتناهي، وأن يمنح نعمًا كبيرةً من أجل خلاص البشريّة.

إنّ كشف المسيح عن قلبه الأقدس –على حدِّ تعبير القدِّيسة مارغريتا– هو إظهارٌ ذو معنيَين لحبِّه، أوّلاً: حبًّا ببني البشر؛ فالمسيح يُظهر حبّه من خلال رمز قلبه الأقدس بُغية إيقاظ حبٍّ متبادَل في قلوب الناس؛ فيُفيضَ بذلك عليهم نعمًا أوفَر. ثانيًا: يكمُن المعنى الثاني في كون المسيح يُظهر قلبه الأقدس حبًّا بالله الآب؛ لكيما يسكب نعمه الغزيرة على كلِّ الذين يلتجئون إلى هذا القلب، ومن خلاله يمكنهم أن يُحبّوا الله الآب.

وتتابع القدِّيسة مارغريتا الكتابة: إنّ المسيح كشف عن قلبه "لكي يُلهب الحبّ الذي خمدت شُعلته أو كادت أن تنطفئ في قلوب الغالبيّة العظمى من المسيحيِّين، ولكي يمنحهم من خلال هذه العبادة واسطةً جديدة لحبِّ الله، تمامًا كما يريد تعالى، وكما يستحقّ، وذلك من خلال هذا القلب الأقدس. وفضلاً عن هذا وذاك فهو يريد أن يمنح الناسَ سبيلاً يُصلحون من خلاله موقفهم الجاحد تجاهه"[٢٤٠]. تشير القدِّيسة مارغريتا بهذه الكلمات إلى خاصيّة مهمّة تمتاز بها عبادة القلب الأقدس، وهي أنّ يسوع يريدنا أن نحبّ الله بوساطة قلبه الأقدس. فنحن قد صرنا بالمعموديّة جزءًا من جسد المسيح، وأصبحنا من خلاله شركاء في الطبيعة الإلهيّة، والآن ندخل في شركة حياة حميمة معه. إنّ الإنسان المسيحيّ يعيش في المسيح ومع المسيح، وواجبٌ أن يتّخذ من مشاعر المسيح ومن مسلك المسيح مشاعرًا ومسلكًا له في الحياة، وعليه –تبعًا لذلك– أن يحبّ الله بقلب المسيح، ويقدِّم أحاسيس المسيح وحبِّه وكفّارته عن الخطايا قربانًا لله الآب. وقد عبّر المسيح صراحةً من خلال ظهوراته للقدِّيسة مارغريتا عن إمكانيّة حبّ الآب بوساطة قلبه الأقدس، وتمنّى ذلك بشكلٍ خاصّ. كما بيّن لنا كيف أنّ هذا الإكرام وهذه المصالحة هما أمران مَرْضيّان لديه ولدى الآب، وكيف أنّهما ضروريّان لنا.

---

la Bienheureuse Marguerite-Marie Alacoque, ed. Mgr. L. GAUTHEY, 3ª ed., de Gigord, Paris 1920, t. II, p. 571.

[240] Vie et Oeuvres, II, p. 556.

تبعًا لنيّة الربّ التي سعى إلى إظهارها لنا من خلال كشفه عن قلبه الأقدس تتعيّن الطريقة التي نجيب بها على هذا الحبّ، أي أن نُبادله إيّاه بحبٍّ عميق ومخلص، نُظهره له عبرَ سعينا إلى القداسة، مستعينين بالصلاة وبإصلاح أنفسنا إصلاحًا يحمل طابعًا رسوليًّا. ويقتضي هذا السعي الشخصيّ إلى القداسة عند بعض الناس التوبة عن حياة الخطيئة، والعودة إلى حياة مسيحيّة حقيقيّة، وإلى التزام جادّ بحبّ المسيح. وهو يستوجب عند آخرين العبور من حياة رهبانيّة سطحيّة ضعيفة وخالية من أيّ مضمون حقيقيّ إلى غيرة متّقدة وحماس للوصول إلى الكمال، وإلى حياة ذات معنى رسوليّ فعليّ. وقد تغدو عبادة القلب الأقدس عند فئة ثالثة من الناس حافزًا وعاملاً مساعدًا للسعي نحو القداسة دون بحث عن تسويات أو حلول وُسطى لبلوغ ذلك الهدف.

ليست عبادة القلب الأقدس إذَن ممارسة لصلاةٍ ما وحسب، ولكنّها تتطلّب التزامًا كاملاً ودائمًا بمحض الإرادة الشخصيّة، وتجاوُبًا ناجعًا وفعّالاً مع النعمة. إنّ ما كانت تطلبه القدّيسة مارغريتا –إشارةً إلى التصريحات المتكرّرة للمسيح– هو انقطاع تامّ إلى الربّ وتفانٍ كاملٌ في حبّه. كلّ شيء أو لا شيء! كانت هذه الفكرة تتردّد كثيرًا وبأشكال مختلفة في كتابات القدّيسة مارغريتا؛ فلم تكن عبادة القلب الأقدس عند تلك القدّيسة واسطةً مريحة لتلطيف وتسكين حياتها الرهبانيّة، وإنّما كانت –على العكس من ذلك– عاملاً مساعدًا يحملها على الالتزام بمتطلّبات أسمى للحياة الروحيّة، بُغيةَ تقويةِ وإنماءِ جهودها الشخصيّة والعمل دومًا بنشاط ويقظة على الارتقاء بمسيرتها الباطنيّة[٢٤١].

إنّ الهبة الكاملة للذات تجد معناها في التكريس وفي إصلاح النفس. فقد كانت القدّيسة مارغريتا تعطي أهميّة كبيرة لتكريس الذات لقلب يسوع الأقدس؛ لأنّها كانت تجد في فعل التكريس انعكاسًا واضحًا للسلوك الباطني النقي للنفس التي تهبُ ذاتها كاملةً إلى قلب المسيح. فالتكريس – وفقًا لها– هو فعل متّحِدٌ اتّحادًا دائمًا بعمليّة إصلاح الذات وشفائها. تلك العمليّة التي قوامها الألم والتضحية والصلاة وإشاعة عبادة القلب الأقدس.

[٢٤١] المصدر نفسه، ص ٣٤٢.

لقد كشف المسيح عن حبّه في رسالته التي استودعها القدِّيسة مارغريتا ماريّا، متّخذًا من قلبه الأقدس رمزًا لهذا الحبّ، كما عبّر عن رغبته في أن يُكْرَمَ ويُحَبَّ من خلال هذا الرمز. واضح أنَ العبادة تُوجَّه دائمًا إلى شخص المسيح، ولكنّ المسيح رغبَ –مع ذلك– أن تتجلّى هذه العبادة الموجّهة إلى شخصه وإلى حبّه في ظلّ الرمز المتمثّل بقلبه هو. أحبّ يسوع أن يُظهر للبشريّة قلبه الأقدس لكي يسترعي انتباهنا إلى السرّ المركزي لإيماننا، وهو: محبّة الله الفائقة الرحمة، فضلاً عن رغبته في إغداق هذا الحبّ على البشريّة بوفرةٍ عظيمة[٢٤٢]. وفضلاً عن فعل التكريس، فإنّ هذا الحبّ سيُشبَع –وفقًا لما قاله يسوع نفسُه للقدِّيسة مارغريتا– بالمناولة كلّما سنحت الفرصة وفي أوّل جمعة من كلّ شهر. ويُشبَع أيضًا من خلال الساعة المقدّسة كلّ ليالي الخميس على الجمعة من الساعة الحادية عشر ليلاً حتّى منتصف الليل، اشتراكًا في نزاع المسيح في بستان الزيتون[٢٤٣]. ومن خلال تخصيص عيد لتكريم قلبه الأقدس، على أن يقع في ثاني جمعة بعد عيد الجسد. ومن خلال تعميم صورة القلب الأقدس لتكون محطَّ تكريم الناس، وأن تُحمل على القلب "ليُطبع فيه الحبّ" علامةً للخلاص[٢٤٤]. كما تُشير القدِّيسة مارغريتا بخاصّة إلى ما تُسمّيه "الوعد الكبير"، فقد قال لها يسوع: "أعِدُكِ بعظيمِ رحمةِ قلبي أن يَمنحَ حبُّه القادر على كلّ شيء جميعَ الذين يتناولون القربان المقدّس في الجمعة الأولى من كلّ شهر، ولمدّة تسعة أشهر متتالية، نعمةَ التوبة الأخيرة"[٢٤٥].

لقد كان تعليم الأحبار الأعظمين والرسالة التي بلّغتها القدِّيسة مارغريتا ماريّا ألاكوك بمثابة "إلهام" للأب عبد الأحد في تأسيس الرهبانيّة. فلقد كان في صلاته وتأمُّلاته يُطيل التفكير والتمعُّن في

---

[٢٤٢] "أظهَر لي أنّ رغبته الملتهبة في أن يكون محبوبًا من قِبَل البَشر وفي أن ينتشلهم من هاوية الضياع التي كان الشيطان يُلقي بهم فيها بلا حساب، جعلَته يُدرك ماهيّة مخطَّط إظهار هذا القلب الأقدس للبشر، بكلّ ما فيه من كنوز الرحمة والنِعَم والقداسة والخلاص"، Vie et Oeuvres، ٢، ص٥٧١.

[243] Sa vie par elle-même, ç 93, p. 129.

[٢٤٤] رسالة إلى الأب كرواسيه، Vie et Oeuvres, II, p. 522 ؛ انظر: LADAME, J., La Sainte de Paray Marguerite-Marie, Ed. Résiac, 2a ed., Montsurs 1979, pp. 125-128.

[245] LADAME, J., op. cit., p. 273; رسالة إلى الأمّ de Saumaise في عام ١٦٨٨

الجنب المطعون للمخلِّص، وكانت كلّ أفكاره وكلّ أحاسيسه تقوده إلى قلب يسوع المتّقد حبًّا لبني البشر. كان يشعر بأنّ شيئًا ما يدفعه بقوّة إلى منح الرهبانيّة المزمع تأسيسها اسم "قلب يسوع الأقدس".

أمّا الأسباب الرئيسة المؤدِّية إلى هذا الاختيار الذي كان يلمس فيه إلهامًا إلهيًّا فهي: الاعتراف الرسميّ المهيب من قِبل الكنيسة بعبادة القلب الأقدس، وانتشار هذه العبادة بين أوساط المؤمنين. فضلًا عن كون هذا الاسم العذب يُشير إلى تفانٍ في حبّ شخص المخلِّص المنقطع النظير. وبما أنّ يسوع المسيح كان قد وعد بأن يتّسع قلبُه لكلّ مَن كرّمه بعبادة خاصّة؛ فإنّ مؤسِّس رهبانيّتنا لم يشكّ قَطُّ أنّ هذا القلب سيجود بفيضِ نعمه عل رهبانيّةٍ ستكون مكرّسة بأكملها لقلبه الإلهيّ وستحمل اسمه وستكون رسالتها التعريف به وغرس حبِّه في كلّ القلوب.

يؤمَلُ أن تتألّف هذه الرهبانيّة المزمع تأسيسها من نفوس مكرّسة بكلّيتها لله، وأن تكون عضواتها راهباتٍ من خلال نذور بسيطة، وأن يخضعنَ لسلطة أسقف الأبرشيّة، ويمارسنَ عملهنّ الرسولي بوصفهنّ مساعدات للأكليروس يجمعنَ ما بين الحياة التأمّليّة والحياة الرسوليّة، ولاسيّما في ميدان التربية والتعليم، مُساهِمات في بسطِ ملكوت المسيح وفي تمجيد قلبه الأقدس.

كان هذا هو الأساس الروحي الذي ستقوم عليه الرهبانيّة الجديدة المزمع تأسيسها. وبقدر ما تُعَدّ عبادة القلب الأقدس ممارسةً تستحقّ الثناء ودعامةً ثمينة تستند إليها الحياة الرهبانيّة، إلاّ أنّ مؤسِّسَنا أراد أن يجعل من هذا القلب الإلهي النبع الأوحد الذي تستقي منه الرهبانيّة باستمرار، والمبدأ الذي يوحِّد أقطاب روحانيّتها. لهذا السبب لم يكفِ الرجوع إلى كتابات القدّيسة مارغريتا، أو تعزيز ثمار هذه العبادة في نفوس الشعب المسيحيّ، ولكن كان يجب أيضًا بفضل قوّة وعذوبة الروح القدس إظهار كيف أنّ التماثل والوحدة يومًا فيَوم مع قلب يسوع يستطيعان خلْقَ حالة وجدانيّة روحيّة، ويوضحان من الداخل كلّ أبعاد الحياة الروحيّة بالانفتاح على الرسالة. لقد استطاع الأب عبد الأحد من خلال حياته وتعليمه أن يُلقِّن بناته بالربّ هذه الروحيّة التي هي ثمرة التأمّل العميق في قلب يسوع الأقدس. ولهذا هو بالتحديد "حجر الأساس" للرهبانيّة؛ ومن خلالها مُنحت الكنيسةُ نعمةً أضحت هبةً ربّانيّة قامت بتأسيس جمعيّة رهبانيّة. هكذا استحالت عبادة القلب الأقدس إلى روحانيّة.

كان الأب عبد الأحد يحبّ أن يقول ويُعيد: "كلّ المؤسَّسات الرهبانيّة لها مؤسِّس أو مؤسِّسة، أمّا رهبانيّتنا فتختلف عنها كلّها؛ لكونِ مؤسِّسها هو قلب يسوع ذاته". إنّ هبة الروح (الكاريزما) التي تتمتّع بها الرهبانيّة لا يمكن فصلها إطلاقًا عن الرهبانيّة بحدّ ذاتها، فهي أوّلاً وقبل كلّ شيء: نعمةٌ وهبها الله إلى الكنيسة في أبرشيّة العماديّة للكلدان استجابةً لاحتياجاتها، وهل هي إلاّ سجودٌ وتقديس لقب يسوع، واتّحاد بحياته التي قدّمها إلى الآب وإلى البشر! كلّ ذلك يقوم على هذه الكلمة التي ليست رهبانيّتنا سوى تعبيرٍ حيٍّ عنها، والتي يظهر فيها المسيح الوديع والمتواضع القلب: "تعلّموا منّي، فإنّي وديعٌ ومتواضع القلب؛ فتجدوا راحة لنفوسكم؛ فإنّ نيري هَيِّن وحِملي خفيف"[٢٤٦]. كانت كلمات يسوع هذه الحدس الروحيّ الذي أصبح فيما بعد أساسًا للقوانين التي منحت الأصالة والفاعليّة لروحانيّة الرهبانيّة الناشئة.

بما أنّ الأب عبد الأحد كان قد توغّل في أعماق قلب المسيح؛ فإنّنا نجده يدعو بناته بالربّ سائلاً إيّاهنّ أن يَغُصْنَ في هذا القلب الإلهي لكي يستقينَ من نبعِ حبِّه. إنّه يدعوهنّ إلى أن يجعلنَ من هذه العلاقة الحميمة مع إنسانيّة المسيح علاقة شخصيّة لكلٍّ منهنّ من خلال التأمّل العميق في هذا القلب المطعون الذي يمثّل علامة وكشفًا عن سرِّ "الله– محبّة"؛ من أجل الإيمان بالحبّ[٢٤٧] وبُغيةَ الدخول في تضاعيف المخطّط السرّيّ لله، واستقاء الماء الحيّ للحياة الحقيقيّة من ينابيع هذا الحبّ، فيَصِلْنَ هكذا إلى أن يعشْنَ سرَّ معاهدةٍ وعرسًا سماويًّا. لقد تمكّن الأب عبد الأحد خلال السنوات القليلة التي أمضاها مترئِّسًا رهبانيّته أن يمنح هذه "الكاريزما" إلى بناته بالربّ، بنات قلب يسوع الأقدس.

---

[٢٤٦] متى١١: ٢٩– ٣٠.

[٢٤٧] يوحنا ١: ٤ – ١٦.

٤- كتابات المؤسِّس:

لم يتبَقَّ من كتابات الأب عبد الأحد إلاّ الشيء القليل؛ بسبب الحرب والنزوح المستمرّ والهجرة من مكان إلى آخر وما إلى ذلك من الاضطرابات التي خلّفت حرائقَ ودمارًا في الأبرشيّة، من ضمنه التدمير الذي لَحِقَ بمحفوظات كلٍّ من المطرانيّة ورهبانيّة بنات القلب الأقدس، سواء في أرادن أو في العماديّة حيث مقرّ الأسقفيّة منذ عام ١٩٥٨.

حرّر الأب عبد الأحد كتاباته باللغة الآراميّة (سورَث)، أو ليشانا سوادايا، وهي اللغة الدارجة للكلدانيّة، أو اللهجة المحكيّة التي يستعملها المسيحيّون الكلدان المنحدرون من القرى ومن الجبال.

١) "قانون شخصيّ لأبنة قلب يسوع". وهو مخطوط بقلم المؤسِّس، يتألّف من ٤٥ صفحة. سوف نتحدّث عن هذا الكتاب في الفصل القادم.

٢) "العبادات اليوميّة". وهو جزء مكمِّل لقانون الحياة، بقلم المؤسِّس. الجزء الأوّل: صلاة الصباح (ص ٤٧-٦١)، وصلاة المساء (ص٦١-٧٤). الجزء الثاني: حول الصلاة التأمليّة (ص٧٤-٩٥)، وهو شرح ميسَّر لمعنى التأمُّل، مُصاغ بشكل ٣٢ سؤالاً وجوابًا تُراعي المستوى الثقافيّ للراهبات آنذاك؛ فمُعظمهنّ كُنَّ فتياتٍ لا يُحسِنَّ القراءة والكتابة، وذوات تحصيل ثقافيّ متواضع. يتبع ذلك أنموذج تأمّلي حول موضوع "الخلاص" (ص٩٥-١١٨) حيث يتمّ تطبيق المبادئ والمنهج الذي سبق عرضه في الجزء الخاصّ بالصلاة التأمّلية أو (التأمّل الذهنيّ).

٣) "الكتاب الجميل لصلاة الساعة المقدّسة"، وقد وُضِعَ في شهر آب لسنة ١٩٠٩، وهو مرتّب على وفق نظام الصلاة الليتورجيّة (ص١-٤٠)، يتبعه "ابتهالات للتوبة- أو للغفران" وهو مخصَّص للجمعة الأولى من الشهر (ص٤٠-٤٣)، ثمّ الجزء الذي يضمّ وعود قلب يسوع إلى القدِّيسة مارغريتا ماريّا ألاكوك (ص٤٣-٤٤).

٤) "عبادة سيِّدة الورديّة المقدّسة"، ص١-٤٨. صلوات وتأمّلات حول أسرار الورديّة المقدّسة. المقدّمة (ص١-٣)، أسرار الفرح (ص٤-١٧)، أسرار الحزن (ص١٨-٣٢)، أسرار المجد (ص٣٢-٤٧)، الصلاة الختاميّة (ص٤٧)، غفرانات (ص٤٨).

٥) "تساعيّة للاستعداد لعيد العذراء المحبول بها بلا دنس"، ص١-١٠. صلوات لكلّ يوم من أيّام التساعيّة، ونشيد للطاهرة (من نظم المؤسِّس) يبدأ بهتاف إعجاب: "مَن هذه النجمة الطالعة صباحًا" (ص١٠-١٣).

٦) "أناشيد": أناشيد دينيّة، قسم منها أصيلة، والقسم الآخر مترجمة شِعرًا عن اللاتينيّة أو الفرنسيّة للأعياد الربيّة، ولمريم العذراء، وللقدّيسين.

أ- الأعياد الربيّة: نشيد واحد لعيد البشارة، ثلاثة أناشيد لعيد الميلاد، ثلاثة أناشيد للإفخارستيّا، نشيد واحد للآلام، نشيد واحد لعيد الصعود، نشيد واحد لعيد الجسد، سبعة أناشيد لقلب يسوع، ونشيد واحد لعيد يسوع الملك.

ب- لمريم العذراء: نشيد واحد لسلطانة الورديّة المقدّسة، نشيد واحد لأسرار الفرح، نشيد واحد لأسرار الحزن، نشيد واحد لأسرار المجد، نشيد واحد لعيد انتقال السيّدة العذراء إلى السماء، وثلاثة عشر نشيدًا للشهر المريميّ.

ج- لمار يوسف: سبعة أناشيد.

د- للروح القدس: نشيد واحد لعيد العنصرة.

هـ للأنفس المطهريّة: نشيد واحد.

و- للتوبة: نشيد واحد.

ز- للمناولة الأولى: خمسة أناشيد.

ليست لدينا أيّة معلومات عن كتابات أخرى للأب عبد الأحد، غير أنّنا تمكنّا من جمع كثير من المعلومات التي استقيناها من دفتر يوميّات مار فرنسيس داود ومِن مراسلاته ومن الشهادات النصيّة المحفوظة، فضلاً عن الأخبار التي تركتها الأمّ مريم (الراهبة الأولى لبنات قلب يسوع الأقدس) وهي تلميذة المؤسِّس، وقد عرفته عن قُرب أكثر من غيرها، وكانت ذراعه اليُمنى في عمليّة تأسيس وإدارة الرهبانيّة؛ فقد اضطلعت بمهمّة الرئاسة العامّة لعدّة سنين. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّنا قمنا بتسجيل وتوثيق هذه الأقوال والأفعال بأمانة تامّة خدمةً لتاريخ الرهبانيّة ولتعزيز بُنيان بنات قلب يسوع الأقدس.

كان الأب عبد الأحد واعظًا بليغًا وشاعرًا مُلهَمًا، قام –على غرار مار أفرام ملفان الكنيسة– بنظمِ قصائد دينيّة لتُنشِدَها الراهبات والشعب على حدٍّ سواء، آمِلاً أن يطبع في قلوبهم حقائقَ إيماننا المقدَّس، وأن يجتذبهم إلى حبِّ الله من خلال عبادة قلب يسوع الأقدس، والسيِّدة العذراء سلطانة الورديّة المقدّسة، وهي شعائر دينيّةٌ كانت عزيزةً على قلبه، وكان قد داوم عليها خلال أعوام تنشئته في المعهد الكهنوتي للآباء الدومنيكان في الموصل.

بعد إقصاء مار فرنسيس داود إلى المنفى في الموصل بقيَ الأب عبد الأحد بمفرده، وعانى معاناة شديدة في سنوات الحرب العالميّة الأولى؛ فهو –فضلاً عن العمل الدَؤوب الذي أنهك قواه البدنيّة– كان يعيش في قلقٍ وانشغال خوفًا على المؤمنين وعلى بناته بالربّ؛ فقد كان الجميع يرزحون تحت نير العناصر المسلّحة المناهِضة للدولة، تلك العناصر التي كانت تنشر الرعب والدمار في المنطقة. هذه الأمور مجتمعةً أورثت الأب عبد الأحد جسدًا مُنهَكًا ضعيفَ المقاومة، لذلك لم يستطع احتمال حمّى التايفوئيد التي أصابته، والتي كانت تُعَدُّ آنذاك مرضًا يصعب علاجه، ممّا وضع حدًّا لأيّامه فغادر الدنيا في ١٦ شباط ١٩١٦ إلى الأخدار السماويّة لكي يُثابَ على مثابرته في السعي إلى الفوز بملكوت قلب يسوع. وقد وُوْرِيَ جُثمانُه الثرَى في كنيسة سلطان مهدوخت[٢٤٨] حيث يرقد على رجاء القيامة.

[٢٤٨] نذكر مع عميق آلامنا: أن قد تمّ تدنيس قبر مؤسِّس رهبانيّتنا، وفُقدت رُفاته خلال الأعوام الأخيرة للحرب الكرديّة ضدّ حكومة العراق.

القوانين

لدينا نصّان للقوانين: الأوّل هو "ܩܢܘܢܐ ܕܒܠܝܢܐ"، ويمثّل قانون الحياة الذي وضعه المؤسّس لتسير عليه الراهبات، بأمر من الأسقف مار فرنسيس داود، وربّما كان ذلك عام ١٩١١. أمّا الثاني فقد أعدّته عام ١٩٨٠- ١٩٨٢ لجنة مؤلّفة من عدد من القانونيّين وراهبات من رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس، وهو مستوحَى من: كاريزما (carisma) الرهبانيّة، والتشريع القانوني الشرقي الجديد "De Religiosis"[٢٤٩]، وتوجُّهات المجمع الفاتيكاني الثاني[٢٥٠]، وَوثائق أخرى صدرت ما بعد المجمع عن الكرسي الرسولي[٢٥١]، فضلاً عن القوانين والرسوم الخاصّة بالراهبات الدومنيكيّات للقدّيسة كاترينا السيانيّة.

---

[249] PIO PP. XII, Motu Proprio Apostolicis Litteris, 9 febbraio 1952: عن الرهبانيّات في الكنائس الشرقيّة can. 1-231, in ASS, 1952, n.2

[٢٥٠] انظر: على وجه الخصوص Perfectae caritatis، مرسوم حول تجديد الحياة الرهبانيّة، ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤، في EV، ١، ص ٣٨٤- ٤١٣؛ نور الأمم، دستور عقائدي حول الكنيسة، فصل ٤؛ المصدر نفسه، ص ٢١٦- ٢٢٤ وما سواها في مواضع مختلفة من وثائق المجمع.

[٢٥١] بولس السادس، Evangelii testificatio، إرشاد رسولي حول تجديد الحياة الرهبانيّة، ٢٩ حزيران/ جونيه ١٩٧١، م.ن، ٤، ط ٤، ١٩٧٨، ص ٦٣٢- ٦٨٥؛ يوحنا بولس الثاني، مشكلات الحياة الرهبانيّة في هذه السنة المقدّسة غير الاعتياديّة، ٣ نيسان/ أبريل ١٩٨٣، في المراقب الروماني (الطبعة الانجليزيّة)، ١٩٨٣/٦/٨، ص ٣- ٤؛ ID.، خطاب إلى عدد من الرؤساء العامّين، ١٤ أيار ١٩٨٧، في AAS ٧٩ (١٩٨٧)، ص ١٤٥٩- ١٤٦٤؛ ,.ID Adhortatio Apostolica Redmptionis donum, (التكريس الرهباني في ضوء سرّ الفداء)، في ٧٦ AAS (١٩٨٤)، ص ٥١٣- ٥٤٦؛ EV، ٩، ١٩٨٧، ص ٦٩٤- ٧٥٩. مجمع الرهبانيّات والمؤسّسات العلمانيّة: Renovationis causam، إرشاد حول تحديث التنشئة على الحياة الرهبانيّة، ٦ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩، EV، ٣، ط ١٠، ١٩٧٦، ص ٣٨١-٤٢١؛ Mutuae relationes، ملاحظات توجيهيّة حول العلاقات المتبادلة بين الأساقفة والمترهّبين، ١٤ أيار/ مايو ١٩٧٨، م.ن، ٦، ط ١٢، ١٩٨٣، ص ٤٣٢- ٥٠٩؛ ثلاث وثائق: The Church، حول حياة ورسالة المترهّبين في الكنيسة، The evangelical demands، حول المترهّبين والرقيّ البشري؛ On the basis، البعد التأمّلي للحياة الرهبانيّة، تحمل الوثائق الثلاث تاريخ ١٢ آب ١٩٨٠، م.ن، ٧، ط

بهذا القانون كانت رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس الفتيَّة تمتلك دستورًا لجمعيّة رهبانيّة بنذور بسيطة، ذات غاية تأمُّليّة تتمثّل بالتعبّد لقلب يسوع الأقدس والاتّحاد الباطني (الحميم) به، فضلاً عن الغاية الرسوليّة التي تتبنّى العمل التربوي الموجَّه إلى الفتيات والنساء في الأبرشيّة، من أجل إكرام ملكوت المسيح وتمجيد قلبه الأقدس.

يُعبِّر نصّ القانون بفرادته عن روحانية (كاريزما) الرهبانية لبنات قلب يسوع الاقدس في الأبرشيّة العماديّة للكلدان. إنّه في الحقيقة نصّ قصير يفتقر إلى المتانة، فهو ينتمي إلى أسلوب لغويّ وحسٍّ تَقَوِيّ صاغا طبيعة العبادة المسيحيّة في الأوساط الشعبيّة حتّى وقت غيرِ بعيد. إنّه نظام حياة أكثر من كونه قانونًا بالمعنى الدقيق للكلمة، وهو مُشابه لنظام الحياة في أيّ معهد كهنوتيّ، وقد سارت عليه الرهبانيّة بوصفه ثمرة من ثمار الروح القدس. لقد كان نصًّا روحيًّا تأسيسيًّا يعبِّر عن كاريزما أسرةٍ رهبانيّةٍ هي: رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس.

ما المقصود بال "كاريزما"؟ إنّها هبة الروح القدس التي وُهبت للإنسان المسيحيّ لِبُنيان جسد المسيح الذي هو الكنيسة. وبناءً على ذلك فإنّ كلّ كاريزما هي بحدّ ذاتها مدخل إلى مسيح الإنجيل، كما أنّها بفضل ما تولِّده من التزام تجعل الإنسان في تواصل مع شخص المسيح. هكذا هي كاريزما هذه الرهبانيّة: إنّها تقتفي آثار وجه المسيح التي تمتدّ إلى أعماق غير متناهية في صميم الكنيسة، وتجعله حاضرًا بشكل ملموس في بُعده الإنسانيّ وفي قوّته وقدرته على التغيير. لايمكن على الإطلاق استبدال الإنجيل

١٢، ١٩٨٣، ص ٤١٠- ٥٠٥؛ L'habit religieux، ملاحظات حول الثوب الرهباني، آذار ١٩٧٤، م.ن، ٥، ط ١٠، ١٩٧٩، ص ١٨٤- ١٨٧؛ وثيقة Essential elements in the Church's teaching as applied to Institutes dedicated to works of the Apostolate، ٣١ أيار ١٩٨٣، عن جريدة المراقب الروماني (الطبعة الانجليزية)، ٦/٨ /١٩٨٣، ص ٤-٨، EV، ٩، ١٩٨٧، ص ١٨٠-٢٥٩. مجمع الكنائس الشرقيّة: Orientalium religiosorum، حول السلطات الممنوحة إلى رجال الدين والمترهِّبين الشرقيّين، ٢٧ حزيران ١٩٧٢، م.ن، ص ١٠٦٨- ١٠٧٩.

بالكاريزما، لكنّ الكاريزما تنفتح على الإنجيل وتستمدّ منه حياتها. إنّها طريق اختطَّها الروح القدس، ونهجٌ ينفتح على تحقيق المواعيد مُعيدًا الإنجيل إلى الأذهان بكلِّ تجدُّدِه الأبديّ.

إنّ ما كشف عنه المسيح يومًا ما لكنيسته من كنوز قلبه الخفيّة تلمَّس طريقَه إلى إنسان العصر الحديث الهائم في ضلاله وتخبُّطِه، وفتح له الإنجيل ليُطلعه في كلِّ صفحة من صفحاته على "فرطِ حسّاسيّة" الله نفسه، فضلاً عن سُمُوٍّ وعمق محبّته. كما وضعه في علاقة مع إنسانيّة مجهولة، جاعلاً إيّاه يكتشف في قلب المسيح خلاصة كلّ الكتب المقدّسة، ويجدُ في حبِّه الجريح الممنوح دائمًا إلى البَشر مصدرَ كلِّ تعزية وحياة. هذا الكشف الملهم الذي أضحى من خلال الأب عبد الأحد ريّس الكاريزما المؤسِّسَة لرهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس، تلك الكاريزما التي وجدت في القانون الموضوع سنة ١٩١١ أفضل تعبير عن نفسها.

إنّ نصّ هذا القانون يحمل في تضاعيفه النعمة التي عاشت وتعيش بفضلها كلُّ ابنة من بنات القلب الأقدس منذ مرحلة التأسيس حتّى اليوم. فهو ما يزال التعبير الأسمى لِكاريزما الرهبانيّة بما فيه من نضارةٍ وعافية أصيلتَين. إنّ القراءة الحيّة للقانون بعيدًا عن النظرة المتحجِّرة في نصٍّ لزمن مضَى هي فقط القادرة على تحرير الواقع الروحيّ الذي لم يفقد فاعليّته الأولى والدائمة. ذلك النوع من القراءة هو الذي يجعل نصّ القانون قادرًا على التحرُّر من الأوراق التي كُتبَ عليها ليتماهَى دائمًا في طرحه الحياتيّ وفي قوّته الاختباريّة سلوكًا وغايةً، حيث لا يُمكن لقلب الإنسان إلاّ أن يكون "واحدًا" في تماثُلِهِ مع قلب المسيح.

قانون الرهبانيّة

يتكون قانون الرهبانيّة من أربعة فصول:

الفصل الأوّل: الواجبات اليوميّة

وهي تتمثّل في الواجبات التي يجب على الراهبة إنجازها في حياتها اليوميّة منذ أن تستيقظ صباحًا. وهي تتمثّل في الصلاة والتأمّل، القدّاس الإلهيّ، المدرسة، العمل، فحص الضمير عند انتصاف النهار، وجبات الطعام، أوقات الراحة والترفيه، زيارة القربان المقدّس، تلاوة الورديّة المقدّسة، القراءة الروحيّة، صلوات المساء، ثمّ الخلود إلى النوم. فضلاً عن: النظام العامّ للدير، التعامل مع الرؤساء، التعامل

مع القريب (مع الأخوات)، التعامل مع الأشخاص الغرباء، كيفيّة التصرّف في أوقات التجربة وبعد السقوط فيها، التعبُّد للعذراء القدّيسة، التحلّي بروح الإيمان والحشمة وهو ما يُعرَف بالبتوليّة الخارجيّة.

الفصل الثاني: الواجبات الأسبوعيّة

وهي تتضمّن الاعتراف والمناولة.

الفصل الثالث: الواجبات الشهريّة

تشمل الرياضة الروحيّة، الإرشاد الروحي، التنبيه الروحي (أي وجود أخت قد تمّ اختيارها لتتولّى مَهمّة تنبيه أخواتها الراهبات)، فضلاً عن الاحتفال بالقدّيسة شفيعة كلّ شهر.

الفصل الرابع: الواجبات السَنويّة

تتمثّل بالرياضة الروحيّة السنويّة، وهي ممارسة تَقَويّة خاصّة، تُقام في "مناسبات الذكرى"، أي الأيّام التي تحلّ فيها ذكرى النِعَم الأساسيّة التي أنعمَ بها الربّ على كلٍّ منّا، شأن الذكرى السنويّة ليوم المعموديّة والتثبيت، ذكرى المناولة الأولى، الوعود الأولى في الرهبانيّة، النذور، وذكرى يوم دخول دير قلب يسوع الأقدس.

القوانين الجديدة

تمتلك القوانين الجديدة خصائص وصفات أخرى تختلف عن تلك القديمة. فهي ليست محضَ إصغاء إلى الماضي وحَسْب، لكنّها تمثّل في الوقت ذاته ردًّا على احتياجات الكنيسة وعالَم اليوم. لقد أُريدَ للقوانين الجديدة أن تظلّ أمينة لإلهام المؤسِّس؛ لذلك فهي تقتفي آثار خُطاه التي طَبعت بطابعها حياة الرهبانيّة في سيرها نحو تحقيق رسالتها. وهي بهذا الشكل تعبِّر عن الكاريزما التأسيسيّة للرهبانيّة مُجدِّدةً إيّاها في السياق الراهن لمفهوم الكنيسة. مثال ذلك: المقدرة على التمييز الجماعيّ، المسؤوليّة المتبادلة والمشتركة في نطاق عمل جماعيّ، الالتزام بإعلاء شأن الإيمان والعدالة، هذه وكثير غيرها هي جزء من الأساسيّات الجديدة لعالم اليوم. إنّ أخذ هذه الأساسيّات بعين الاعتبار أدّى إلى مراجعة عميقة لأنماط معيّنة من السلوك الموروث عن الماضي. وليست هذه المراجعة إلاّ مَهمّة أخَذتها القوانين الجديدة للرهبانيّة على عاتقها، فعمدت إلى إعادة النظر في قوانين سنة ١٩١١، وأجرت عليها تعديلاً شاملاً من غير أن تنأى عن الكاريزما الأصليّة للرهبانيّة. من المؤكَّد أنّ رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس لم تولد إبّان المجمع الرهبانيّ التأسيسيّ المنعقد عام ١٩٨٢. إنّها تمتلك ذاكرة تاريخيّة تمنح بُعدًا روحيًّا وعُمقًا إنسانيًّا لالتزاماتها

الحاليّة. لذلك فإنّها مسألة حيويّة للرهبانيّة أن تشعر أنّ ما يجعلها تنمو اليوم يربطها بالأجيال السابقة فترى فيها– عبرَ الوفاء ذاتهِ– إرثَها الشخصيّ المؤكِّد لأصالتها القادرة على صياغة كلّ أبعاد الالتزام في الكنيسة.

إنّ النصّ الجديد للقوانين قد يكون مُسهبًا بعض الشيء لكنّه دقيق في الوقت ذاته، وهو يتبع أساسًا أنموذج المبادرة الذاتيّة الموسومة بـ Postquam Apostolicis Littreis الصادرة بتاريخ ٩ شباط ١٩٥٢، مع الملحقات اللازمة والتعديلات الضروريّة لتحديثه بما يُواكب روح المجمع الفاتيكاني الثاني. تتكوّن القوانين الجديدة من ثلاثة أجزاء، أوَدُّ أن أتحدّث عنها بشكل مفصّل يتضمّن تعليقات وشروح أظنّها ذات أهميّة في إبراز روحيّة وكاريزما المؤسِّس، فضلاً عن أهميّتها في البُنيان الإنساني لبنات قلب يسوع الأقدس.

الجزء الأوّل: هدف الرهبانيّة وحياتها

تُعرِّف الرهبانيّة عن نفسها من خلال سبعة فصول تشخِّص هويتها في حسِّها الروحيّ الأصليّ.

- **الفصل الأوّل: اسم الرهبانيّة وهدفها**

تُعرف الجماعة بِاسم **رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس**، وهي تتّخذ من السعي نحو كمال المحبّة هدفًا لها، من أجل ملكوت قلب يسوع الكلّيّ القداسة، تيمُّنًا بالقدِّيسة مريم العذراء، ومتابعةً لكلمات القدِّيس بولس: "ليكن فيكم من الأفكار والأخلاق ما هو في المسيح يسوع"[٢٥٢].

إنّ الهدف الأساس للرهبانيّة إذَن هو تمجيد قلب يسوع من خلال العمل في سبيل خلاص وكمال أعضاء جسده السرّي. لذا فالرهبانيّة تكرِّس ذاتها في خدمة الكنيسة عبر العمل الرسولي المتمثِّل بمساعدة الإكليروس وتقديم الشهادة الحيّة من أجل انتشار ملكوت المحبّة والحقيقة والسلام من خلال النهوض بالنشاطات التربويّة وأعمال المحبّة، ويتمّ كلّ ذلك في إطار الطاعة والخضوع لسلطة وإدارة أسقف الأبرشيّة.

---

[٢٥٢] فيلبي: ٢: ٥.

تعود كاريزما الرهبانيّة في أصولها إلى نعمةٍ ذات طبيعة ثالوثيّة منحتها العناية الإلهيّة للكنيسة، وهي: كشفُ الله عن ذاته بوساطة قلب ابنه؛ لذلك فليس لهذه الرهبانيّة المنبثقة من قلب يسوع غايةٌ سوى تمجيده. ويتجلّى فعل التمجيد هذا في اتّحاد كلّ عضوٍ من أعضاء الرهبانيّة (المُراد بالأعضاء: الراهبات أنفسهنّ) بقلب يسوع، فضلاً عن التزامهنّ الفعلي بانتظار مجيء ملكوته المقدّس. تمتاز دعوة ابنة القلب الأقدس بكونها ذات بُعدَين مُتلازِمَين: فهي مدعوّة لتعيش حياة باطنيّة حقيقيّة، وتلتزم –في الوقت نفسه– بحياة رسوليّة يحتلّ فيها النشاط التربويّ (نخصّ بالذِكر: تنشئة الفتيات) موقعًا مميّزًا.

تمجيد قلب يسوع الأقدس: بهذا تشارك الرهبانيّة في فعل تمجيد المسيح، ذلك الفعل الممتدّ ما بين فجر القيامة ومجيء المسيح في اليوم الأخير. إنّها حركة جبّارة تضمّ تحت لوائها الكنيسة بأسرها؛ فمجد المسيح ليس صفةً يُنعَتُ بها الله فقط: "والآن مجّدني أنت يا أبَتِ بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم"[٢٥٣]. كما أنّه ليس فقط هبة الآب إلى ابنه القائم من بين الأموات، إنّه في الوقت ذاتهِ موضوع صلاة يسوع في العشاء الأخير من أجل الذين قد ائتمنه الآب عليهم: "يا أبَتِ إنّ الذين أعطيتني أريد أن يكونوا معي حيث أنا لِيَرَوا مجدي الذي أعطيتني"[٢٥٤]. إنّ يسوع لا يسأل هذا المجد فقط من أجلهم، ولكنّه يجده في تلاميذه الذين سيُصبحون صانعي هذا المجد: "وأنا مُجِّدتُ فيهم"[٢٥٥]؛ فمِن خلالهم تواصلت رسالة يسوع منذ فجر القيامة، وستستمرّ حتى نهاية التاريخ، حتى اليوم الذي يهزم فيه المسيح آخر عدوّ وهو الموت ويُخضِعُ كلَّ شيء تحت قدمَيه، حينئذٍ سيخضعُ هو نفسه إلى الله الآب "ليكون الله كلاًّ في الكلّ"[٢٥٦].

علينا في هذا المقام أن نتأمّل كلّ ما تنطوي عليه كلمة "تمجيد" من قوّة. إنّما هي مسألة عمل أو فعلٍ: إنّه مصدر الفعل "مجَّد" أي القيام بفعل التمجيد، "تمجيد المسيح" القائم من بين الأموات. لهذه هي

---

[٢٥٣] يوحنا ١٧: ٥.

[٢٥٤] يوحنا ١٧: ٢٤.

[٢٥٥] يوحنا: ١٧: ١٠.

[٢٥٦] ١ قورنثية ١٥: ٢٨.

رسالة الكنيسة ورسالة كلّ عضو من أعضائها: أن نفسح المجال لهذه الحياة الجديدة لِتُغيِّرنا، منتظرين بفارغ الصبر ومتسلِّحين بالإيمان وبالأمل بُنيان جسد المسيح حتّى تجلِّيه الكامل في المجد.

ولٰكن هناك ما هو أكثر من هذا؛ فيسوع قبل موته –خلال صلاته إلى الآب –كشف عن سرِّ هذا المجد: "وأنا قد أعطيت لهم المجد الذي أعطيتَه لي ليكونوا واحدًا كما نحن واحد. ... ليكونوا مكمَّلين في الوحدة، حتّى يعلم العالم أنّك أنت أرسلتَني وأنّك أحببتهم كما أحببتني"[٢٥٧]. وهٰكذا فإنّ هذا المجد الذي أضحى موضوعَ عملٍ، أي "فعلَ تمجيد"، ليس إظهارًا لقوّةٍ ما فحسب، ولكنّه حقًّا قوّةُ الحبّ، ذلك الحبّ الذي يصنع الشركة بين الآب والابن، حيث يجد التلاميذ كذلك مكانًا لهم فيها. هذا هو ما تَعيهِ وما تريده قوانين الرهبانيّة باتِّخاذها من تمجيد قلب يسوع الأقدس غايةً لها. هٰذا المجد في الحقيقة يُصنَع مع الحبّ، إنّه إشراق الحبّ بحدِّ ذاته، بل هو مجد الحبّ.

تتّخذ رسالة الرهبانيّة ملامحها من هٰذا العُمق؛ فالرهبانيّة تمجِّد قلب يسوع من خلال سعيها إلى خلاص أعضاء جسده السرّي وتكريس ذاتها في العمل على قداسة القريب، وهو مَطلبٌ ذو بُعدَين لهما انطلاقة دينيّة واحدة. تقوم القداسة الشخصيّة على الاقتداء بالفضائل التي تتّخذ من هذا القلب الإلهيّ مركزًا وأنموذجًا لها، في حين يأتي الالتزام بقداسة القريب بوصفه الفعل الأعَزّ على قلب يسوع.

إنّ الغاية التي تسعى إليها الرهبانيّة عظيمةٌ، ومفادها: السَير نحو تحقيق القداسة الشخصيّة عبرَ الاقتداء بمريم العذراء في تماثلها مع قلب يسوع. إنّ العذراء القدِّيسة هي مَن قبلَت أوّلاً في أحشائها البشريّةِ كلمةَ الله، وهي–بوصفها أمّ الكنيسة– تعمل على إنماء الرهبانيّة في مجال المعرفة الحقيقيّة للمسيح، وبفضل حدسها –كونها عروسًا وأُمًّا– تمنحُ الرهبانيّة نعمة الوُلوج في مَشاعر قلبه الأقدس. هكذا تكتشف الرهبانيّة في مريم العذراء عذوبة الوجه البشريّ لذلك (الكلمة المتجسِّد) الذي يتألّق فيه مجد الله. واقتداءً بمريم العذراء تتبع الرهبانيّة خُطى المسيح.

---

[٢٥٧] يوحنا ١٧: ٢٣-٢٣.

إنّ بنات قلب يسوع الأقدس مدعوّات إلى إعطاء الكنيسة شهادة بيِّنة على تكريسهنّ لله من خلال القلب الأقدس، بما يؤكِّد كون هذا التكريس فعلاً أساسيًّا لوجودهنّ المسيحي، والتزامًا رئيسًا يجب عليهنّ الوفاء به عبر حياتهنّ الشخصيّة. إنّهنّ في الحقيقة مكرّسات وفقًا لطبيعة دعوتهنّ لِيُظهرنَ علنًا في الكنيسة –السرّ (أي في الكنيسة بوصفها سرًّا إلهيًّا) أنّ "العالم لا يُمكنه أن يتبدّل ويغدو تقدمةً تُقرَّبُ إلى الله بغير روحيّة التطويبات"[٢٥٨]. لقد وُلدت الرهبانيّة من أجل الكنيسة، وهي مُلتَزمة بإغنائها بما تنطوي عليه من صفات وميِّزات طبقًا لروحها الخاصّ ودعوتها المحدَّدة، مع بقائها أمينة على كاريزما المؤسِّس، مُعزِّزةً التجديد الذي أوصى به المجمع الفاتيكاني الثاني والذي تقتضيه طبيعة الحياة في الزمن الراهن[٢٥٩]. إنّ الرهبانيّة مدعوّة إلى تقديم خدماتها من أجل البُنيان الأمثل للكنيسة جسد المسيح السرّي[٢٦٠].

من هنا وُلدت الرسالة الراعويّة للرهبانيّة واتّخذت أهدافها التي ترمي تحقيقها في نطاق التعليم المسيحيّ والتثقيف الإنسانيّ للشبيبة ولاسيّما للفتيات، والقيام بأعمال المحبّة على الصعيد الاجتماعي بناءً على احتياجات البلد والأبرشيّة وبخاصّة النساء اللواتي ما تزال مجموعة منهنّ غير متعلِّمات، والعناية بالفتيات الوحيدات، فضلاً عن خدمة المرضَى ورعاية الأيتام.

[٢٥٨] نور الأمم، ٣١، EV، ١، ص ١٩١؛ Mutuae relatione, EV، ٦، ص ٤٥٥.

[٢٥٩] Mutuae relatione, 14 c، ص ٤٥٧.

[٢٦٠] Mutuae relatione, 14 b، ص ٤٥٥؛ ٣٩، ص ٤٨٥.

كما يؤكّد المجمع أنّ الراهبات ينتمينَ هنّ أيضًا بوجهٍ من الوجوه إلى الأسرة الأبرشيّة، وأنهنّ يقدِّمن مساعدة كبيرة إلى الرؤساء الكنسيِّين في تلبية الاحتياجات المتنامية للعمل الرسولي. كما يجب عليهنّ أن يقدِّمن المزيد من العون كلّ يوم[٢٦١] بمساهمتهنّ في حياة الأبرشيّة مُظهِراتٍ الطاعة والسَلاسة في تعاملهنّ مع الأسقف والرؤساء. وفضلاً عن تعاونهنّ مع كهنة الأبرشيّة والجماعات الرهبانيّة الأخرى، تربطهّن بالجميع عُرَى الأخوّة المتجدِّدة والثقة والتكافُل الرسولي والوئام الأخويّ. إنّ هذا سيعمل حقًّا ليس فقط على تعزيز وعي أصيل لدى جماعة الكنيسة، بل سيكون كذلك حافزًا لكلٍّ أخت في الرهبانيّة على التعاون مع الجميع بفرح، وسيحثّها على إنماء العمل التضامني، علاوةً على أنّه سيجعلها تشعر بالمحبّة تجاه الأسرة البشريّة وجماعة الكنيسة التي تجد نفسها قد انضمّت إلى حياتها كما لو انّها ممارَسةٌ لدعوتها الشخصيّة[٢٦٢].

- **الفصل الثاني: ما ترتبط به بنات قلب يسوع الأقدس**

١- رباط روحيّ وإلهيّ: وهو قلب يسوع الأقدس نفسهُ، ينبوع الحياة الروحيّة، ودعامة الرهبانيّة. إنّ هذا الرباط يتعزَّز كلّ صباح وكلَّ مساء بالسجود للقربان المقدَّس، وبصلاة الشكر المشفوعة بالتضرُّع والتوبة والاسترحام.

٢- رباط خارجيّ قِوامُه الوعد العَلني الذي تأخذه كلّ راهبة على نفسها في عيد قلب يسوع الأقدس مُجاهِرةً ببقائها أمينةً لقوانين الرهبانيّة.

وبما أنّ الرهبانيّة قد وجدت هويّتها في الكاريزما التي منحها إيّاها الربّ؛ فإنّها تستطيع الآن أن تُعرِّف بنفسها عبر العناصر الجوهريّة لحياتها الباطنيّة مقترحةً الوسائل المؤدِّية إلى الكمال.

---

[٢٦١] المصدر نفسه، ٣٦، ص ٤٨٣.

[٢٦٢] المصدر نفسه، ٣٧، ص ٤٨٥.

- **المشورات الإنجيليّة**

إنّ وسائل تنشئة بنات القلب الأقدس على حياة الفضيلة والكمال لها في حدِّ ذاتها غايةٌ وهدف: الله ذاته، وبذاته، في مجد ابنه. وهذه التنشئة إنّما هي مستمرّة، بدءًا بمرحلة الطالبيّة، ووصولاً إلى مرحلة المجاهرة بالنذور، واستمرارًا حتّى الموت. وهٰذا السعيُ إلى الكمال هو مِلءُ غاية الرهبانيّة في رسالتها التي تقدِّمها كما هي يومًا بعد يوم واضعةً كلّ أخت من بنات القلب الأقدس على طريق الخدمة، وداعيةً إيّاها إلى مغادرة مُحيطها الأُسَرِي لِتُقيمَ في صميم قلب يسوع.

يشتمل معنى الكمال الإنجيليّ –قبل كلّ شيء– على المحبّة بِبُعدَيها: محبّة الله ومحبّة القريب، وتُختَبر هذه المحبّة من خلال الأعمال. من هنا يأتي الأسلوب المتعارَف عليه لتعريف الكمال الإنجيليّ في النصوص التي تتحدّث عن الحياة الرهبانيّة. إنّها تمرّ عبرَ أبلغِ اختبارات الفضائل قاطبةً، لتبلغ كمالها أخيرًا في أقصى ما تكون عليه الشركة الحميمة مع الله. هذه الفضائل هي الأعَزّ على قلب يسوع، وهذا الكمال ينحصر في الاتِّحاد الوثيق بشخص المسيح. إنّ المخطَّط ذاتَه الذي يبني الحياة الرهبانيّة يتحدَّد انطلاقا من قلب المسيح؛ ففي قلب يسوع تتعلّم ابنة القلب الأقدس كيف تميِّز وكيفَ تُطبِّق الفضائل التي تجعلها تُحاكي شخص المسيح؛ فهي إنّما تجد مقياس كمالها من خلال اتِّحاد القلبَين، حيث يُمكنها أن تُشارك المسيح في مشاعره تُجاه أبيه وتجاه الناس.

تستجيب الراهبات للدعوة الإلهيّة بمجاهرتهنّ بـ المشورات الإنجيليّة، ليس فقط بموتهنّ عن الخطيئة[٢٦٣] بل كذلك بزُهدهنّ في العالَم وتركهنَّ له، ليعشنَ من أجل الله فقط. إنّ حياتهنّ بأكملها تُوضَع في خدمة الله، وهو أمر يقود إلى تكريس خاصّ يتأصّل في المعموديّة ويمنحه تعبيرًا أكثر كمالاً. وبما أنّ الكنيسة قد اقتبلت هِبتَهنّ هذه؛ فإنّهنّ بهذا يضعنَ أنفسهنّ في خدمة الكنيسة.

[٢٦٣] روما ٦: ١١.

هذه الخدمة لله يجب أن تحثّهنّ على التمرُّس في الفضائل، وتجعلهنّ يؤثِرْنَها، ولاسيّما التواضع والطاعة والحصانة الباطنيّة والعفّة. كلّ هذا يجعلهنّ شريكات في تجرُّد المسيح[٢٦٤] وفي حياته، بوساطة الروح القدس[٢٦٥]. إنّ الراهبات الأمينات لنذورهنّ يتركنَ كلَّ شيء حبًّا بالمسيح[٢٦٦] بوصفه الشيء الوحيد الضروريّ لهنَّ[٢٦٧] مصغيات إلى كلماته[٢٦٨]، مَعنيّاتٍ بكلِّ ما يتعلَّق به[٢٦٩]، ساعياتٍ إلى الكمال الذي شقَّ المسيح طريقَه: "كونوا كاملين كما أنّ أباكم السماويّ هو كامل"[٢٧٠]. إنَ قوانين الرهبانيّة تؤكِّد هويّتها المشتملة على التكريس لقلب يسوع الأقدس وكذلك على إبراز نذر الطاعة والفقر والعفّة. فالمجاهرة بالنذور والالتزام بها هو الختم الذي يَسِمُ فعل التكريس لقلب يسوع الأقدس. يرتبط هذا التكريس ارتباطًا مباشرًا بالإلهام الذي يخصّ به المسيحُ المبتدئةَ كاشفًا لها عن نفسهِ وعن أفكاره. إنّ الرهبانيّة تستقي لاهوت نذورها من قلب يسوع الأقدس، وفيه تجد أسلوبها الشخصيّ الذي تعيش من خلاله هذه النذور في الكنيسة.

تضع قوانين الرهبانيّة هذه النذور الثلاثة في علاقة مباشرة مع الفضائل ذات الصلة. إنّ المسيح لم يتحدّث عن ثلاثة نذور تتمثَّل بالطاعة والفقر والعفّة، ولكنّه من ناحية ثانية عاش كلًّا من هذه الفضائل حتّى الكمال. تمتلكُ النذور طابعًا كنَسيًّا: إنّها توحِّد الملتزمين بها بشخص المسيح، وتربطهم بكنيسته في أسرة رهبانيّة. وبناء على ذٰلك يمكن لبنات القلب الأقدس معاينة ما يكشفه لهنّ المسيح من هذه الفضائل سواء عبر حياته وأعماله، أو بتأمُّلهنّ كيفيّة تَموضُعِها في أعماق ذاته، من خلال علاقة تربطه بكلٍّ منهنّ، بما يؤهّلهنّ بالمقابل أن يستجبنَ لتكريسهنّ الرهبانيّ.

---

[٢٦٤] فيلبي ٢: ٧-٨.

[٢٦٥] روما ٨: ١-١٣.

[٢٦٦] مرقس ١٠: ٢٨.

[٢٦٧] متى ١٩: ٢١.

[٢٦٨] لوقا ١٠: ٤٢.

[٢٦٩] لوقا ١٠: ٣٩.

[٢٧٠] ١ قورنثية ٧: ٣٢.

إنّ النذور في روحانيّة الرهبانيّة تتجذّر على صعيد القلب، فضلاً عن أنّ القلب يَعيها للحال من خلال مقدرته على التواصل مع قلب المسيح. وهكذا فإنّ الفضيلة تنشأ في باطنيّةٍ لايُمكنها أن تسبِّبَ كُربةً للذات، بل هي تيَقُّظ منشدّ نحو الآخر. الفضيلة هي مبدأ فعّال يُنظِّم سلوك المرء، إنّها تضع المبتدئة وجهًا لوجه مع الله الذي تنكشفُ لها فيه حياتها كلّها. أو بمعنى آخر إنّها تجد نفسها أمام المسيح الذي يكشف لها عن أعماق قلبه. إنّ قوانين الرهبانيّة تتأمّل من خلال هٰذا المنظور كيفيّة النموّ في ممارسة الفضيلة. فهذه الفضائل ليست في الواقع حالات مزاجيّة أو نفسيّة، إنّما هي أمور مُلزِمة، أي أنّها تُلزِم المرءَ جسدًا وروحًا، وتُعزَّز بأفعالٍ تجد موضعها في سيرةٍ إنسانيّة وروحيّة معًا. تُشير قوانين الرهبانيّة إلى الدَور الأساسيّ الذي تضطلع به المسؤولة عن نتشئة المبتدئات وتربيتهنّ على فضائل الطاعة والفقر والعفّة.

- **النذورات**

١. الطاعة

إنّ فضيلة الطاعة هي من أساسيّات الحياة الرهبانيّة؛ فهي ليست محضَ حالة إنسانيّة، أو معرفة تطبيقيّة تهدفُ إلى تيسير شأنٍ إداريّ عامّ. الطاعة هي حقيقة روحيّة تتجذّر أصلاً في سرِّ طاعة المسيح. فلا يُمكننا أن نتعلّم إلاّ منه، ولا يُمكننا أن نُطيع حقًّا إلاّ من خلال قياس الذات بمقياس شخص المسيح المطيع. تسترعي قوانين الرهبانيّة الانتباه إلى مَشاعر قلب يسوع الأقدس فيما يتعلّق بالطاعة. فهي تتحدّث عن الحبّ الذي كان يسوع يخصّ به هذه الفضيلة، كما لو أنّها بحدّ ذاتها موضوع حبّ المسيح. وإنّها لَكذلك بالفعل، ولاسيّما العلاقة التي عملت الطاعة على توطيدها بينه وبين أبيه. إنّ محبّة يسوع للآب وللبشر قادته إلى حبّ الطاعة. فهي –قبل كلّ شيء– مسألة حبّ ومسألة قلب. هكذا تتبنّى روحانيّة الرهبنة أفعال وسلوك يسوع، منطلقة من المنبع الأصليّ لهذه الأفعال، أي: القلب. إنّ الراهبة مدعوّة لاكتشاف ماهيّة الطاعة الحقيقيّة الكامنة في أعماق يسوع ذاته.

إن كانت الطاعة تنبع من الحبّ فإنّها بِدَورها تشهد على عُمق ذلك الحبّ. وأبعاد هذه الطاعة موضّحة تفصيلاً في قوانين الرهبانيّة ومُعزَّزة بإحالات على الكتاب المقدّس، حيث يُشير النصّ الكتابيّ إلى

أنّ المسيح جاء ليُتمّ مشيئة الآب[٢٧١]، متّخذًا هيئة عبدٍ[٢٧٢]، وأنّه عرف الطاعة بفضل ما قاساه من آلام[٢٧٣]. جاء ليخدم إخوته بخضوعه للآب، وليقدِّم حياته فداءً لكثير من الناس[٢٧٤]. فعلى مثال المسيح تقدِّم ابنة القلب الأقدس –بنذرها الطاعة– إرادتَها الشخصيّة هبةً كاملةً لله مضحِّية بذاتها. وعبرَ هذه التضحية تهب نفسها بثباتٍ ويقين إلى مشيئة الله الخلاصيّة، وتُظهر بروح الإيمان والمحبّة احترامَها لرؤسائها الذين ينوبون عن الله، وتضع نفسها من خلالهم في خدمة إخوتها في المسيح، منصرفةً أكثر فأكثر إلى خدمة الكنيسة، عالمةً أنّها تقدِّم صنيعها هذا في سبيل بنيان جسد المسيح على وفق مخطَّط الله.

إنّ الطاعة الرهبانيّة لا تعني إطلاقًا الحَطّ من كرامة الشخص البشريّ، بل على العكس من ذلك تبلغ بها إلى كامل نموِّها، عاملةً على إنماء حريّة أبناء الله[٢٧٥]. تجبُ الطاعةُ –قبل كلّ شيء– للأسقف كونه الراعي والأب للأيبرشيّة وللرهبانيّة[٢٧٦]، وهي طاعةٌ تفرضها سلطته الراعويّة، وتتطلّبها الوحدة والتوافق الضروريَّين في العمل الرسولي[٢٧٧]. وهي بعد ذلك واجبةٌ للرئيسة العامّة بوصفها الرمز الملموس لوحدة الرهبانيّة في اتِّحادها بقلب المسيح رأس هذا الجسد ومحرِّكه.

٢. العفّة

يجد نذر العفّة توافقًا لا مَثيل له مع كاريزما الرهبانيّة، وبالتحديد لأنّه يؤدّي بشكل مباشر إلى الموضع الذي تتّصل به مجدَّدًا في المسيح كلّ الأبعاد الإنسانيّة والروحيّة للحياة: القلب هو مقرّ الشعور والوجدان، هذا الموضع الذي تتأصّل فيه كلّ أنواع حضور الآخَر وتنشأ منه فاعليّة العمل الرسولي، حين

---

[٢٧١] متى ٥: ٤٨.

[٢٧٢] يوحنا ٤: ٣٤، ٥: ٣٠، عبرانيين ١٠: ٧، مزمور ٣٩: ٩.

[٢٧٣] فيلبي ٢: ٧.

[٢٧٤] عبرانين ٥: ٨.

[٢٧٥] متى ٢٠: ٢٨، يوحنا ١٠: ١٤–١٨.

[٢٧٦] ذلك لكون الرهبانية ذو حق بطريركي.

[٢٧٧] انظر: Perfectae caritatis، ١٤، EV، ١، ص ٤٠٣؛ نور الأمم، ٤٦، EV، ١، ص ٢٢٣.

يتواصل فيه الحوار العميق المنفتح على الله. كيف يمكن لروحانيّة القلب أن تتّخذ شكلاً مختلفًا؟ تلك الروحانيّة التي تشقُّ طريقَها عبرَ مشاعر قلب يسوع ذاتها!

إنّ نصّ قوانين الرهبانيّة مفصَّل جدًّا، ويقدِّم تعليلات واضحة لتبرير هذه التضحية وهذا الاستشهاد. ولكي يُمكن فهمه جيِّدًا يجب العودة إلى تعبير "حياة ملائكيّة" الذي صُوِّرَت من خلاله الحياة الرهبانيّة في القرون الأولى للمسيحيّة. كان زمن الاضطهادات الكبرى موشكًا أن ينتهي، وكان كثير من المسيحيِّين –شأن اسطيفانوس– قد رأَوا باستشهادهم أبواب السموات تُفتح لهم حيث جعلهم المسيح شُركاء مجده عن يمين الآب[٢٧٨]. آنذاك تسلّمت كنيسةُ عصرِ الترهُّب الأمانةَ التي ورثتها عن كنيسة عصرِ الاضطهادات. ومتابعةً للشهداء الذين كانوا يستعجلون بفارغ الصبر المجيء الثاني للمسيح، فإنّ المتوحِّدين كانوا يختلون في الصحارى وعلى الجبال حيث يعيشون وهم بَعْدُ على هذه الأرض حياةً مكرَّسةً تمامًا لله قوامُها الصلاة والصيامُ. كانت تلكَ حقبة آباء الصحراء، وهي كذلك حقبة تكوُّن القوانين الأولى للحياة النُسكيّة، كما مرّ بنا في الباب الأوّل لهذا البحث[٢٧٩]. كان الرهبان المتنسِّكون بترنُّمهم بمدائح الصباح يشعرون بأنّهم برفقة الملائكة، وأنّهم من أبناء الملكوت. ولٰكن من الجدير بالذِكر أنّ أولئك الرهبان لم يكونوا بصنيعهم هذا لِيَتجرّدوا عن كيانهم البشريّ، لكنّهم كانوا في تأمُّلهم بالله يريدون أن تتجلّى تمامًا من خلالهم عظَمة ومجد القائم من بين الأموات. فحياتهم الملائكيّة لم تقتَضِ بأيّ شكل من الأشكال ازدراء الجسد، أو نكران الحالة البشريّة. ألم يكن يسوع بكلامه عن قيامة الأجساد قد قارن الحياة في العالم الآتي بحياة الملائكة؟ "إنّهم في القيامة لا يُزوِّجون ولا يتزوَّجون ولكن يكونون كملائكة الله في السموات"[٢٨٠]. وكان الرهبان بحياتهم في الله وبتوَجُّههم الكامل نحوه تعالى يدخلون في ليتورجيّا السماء برفقة الملائكة الذين لا يبتغون سوى تمجيد الله وعبادته وخدمته.

حيث يتحدّث التقليد عن حياة ملائكيّة نتحدّث نحن طواعيةً اليوم عن السِمَة الأوآخريّة للحياة الرهبانيّة. فالحياة الرهبانيّة تُعلن من خلال حياتنا الحاضرة التي هي في طور الرحلة عن الحياة المقبلة. إنّها لا

---

[٢٧٨] نور الأمم، ٤٥، الموضع نفسه.

[٢٧٩] اعمال الرسل ٧: ٥٦.

[٢٨٠] انظر أعلاه: الباب الأول، الفصل الثاني: (أوّلاً: الرهبان).

تُعلن عنها فقط، بل تُعرِّف بها وتعيشها انطلاقًا من هذا الواقع الحاسم الذي يتمثّل فيه من ناحية أخرى منعى كلمة "أوآخرويّ". حسنًا، ما هي هذه الحقيقة الحاسمة التي هي حقًّا المحرِّك والغاية للرجاء المسيحيّ؟ إنّها قيامتنا على وفق قيامة المسيح البكر القائم من بين الأموات. هذه هي الحقيقة التي ينادي بها الدين في حضن الكنيسة من خلال شخص المسيح. فالكنيسة تحيا –حتّى في أوقات ضعفها– على رجاء إتمام هذا الوعد. إنّها تستبِقُ بقوّة الروح القدس ما كان المسيح قد حقّقه للجميع وتُظهره بشكل ملموس. إنّ قوّة التغيير تعمل بالفعل في كلّ نفس مسيحيّة من أجل حياتها. وما نتخلّى عنه طواعيةً على الصعيد الوجداني، وعلى صعيد بذل الذات، فلأنّنا نعلم بالإيمان أنّ القائم من بين الأموات هو الضامن لنا بشخصه ذاته. فالراهبة عندما تُظهِر بين إخوتها وأخواتها من خلال تضحيتها الإراديّة السِمَة الزائلة للحبّ البشريّ، فهي في الحقيقة تعني تقديم الشهادة لعربون الخلود الذي يؤدّي إليه ذلك الحبّ في المسيح. بحسب نص القوانين فإنّ نقاء القلب هو موضوع حبٍّ في المسيح. إنّه يتجلّى بقدر ما يؤدّي إلى إنماء كلّ ما يُلامسه.

تُشير قوانين الرهبانيّة إلى ما وردَ في الوثيقة المجمعيّة حول الحياة الرهبانيّة: إنّ العفّة الإنجيليّة هي هبة من الله قبل أن تكون ثمرة من ثمار الرغبة البشريّة[٢٨١]. وهذه الهبة أُعطيت لنا وتجلّت في قلب المسيح. في هذا القلب يجب على ابنة القلب الأقدس أن تعي دومًا هذه العفّة المسيحيّة التي دُعيت لها. إنّ قلب يسوع كان مقرّ كل الأحاسيس التي يمكن أن تجد لها موضعًا في القلب البشريّ: استياء، انفعال، رحمة، وُدّ، ابتهاج، إلخ.... وقد تغلّب المسيح على إيقاع هذه الأحاسيس، واضعًا إيّاها في قالبٍ من الاستقامة عبر علاقته بالآب وببني البشَر.

عندما تطلب قوانين الرهبانيّة إلى الراهبة أن تقتدي بنقاء قلب يسوع، فإنّها تُذَكِّرها بأنّ نقاء القلب إن كان مسألة حبّ فإنّ الأحاسيس هي الأخرى مسألة حبّ. إنّ المشاعر الوجدانيّة تتشرّب كلّها بالعفّة المسيحيّة، وهذا يعني أنّ نقاء القلب الحقيقيّ هو ثمرة الروح. فأحاسيسُنا تتنقّى وتستعيد قوّتها

[٢٨١] متى ٢٢: ٣٠.

وعافيتها من خلال الروح، ومن خلال قبولنا قوّته ووَداعته. هكذا، ومن حيث لا نشعر يجعلنا الروح نتماثل مع المسيح ومع جنبه المطعون الذي يسيل منه دمٌ وماء.

إنّ العفّة الرهبانيّة المُصانة "من أجل ملكوت السموات"[٢٨٢] هي هبة خاصّة من هبات النعمة. إنّها في الحقيقة تمنح قلب الإنسان حرّية غير اعتياديّة[٢٨٣] بما يجعله يلتهب أكثر بمحبّة الله وبمحبّة البشر أجمعين. ونتيجة لذلك تُشكّل علامة خاصّة للخيرات السماويّة، فضلاً عن كونها وسيلة ناجعة تُمنح للراهبة لِتُمكّنها من الانصراف السخيّ إلى خدمة الله والنهوض بالعمل الرسولي.

يجب على الراهبة من خلال عملها الدَؤوب للبقاء أمينةً على نذورها الرهبانيّة أن تؤمن بكلام الربّ، واضعةً ثقتها فيه تعالى، وألاّ تظنّ في نفسها القوّة، بل عليها أن تسعى إلى كبح شهواتها، وتسهر باستمرار على مراقبة أحاسيسها. فضلاً عن ذلك، فإنّ من الممكن المحافظة على العفّة بِيَقينٍ أكبر إن عرفت الراهبة كيف تعيش المحبّة الأخويّة الحقيقيّة في حياتها اليوميّة مع أخواتها في الرهبانيّة.

بما أنّ المحافظة على العفّة التامّة تلمس أعمق الأهواء والميول في صميم الطبيعة البشريّة، فإنّ الراهبة المزمعة على إبراز نذر العفّة لا يُمكنها المجاهرة بهذا النذر ولا يُؤذَن لها به إلاّ بعد اجتيازها مرحلة وافية من الاختبار، وبعد أن تكون قد بلغت درجة عالية من النضج النفسي والعاطفي. يجب إطلاعُها مسبقًا على الصعوبات التي هي بصدد مواجهتها، وقبل ذلك يجب أن تتمّ تنشئتها بأسلوب يؤهّلها على التزام البتوليّة المكرَّسة لله بوصفها أيضًا أحد الخيور التي تساعد على النموّ المتكامل لشخصها[٢٨٤]. "طوبى لأنقياء القلوب فإنّهم يُعاينون الله"[٢٨٥]. إنّ المسيح هو كمال هذه الطوبى في حياته وفي موته. إن كان المسيح قد استطاع أن يُنشِئَ توازنًا كهذا للعلاقة بين الإخوة والأخوات في المحبّة وفي الصداقة؛ فلأنّ الأحاسيس التي غمرت قلبه الإنسانيّ وجدته عامرًا دومًا بالحبّ البنَويّ الذي خصّه به أبوه السماوي. وإنّ

---

[٢٨٢] Perfectae caritatis، ١٢، EV، ١، ص ٣٩٩؛ متى ١٩: ١٢.

[٢٨٣] ١ قورنثية ٧: ٣٢-٣٥.

[٢٨٤] Perfectae caritatis، ١٢، EV، ص ٣٩٩-٤٠١.

[٢٨٥] متى ٥: ٨.

ابنة القلب الأقدس بنذرها العفّة مدعوّة إلى أن تعيش هذه الطوبى ذاتها. فهي بنقاء قلبها تُظهر في حياتها ذلك الغد الموعود: "إنّهم سيُعاينون الله". إنّها تُعاينه الآن من خلال تضحيتها الطوعيّة، على غرار الملائكة الذين "يُعاينون باستمرار وجه أبي الذي في السموات"[٢٨٦]. هذه هي الحياة الملائكيّة التي دُعيت الراهبة لتشهد لها في طبيعة حياتها وسطَ إخوتها وأخواتها. إنّ هذا النقاء، نقاء الملائكة الذين يُعاينون الله تستقيه الراهبة من قلب يسوع ذاته، وعبر نقاء مشاعره.

٣. الفقر

تتضمّن قوانين الرهبانيّة وعيًا ضميريًّا وانقلابًا في كيفيّة عَيش الفقر، تبعًا لما ورد في وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني. لا يُمكن بَعدُ أن نظلَّ غير مُكترثين بالظلم الذي يُمزِّق العالم المعاصر. لقد أدركنا بشكل خاصّ عدم إمكانيّة نشوء نوع من الحياة الأخويّة إلاّ من خلالِ فقرٍ مُجْمَعٍ عليه في مواجهةِ مجتمعٍ استهلاكيّ كالذي نعيش فيه اليوم. لذلك لم يكن بإمكان الفقر أن ينحصرَ في نوع من الفقر التبعيّ وحسب، كما كان في الماضي. إنّ ذلك الفقر كان يقتضي إعادة النظر في طريقة تفكيرنا وفي طبيعة سلوكنا، وكان يتطلّب التزامًا شخصيًّا وجادًّا من قِبل كلّ ابنة من بنات القلب الأقدس. إنّ طبيعة علاقاتنا الإنسانيّة تمرّ بالضرورة عبر طبيعة العلاقات الاقتصاديّة على صعيد الممتلكات. فمن خلال الاقتسام فقط، وعندما يحمل بعضُنا أعباءَ بعض تتوطَّد أواصر الأخوّة والثقة المتبادَلة، وهي علامة الحياة الجديدة التي أتى بها المسيح. إنّ الفقر يبني الجماعة.

الجماعة الحقيقيّة التي تعيش حياة الشركة والاقتسام يجب أن تقوم على التضامن الفعليّ مع الفقراء. فالفقر الإنجيليّ يقتضي أن نكون حسّاسين تجاه الضائقة الاقتصاديّة التي أفرزها عالمنا المعاصر، ممّا يوجب مواجهة المتطلّبات الجديدة التي يفرضها هذا الواقع على الجماعات الرهبانيّة وعلى أسلوب الحياة ومؤسَّسات الدعاية والإعلان وما إلى ذلك من مرافق المجتمع. كلّ هذا يُلزِم الراهبة أن تعيش الفقر وسط

---

[٢٨٦] متى ١٨: ١٠.

إخوتها من الفقراء، وتقاسمهم همومهم وضائقاتهم وتتضامن معهم في معركة الحياة. إنّها تلقى من خلالهم يسوع؛ ممّا يجعلها تختبر حقًّا حالة القلق وعدم الاستقرار التي يعيشونها، فتكون فيما بينهم شاهدة للرجاء: كلُّ مرّة تُعلَن فيها بُشرى الإنجيل للفقراء يكون ملكوت السموات حاضرًا بيننا.

إنّ هذا الوعي قد جدّد الحياة الرهبانيّة في أعماقها. فالأمر يستدعي تغييرًا للذهنيّة التي كان يُفهم من خلالها معنى نذر الفقر سابقًا. فهذا النذر يُشير بالتأكيد –اليوم كما في الأمس– إلى الأموال والممتلكات الماديّة، غير أنّ ما تُبرزه اليوم القيمة الإنجيليّة لهذا النذر هو نوعيّة معيّنة من العلاقات الإنسانيّة داخل الجماعة الرهبانيّة وفي المجتمع. فمصداقيّة النذر تتربّع على حقيقة الأواصر التي يُوجِدُها بوساطة الاقتسام الأخويّ المجمَع عليه، وعبرَ التضامن المُعاش مع أكثر الناس فقرًا. هٰكذا يفتح الفقر أعيُنَنا نحن أبناء القرن العشرين على قوّة الاستجواب التي يمتلكها. إنّ كاريزما الرهبانيّة تتمثّل بالوقوف على طبيعة كلّ نذر من الداخل، أي انطلاقًا من مشاعر قلب يسوع. فالإنجيل يُظهر لنا كيف عاش يسوع فقيرًا أمام الله وأمام الناس، أمّا يسوع فلَم يخبرنا بشكل مباشر بما كان يكنُّه في صدره من أفكار وأحاسيس بخصوص الفقر. لذٰلك تحاول قوانين الرهبانيّة التوغُّل في هذه الأفكار والأحاسيس بإعادة قراءة الإنجيل على ضوء ما فَقِهَهُ التقليد المسيحي من معنى للفقر الإنجيلي وما فيه من غِنَى. هٰكذا تُبرز القوانين مشاعر قلب المسيح الذي عايشَ الفقر منذ ولادته ليجعل منه رفيقه الأمين حتّى الموت. إنّ الفقر إذن يتّحد بالحياة الأرضيّة للمسيح؛ فقد كان موضع اختياره الحُرّ، وكان هذا الاختيار قد مرّ أوّلًا بأقاربه ليغدو بعدئذٍ اختيارَه هو. إن كان المسيح قد طلب الفقر بتجسُّده، فلأنّه كان قد أحبّ ذٰلك الفقر، وفيه وجدت الخليقة بأسرها جمالها وحقيقتها الأولى. فالبذار والأزهار والكائنات الحيّة الأخرى، وحتّى الكواكب تصبح كلّها على حدٍّ شهادة الإنجيل رمزًا غير متناهٍ للملكوت، ويغدو الكونُ لِمَن يمتلك قلبَ فقيرٍ أرضًا وسماءً في الوقت عينه.

وبناءً على ذلك فإنّ لابنة القلب الأقدس نهجًا تعيش على غراره نذرَ الفقر. إنّها تستقيه بالإكبار وبالحبّ الذي كان قلب يسوع يكنُّه لهذه الفضيلة، فَيُلزِم هذا النهج الذاتي حِسَّها الإيماني.

إنّ الفقر الإنجيلي لا يعني لها كيفيّة التصرُّف بمقتنياتها وحَسْب، بل يعني الاقتسام والتضامن الفعليّ مع الفقراء. فالوعي الذي أعقب المجمع الفاتيكاني الثاني يُشكِّل نقطة اللاعودة. غير أنّ ابنة القلب

الأقدس تعرف أنّ الخيرات التي تنعم بها هي خيراتٌ يَمُنُّ بها الله قبل كلّ شيء، لأنّها وعت ذلك في قلب يسوع ذاته. إنّها تعلم أنّ ثمار عملها هي أوّلاً صنيع الله في حقّ ذاته تعإلى، وقد جادَ هو بهذا الصنيع على الخليقة. إن كان باستطاعتها أن تَهب مجّانًا، فلأنّها تعلم حقًّا أنّها كانت قد تلقّت كلّ شيء مجّانًا أيضًا. إنّ فرح الهبة المتَلقّاة ينفتح على فرح الهبة المقتسَمة بالتضامن مع الفقراء والمعوزين.

ولٰكن على ماذا يشتمل بشكل دقيق هٰذا النوع من الفقر؟ إنّ قوانين الرهبانيّة باستيحائها مضمون الوثيقة المجمعيّة حول الحياة الرهبانيّة تُحدِّده بدِقَّة في الفقرة الثالثة: تتنازل ابنة القلب الأقدس عن حقِّها في الملكيّة[٢٨٧]. من الحقوق الأساسيّة للإنسان حقّه في إمكانيّة ممارسة حرّيته الشخصيّة بشكل طبيعي. غير أنّ ابنة القلب الأقدس تفقد هويّتها القانونيّة: إنّها تربط مصيرها بمصير الرهبانيّة، ومنذ تلك اللحظة لا تعيش إلاّ ضمن المؤسّسة الرهبانيّة، ومن خلالها تحيا في المسيح ذاته.

هنا نلمس البعد الاجتماعي والجماعي للفقر الإنجيلي بكلّ جوهريّته وأصالته. إنّه يظهر بِجَلاء في الحياة اليوميّة للراهبة، وفي امتناعها عن اقتناء أيّ شيء شخصيّ إلاّ بإذْنِ رؤسائها. وبناءً على هذا فإنّ ابنة القلب الأقدس تستعين بالرهبانيّة في كلّ ما يتعلّق باحتياجاتها الشخصيّة. إنّ تصرّف الفقير هو الذي يُعطي قيمةً لعطائنا حبًّا بالمسيح، وإن كانَ كأسَ ماءٍ لأصغر إخوتِه[٢٨٨]. هكذا نجد أنفسنا إلى جانب المسيح عندما يتّخذ ملامح أولئك الذين يتضوَّرون جوعًا وعطشًا[٢٨٩]. كذلك حال مَن لا يملك إلاّ انتظارَ كلّ شيء من الآخرين (جماعته) فيما يتعلّق بالمأكل والملبس والمأوَى.

إنّ هذا الفقرَ فرحٌ، غير أنّه في الوقت ذاته معاناة أحيانًا. فَقُبول حياة الفقر يعني قبول المعاناة الناشئة عن مواقف أنانيّة ممكنة الحدوث، أو الألم الذي تسبِّبه قساوة قلوب هذه أو تلك من الأخوات في الرهبنة. فَمَن تجدُ نفسها مستعدّةً في ساعات الشِدّة أن تحمل ختمَ جروح المسيح في حياتها، هي فقط التي تستطيع أن تُنشد نشيد الفرح النابع من قلب يسوع الذي أرادَ من أجل الحبّ أن يُعامَل كآخِر فردٍ

---

[٢٨٧] Perfectae caritatis، ١٣، EV، ١، ص ٤٠١-٤٠٣.

[٢٨٨] متى ١٠: ٤٢.

[٢٨٩] متى ٢٥: ٤٠-٤٥.

وكالنفاية في قومه[٢٩٠]. بهذا الثمن تدخل ابنة القلب الأقدس في فقر المسيح. من العبث أن نقول إنّنا هنا في غمار الروح؛ ففي هذا الميدان لا تتمكّن الرسوم الرهبانيّة أن تصوغ أو تحرِّر نصًّا قانونيًّا. ليس بِوسعها في الحقيقة إلاّ أن تبيِّن الطريق: طريق القلب، طريق الحريّة الروحيّة الحقيقيّة. فهناك إبداعات للمحبّة تمرّ عبرَ الحبّ الذي يخصُّ به قلب يسوع شخصيًّا الفقر.

- **الفصل الثالث: الحياة الأخويّة المشتركة**

يظلّ قلب يسوع الأنموذج والصانع لقداسة ابنة القلب الأقدس. فكلّ علاقة حقيقيّة مع يسوع بقدر ما هي شخصيّة يجب أن تمرّ من خلال الجماعة (أي الرهبانيّة)، وعبر الأواصر التي تتوطّد فيما بين الأخوات. إنّ الحياة الجماعيّة هي ذات بُعد تأسيسيّ للحياة الرهبانيّة المكرّسة. يورد نصّ قانون الرهبانيّة – شأن الوثيقة المجمعيّة[٢٩١]– مثال الكنيسة الأولى (أي: الجماعة المسيحيّة الأولى) التي كان أعضاؤها يؤلِّفون قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة[٢٩٢]؛ لتنظيم الحياة المشتركة التي تتغذّى على تعاليم الإنجيل، والليتورجيّا المقدّسة، ولاسيّما سرّ الأفخارستيا، فضلاً عن المداومة على الصلاة والشركة الأخويّة بروح واحد[٢٩٣]، وبالاحترام المتبادل، يحمل بعضهم أعباءَ بعضٍ[٢٩٤]؛ فبمحبّة الله التي تسود القلوب بوساطة الروح القدس[٢٩٥] تغدو الجماعة الرهبانيّة أسرةً متّحدة باسم الربّ.

لقد أنشأ المسيح بتقديم ذاته قربانًا وتذكارًا عهدَ الوصيّة الجديدة. فهناك رباط وثيق بين بذلِ المسيح نفسَه إلى خاصّتهِ وبين هبةِ وصيّة المحبّة المتبادلة. إنّها هبةٌ ذات بُعدَين مُنحَت في ذكرى حيّة: "اصنعوا هذا لذكري"[٢٩٦]. ذِكرٌ يبني الجماعة بحضور المسيح الذي يوحّدها. في هذا السياق بالتحديد يتّضح معنى

---

[٢٩٠] انظر (اشعيا ٥٣).

[٢٩١] Perfectae caritatis، ١٥، EV، ١، ص ٤٠٥.

[٢٩٢] اعمال الرسل ٢: ٣٢.

[٢٩٣] انظر: اعمال الرسل ٢: ٤٢.

[٢٩٤] انظر: روما ١٢: ١٩و غلاطية ٦: ٢.

[٢٩٥] انظر: روما ٥: ٥.

[٢٩٦] لوقا ٢٢: ١٩.

الوصيّة الجديدة الذي يجد مكانه في قوانين الرهبنة. "لِيُحبّ بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا"[٢٩٧]. ليست هذه الوصيّةُ جديدةً لأنّها تدعو الناس إلى المحبّة المتبادلة فَحَسْب، لكنّ جِدَّتها تكمن في طبيعة الحبّ الذي يأمر ويُمَكِّن. وليس هذا الحبّ إلاّ ما منحنَا إيّاه يسوع.

يُمَوضِعُ إنجيل يوحنّا جيِّدًا الخلفيّة التي تبرزُ فيها الوصيّة الجديدة[٢٩٨]. وما هذه الخلفيّة إلاّ المبادرة الثنائيّة التي خصّ بها يسوع أحبّاءَه وأعداءَه على حدٍّ سواء لحظة انطلاقه إلى الآب، والتي يتركّز فيها معنى حياته فيما بينهم ومِن أجلهم: قام يسوع أوّلاً بغسلِ أرجل تلاميذه[٢٩٩]، وثانيًا قدّم "اللُقمة" إلى مَن كان يُعِدّ العُدّة لخيانته[٣٠٠]. فهناك من ناحية الالتفاتة المتواضعة المتمثِّلة بالخدمة والاحترام المعبِّرَين عن الحبّ اللامتناهي، ومن ناحية أخرى محاولته الأخيرة لمدِّ يده إلى أخيه الذي يُمعن في تحصين نفسه وفي رفضه أن يكون له نصيب مع يسوع. فلا الرُسل ولا يهوذا كان بإمكانهم في تلك اللحظة أن يُدركوا ما فعل يسوع من أجلهم. إنّها ساعة الآلام تقترب، وهي أيضًا ساعة التشتُّت. ولكنّنا نجد في تلك اللحظات بالتحديد مجدَ الله يسطع من خلال بذلِ المسيحِ ذاتَهُ من أجل خاصّتهِ: "الآن تمجّد ابن الإنسان، وتمجّد الله فيه"[٣٠١]. وفي نور المجد هذا جاءت الوصيّة الجديدة: "أعطيكم وصيّة جديدة: أحِبُّوا بعضكم بعضًا. كما أحببتكم أحبّوا أنتم أيضًا بعضكم بعضًا"[٣٠٢].

وقد أعاد يسوع هذه الوصيّة في حديثه الذي ودّع به تلاميذه[٣٠٣]، بل قد جعل منها المحور والمركز المشعّ. ولا يخفى سبب هذا الكلام الذي وجّهه يسوع إلى تلاميذه؛ فسببه هو حزنهم وجزعهم الناشئان

---

[٢٩٧] يوحنا ١٥: ١٢.

[298] Cfr. SIMOENS, Y., La gloire d'aimer, structures stylistiques et interprétatives dans le Discours de la Cène (Jo. 13-17), in Analecta Biblica 90, Istituto Biblico, Roma ١٩٨١.

[٢٩٩] يوحنا ١٣: ١-٢٠.

[٣٠٠] يوحنا ١٣: ٢١-٣٠.

[٣٠١] يوحنا ١٣: ٣١.

[٣٠٢] يوحنا ١٣: ٣٤.

[٣٠٣] يوحنا ١٥: ١٧.

عن احتمال مغادرة يسوع التي كان يُتوقّع حدوثها قريبًا: "حيث أنا ذاهب لا تستطيعون أن تأتوا"[٣٠٤]. ولكن حتّى في حال غيابه (الجسديّ) يظلّ يسوع مع خاصّته. إنّه حاضر في كنيسته، فهو الكرمة التي تستمدّ منها الأغصان قوّتها الحيويّة فتثمرَ ثمرًا وفيرًا[٣٠٥]. ويتجلّى حضور المسيح الإفخارستي المحيي بين خاصّته في المحبّة المتبادلة التي يعيشونها: "وصيّتي هي: أحبّوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم. ليس لأحد حبٌّ أعظم من أن يبذل نفسه في سبيل أحبّائه"[٣٠٦]. وليست هذه الهبة التي تمثّلها الوصيّة الجديدة إلّا حضور المسيح وسط جماعة الإخوة المجتمعين باسمه. إنّ تطبيق هذه الوصيّة يضمن تحقُّق المجد الذي به يمجّد الآبُ ابنَه في العالم. "أحبّوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم". إن كانت هناك لحظة في حياة يسوع الأرضيّة تُظهر عطاءَه بجلاء فهي بلا شكّ لحظةَ إعطاء الوصيّةَ الجديدة: "فقد جعلتُ لكم من نفسي قدوةً لتصنعوا أنتم أيضًا ما صنعتُ إليكم"[٣٠٧]. هذا التعبير الذي تبنّته قوانين الرهبانيّة والذي يرى في قلب المسيح "نموذج الفضائل كلّها" يجد جذوره الكتابيّة في أحداث العشاء الأخير. ففي تلك الساعة بالتحديد يبذل المسيح ذاته جاعلاً من نفسه نموذجًا، متوجّهًا إلى تلاميذه وموجّهًا أحدهم إلى الآخر في الوقت ذاته بقوله لهم: "فإذا كنت أنا الربّ والمعلّم قد غسلتُ أرجلكم، فيجب عليكم أنتم أن يغسل بعضُكم أرجلَ بعض"[٣٠٨]. إنّ الحياة الجماعيّة التي تعيشها الأخوات في الجماعة الرهبانيّة ليست فقط وسيلة لبلوغ يسوع ولمحبّته، بل هي الهبة التي يهبها المسيح لكلّ أختٍ من الأخوات ليكون حاضرًا حقًّا معها. فبالخدمة المتبادلة نصنع للمسيح ما صنع هو لنا. فشهادتنا للمسيح وتقديمنا له ذلك التقدير والحبّ الذي قدّمه هو لنا إنّما يظهران في منحِنا أخوات الجماعة التي نعيش فيها الاحترام ذاته والحبّ عينه اللذَين نُبادل بهما حبّ يسوع لنا. فمَسيح المجد يكون حاضرًا لكلٍّ منّا من خلال الجماعة؛ والمحبّة لا تدوم إلا في حياة الجماعة التي تُنعشها وتنمّيها. لا يُمكننا إذَن أن نصبح شبيهات بقلب يسوع إلا بوساطة الحبّ الذي يربط بأواصره

---

[٣٠٤] يوحنا ١٣: ٣٣.

[٣٠٥] يوحنا ١٥: ١-١٠.

[٣٠٦] يوحنا ١٥: ١٢-١٣.

[٣٠٧] يوحنا ١٣: ١٥.

[٣٠٨] يوحنا ١٣: ١٤.

الأخوات جميعًا: "بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي إذا كنتم تحبّون بعضكم بعضًا"[٣٠٩]. هكذا تغدو المحبّة الأخويّة مقياسًا للتشبُّه الحقيقيّ بالمسيح.

إنّ المحبّة لا تلتحق بالفضائل الأخرى، بل هي تؤسِّس محورًا جديدًا في الجهد المبذول من أجل التشبُّه بقلب يسوع تشبُّهًا تامًّا؛ فأيّ تماثل حقيقيّ مع المسيح يمرّ من خلال الحبّ المبذول للأخوات في الرهبانيّة. وبناءً على ذلك فإنّ كلّ علاقة بالمسيح تحاول أن تظلّ دائمًا علاقة فرديّة محضة أو علاقة خياليّة ستجد نفسها بالتأكيد مُستثناة.

كلّ فضيلةٍ إنّما تضع صاحبها في تواصل مع الآخر، وتعيش –في الوقت ذاته– بفضل هذا التواصل؛ لذا فالمحبّة هي روح الفضائل كلِّها. المحبّة على حدِّ تعبير القدّيس بولس هي الآصرة التي توحِّد الفضائل كلّها معًا: "... والبسوا فوق ذلك كلِّه ثوبَ المحبّة فإنّها رباط الكمال"[٣١٠]. فكما يربط الحزامُ الثوبَ، هكذا هو الحبّ الأخويّ لدَى ابنة القلب الأقدس؛ فهو الوثاق الذي يربط فضائلها الشخصيّة كلّها إحداها إلى الأخرى موحِّدًا إيّاها بمشاعر قلب يسوع في علاقته البنويّة بالآب. إن كانت المكانة التي تحتلّها الحياة الأخويّة والجماعيّة في الرهبانيّة على هذا القدر من الأهميّة، فما هي إذَن متطلّباتُها؟ هذا هو ما تتحدّث عنه قوانين الرهبانيّة بشكل دقيق، مُحيلةً القارئ إلى الكيفيّة التي تأسّست على وفقها الجماعة الأولى زمن الرسل، أي: الوصيّة الجديدة. كثيرة هي التوصيات التي توضح وتعيد صياغة الكلام الذي كان يحثّ به مار بولس الكنائس الفتيّة، ولا سيّما رسائله إلى أهل فيلبّي وأهل قولسّي: المحبّة المتبادلة، احترام الآخرين والتعامل معهم بلطف، التأصّل في المحبّة المُستقاة من قلب يسوع[٣١١]، إظهار الرحمة والشفقة تجاه آلام الأخوات، احتمال عيوبهنّ ونواقصهنّ وضعفهنّ، مراعاة احتياجاتهنّ، تجنّب الاحتجاج أو المعارضة وكلّ ما مِن شأنه أن يُقلق أو يُكدِّر صفاء القلوب واتِّحادها[٣١٢]، فضلًا عن ضرورة الصفح والغفران فيما بين الأخوات: "فكما صفح عنكم الربّ اصفحوا أنتم أيضًا". ويختم مار بولس خطابه الموجَّه إلى أهل

---

[٣٠٩] يوحنا ١٣: ٣٥.

[٣١٠] قولوسي ٣: ١٤.

[٣١١] فيلبي ٢: ٢–٤.

[٣١٢] قولوسي ٣: ١٢–١٥.

قولسّي بهذه الكلمات: "لتنزل فيكم كلمة المسيح وافرةً، ... رتّلوا لله من صميم قلوبكم شاكرين بمزامير وتسابيح وأناشيد روحيّة"[٣١٣].

لقد نشأت جماعة الإخوة على مجّانيّة الصفح المتبادَل، وهي تعيش على هذا الغفران وبه؛ فهو الذي يجعل منها واقعَ نعمةٍ. إنّ الجماعة هي هبة من الله قبل أن تكون "صنيعًا" بَشريًّا. وتجد هذه الهبة هويّتها وحقيقتها في الغفران. هكذا تنمو كلّ جماعة حقيقيّة بفعل النعمة وتصبح موقدًا يُشعّ فرحًا، على حدِّ قول بولس الرسول إلى أهل فيليّ: "فأَتِمّوا فرحي بأن تكونوا على رأي واحد"[٣١٤]، ذلك الفرح الذي يُعادل لدَى القدِّيس يوحنّا هبة الوصيّة الجديدة: "قلتُ لكم هذه الأشياء ليكون فيكم فرحي فيكون فرحكم تامًّا"[٣١٥].

- **الفصل الرابع: حياة الصلاة**

الصلاة هي اكتشاف الألفة الإلهيّة، وهي موضوع عبادة وحاجة إلى الشفاعة. تُظهر خبرة القداسة المسيحيّة فاعليّة الصلاة التي يتجلّى فيها الله لقلوب الذين يعبدونه. وهذه المعرفة لذاته تعالى إنّما يهبنا إيّاها الربّ في اتّقاد نار المحبّة[٣١٦].

الصلاة هي حياة ابنة القلب الأقدس، وهي تعبير عن إيمانها وعن حبِّها، فضلاً عن كونها روح رسالتها وعملها الرسوليّ. إنّها لا تستطيع التحدُّث إلى الناس بفاعليّة وتأثير ما لم تَعِشْ في حالة تواصل مستمرّ مع الله. فهي تغدو من خلال الصلاة وسيطة بين الله والعالم؛ فتجعل الله حاضرًا بين الناس وتقرّبهم إليه تعالى. يُعَدّ الالتزام بالصلاة أو إهمالها –كما يُظهر لنا التاريخ– مقياس حيويّة أو وهن الحياة الرهبانيّة[٣١٧]. الصلاة الليتورجيّة صلاة يسوع وصلاة جسده السرّي الذي هو الكنيسة إنّما هي فعل مقدَّس

---

[٣١٣] قولوسي ٣: ١٦.

[٣١٤] فيلبي ٢: ٢.

[٣١٥] يوحنا ١٥: ١١.

[٣١٦] Evangelii testificatio, 43, EV, IV, p. 673.

[٣١٧] المصدر نفسه، ٤٢، ص ٦٧٣.

بامتياز، لا يُضاهيه أيّ فعل كنسيّ آخر في درجته أو في أسلوبه، فالصلاة تحتلّ المكانة الأولى في حياة الكنيسة[٣١٨].

يتحقّق سرّ الإفخارستيّا من خلال تقدمة القربان في القدّاس. فالكنيسة باتّحادها مع المسيح الكاهن والضحيّة ترفع بأسرها قربان القدّاس، وتصير هي بِدَورها قربانًا يُرفع في القدّاس[٣١٩]. إنّ سرّ الإفخارستيّا هو القلب والمركز للّيتورجيّا المقدَّسة، بوصفه مصدر الحياة التي تُطهِّرنا وتُغذّينا؛ فلا نحيا بعدُ لأنفسنا، لكن نحيا لله، متّحدين فيما بيننا بوثاق المحبّة الذي لا ينفصم[٣٢٠].

تحتلّ الإفخارستيّا المكانة الأولى في حياة ابنة القلب الأقدس. فحياتها الباطنيّة كلّها يجب أن تشعّ بإدراكها الحضور السرّي للمسيح في الكنيسة. إنّها تتأمّل في فعل السجود للقربان المقدّس– عبر بذلِ يسوع ذاته في سرّ القربان– مجدَ قلب يسوع الذي تتدفّق من جنبه المطعون أنهارُ ماءٍ حيّ. يُظهر فعل السجود لسرّ القربان المقدّس قلب المسيح "المفتوح" في ضياء المجد. إنّ ابنة القلب الأقدس بتناولها القربان في القدّاس تُعيد ذكرى تقدمة المسيح ذاته للآب من أجل خلاص العالم. تتّخذ كاريزما الرهبانيّة من مركز السرّ الفصحي مَقرًّا لها. لذا فإنّ ابنة القلب الأقدس بنعمة دعوتها وبفضل هذه الكاريزما وبنور مجد القائم من بين الأموات مدعوّة أن تجعل من آلام المسيح التي تمّت فيها مصالحة البشريّة بالله آلامَها هي. بسرّ موت وقيامة المسيح تدخل ابنة القلب الأقدس الإنجيل وتتعمّق شيئًا فشيئًا معرفتها للربّ الذي تجسّد من أجلنا جميعًا، وبنعمته تعالى ستدخل حينما تغدو أهلاً لذلك في مشاعر هذا القلب الإلهي تجاه الله وتجاه البشر. هكذا تتبع ابنة القلب الأقدس المسيح طوال حياتها، وتتأمّل حياته منذ ولادته حتّى موته، مبصرةً إيّاه يعيش فقيرًا، عفيفًا، مطيعًا، فتنخرط في مدرسةِ ذلك الذي كشفَ لها عن ذاته "وديعًا ومتواضع القلب"، وتستمدّ حياتها من هذه المحبّة الأخويّة التي بها أحبّ المسيحُ خاصّته. تُشارك ابنة القلب الأقدس

---

[٣١٨] Sacrosanctum Concilium، دستور حول الليتورجيّا المقدّسة، ٤ كانون الأول ١٩٦٣، ٧، EV، ١، ص ٢٥.

[٣١٩] انظر: بولس السادس، سرّ الإيمان، رسالة حبريّة عامّة حول عقيدة وعبادة الإفخارستيّا، ٣ أيلول ١٩٦٥، AAS، ١٩٦٥، ص ٧٥٣– ٧٧٤، EV، ٢، ص ٤٣٠– ٤٧١.

[٣٢٠] المصدر نفسه، ص ٤٣١.

المسيح في آلامه مشاركةً خاصّة جدًّا بإصلاحها ما أفسده جحودُ الناس له؛ لأنّ كاريزما الرهبانيّة تنبع من عَيش الآلام التي تحقّقَ فيها خلاص العالم.

أقرّت قوانين الرهبانيّة صلاة فرض الساعات الخاصّة بالكنيسة الكلدانيّة، وهي تتضمّن صلاة الصباح (ܨܦܪܐ)، وصلاة المساء (ܪܡܫܐ). أمّا صلاة منتصف النهار فشأنها شأن صلاة العصر: فهُما تتألّفان من قراءة لنصوص من الكتاب المقدّس مع تلاوة الورديّة المقدّسة، وتراتيل روحيّة، أمّا مدّة الصلاة فهي رُبع ساعة تقريبًا. تُؤدَّى الصلاة القانونيّة بشكل جماعيّ، وإن لم تتمكّن إحدى الراهبات من المشاركة فيها لِعُذر مشروع فعليها تلاوتها بمفردها.

كما تخصِّص ابنة القلب الأقدس جزءًا من وقتها كلّ يوم للصلاة الشخصيّة والتأمّل وقراءة الكتب الروحيّة والسجود لسرّ القربان المقدّس لتتغذّى روحًا وقلبًا. وتتلو الراهبات ورديّة ثالثة تؤدَّى فرديًّا أو جماعيًّا. أمّا الرياضة الروحيّة الشهريّة وتلك السنويّة التي يُستَعَدّ بها لعيد قلب يسوع الأقدس فتأتي كلُّها لإنعاش نفوس الراهبات بحبّ قلب يسوع الذي تستمدّ منه كلّ أختٍ قوّةً لقداستها الشخصيّة ولرسالتها في خدمة الأنفُس تمجيدًا لقلب يسوع الأقدس، ولأجل خلاص العالم.

هناك صلوات خاصّة وإلزاميّة، يجب على الراهبات أداؤها في كلّ أديرة الرهبانيّة من أجل راحة أنفُس الأخوات المتوَفَّيات، قِوامُها ثلاثة قداديس وصلاة فرض الساعات المخصّصة للموتَى. كما يُقام شهريًّا قدّاس مؤبّد راحةً لأنفُس الأخوات المتوفَّيات والمحسنين إلى الرهبانيّة المتوفَّين.

- **الفصل الخامس: الحياة في ظلّ قانون الرهبانيّة**

على ابنة القلب الأقدس أن تشهد للإنجيل في حياتها، وذلك بتعاونها مع الناس جميعًا ولا سيّما المحيط الذي تعيش فيه. كما عليها مراعاة واحترام النظام الذي يقضي بالتزام الدير (Clausura)، وأن تحبّ دَيرها الذي تُقيم فيه ولا تستطيع مغادرته إطلاقًا إلا بإذن الرئيسة. وعليها أيضًا أن تتجنّب الزيارات غير الضروريّة. أمّا الرسائل البريديّة التي تتلقّاها فتُسلَّم كلّها مُغلقَةً إلى الرئيسة، التي بإمكانها إن اقتضت الضرورة أن تفتحها وتقرأها، وفقًا لِما يُمليه عليها الحذَرُ والمحبّة.

الزهد والتوبة: يتوجّب على ابنة القلب الأقدس الزاهِدة في العالم أن تعيش في المسيح تمجيدًا لقلبه الأقدس، وأن تُعانق الصليب بفرح، وتقدِّم ذاتَها قربانًا مع يسوع إصلاحًا للعَطب وكفّارةً عن الخطايا.

الاعتراف: إنّه واجبٌ مرّةً واحدة في الشهر على الأقلّ. تستطيع كلّ الراهبات الناذرات والمبتدئات – مادُمْنَ يتمتّعنَ بالحريّة المستحقّة في هذا المجال– أداء سرّ الاعتراف لدَى أيّ كاهن يمتلك الأهليّة القانونيّة للإصغاء إلى الاعترافات، ويُعدّ هذا الاعتراف مقبولاً ونافذَ المفعول من جميع الأوجه[٣٢١]. فضلاً عن وجود معرِّف نظاميّ ومعرِّف غير نظامي يتمّ تعيينهما من قبل الأسقف أو البطريرك، ولكن دون فرض أيّ إلزام قسريّ على الراهبات للاعتراف لديهما[٣٢٢].

الثوب الرهباني: إنّ الثوب الرهبانيّ بوصفه رمزًا للحياة المكرَّسة هو ثوب غيرُ مُترَفٍ، متواضعٌ، فقير، ولكنّه في الوقت ذاته يجب أن يكون لائقًا، ينسجم ومتطلّبات العصر والبيئة، ويلبّي الحاجة التي تقتضيها حياة الخدمة[٣٢٣]. ويتكوَّن الثوب الذي أقرّته قوانين الرهبانيّة من رداء أسود أو رماديّ اللون مع حزام، فضلاً عن غطاء للشَعر يُصنع من قماش الرداء ذاتِه. أمّا ثوب الابتداء فيكون ذا لونٍ غير غامق، ويكون غطاء الشَعر أبيض.

مراجعة للحياة: تهدف مراجعة الحياة إلى مساعدة ابنة القلب الأقدس على إجراء تمحيص لحياتها الشخصيّة، يتمّ على ضوء الإنجيل وقوانين الرهبانيّة؛ لكي تتمكّن من التماثُل مع قلب يسوع ومع مشاعره وأحواله. ويُنصح بإجراء مراجعة حياةٍ جماعيّة مرّة كلّ شهرٍ بمناسبة الرياضة الروحيّة الشهريّة. وقد تُوجَّه خلال ذلك إرشادات أو نصائح أخويّة في أجواء تسودها روح الإنجيل.

---

[٣٢١] Cfr. Orientalium religiosorum, 7 a, EV, IV, p. 1073.

[٣٢٢] Ibid, 7 b, EV, IV, p. 1073.

[٣٢٣] Cfr. Perfectaie caritatis, 15, EV, I, p. 407.

- **الفصل السادس: التنشئة الفكريّة**

إنّ التنشة بأنواعها الدينيّة والعقائديّة والرسوليّة والتقنيّة كلّها اليوم واجب مُلزِم لبنات القلب الأقدس. فمن الواجب تعليم وتثقيف الراهبات جميعهنّ، كلّ على وفق قابليّاتها الذهنيّة وميولها الشخصيّة[٣٢٤].

تتمحوَر دراسة الراهبات حول موادّ تتّصل بصفة خاصّة بدعوة الرهبانيّة، وتتّخذ منهجيّةً تلبّي متطلّبات العمل الرسولي للرهبانيّة، وتلائم في الوقت نفسهِ احتياجات الكنيسة[٣٢٥]. وبناءً على ذلك فالموضوعات المدروسة عادةً ما تدور في نطاق: العقيدة، الطقس، الكتاب المقدّس، اللاهوت الأدبي، القانون الكنَسي، تاريخ الكنيسة، اللاهوت النُسكي، التصوّف، وما إلى ذلك من موادّ. ومن الضروريّ كذلك دراسة اللغة الكلدانيّة والطقس الكلدانيّ؛ لكي يُصار إلى الفَهم والاستيعاب الجيِّد للصلوات الطقسيّة للكنيسة، ولا سيّما القدّاس الإلهيّ والصلاة. يُطلَب إلى الراهبات اللواتي يرتَدْنَ المدارس والجامعات أن يكنَّ ملتزمات جدًّا، ممّا يجعل منهنّ أنموذجًا يُحتذَى به في الجِدّ والاجتهاد والانضباط.

وعلى الرهبانيّة أن تعنَى بتكوين مكتبة غنيّة بالمصادر بما فيها الكتب الدينيّة والدنيويّة، ممّا يُساعد الراهبات على التمكُّن من دراسة الحياة الروحيّة ووُلوج ميادين البحث العلمي ومجالات المعرفة عامّةً.

- **الفصل السابع: رسالة الرهبانيّة**

بعد أن تحدّثنا في الفصول السابقة عن وسائل القداسة الشخصيّة، سوف نستعرض في هذا الفصل وسائل قداسة القريب، وهي تُعرف في الاصطلاح القانونيّ بـ: "الرسالة".

ترتبط مسألة العمل الرسولي ارتباطًا وثيقًا بالبُنية الهرميّة لنظام المراتب في الكنيسة. فالمعنى العامّ للفظة "رسالة" يعني الرسالة إلى غير المؤمنين. ولكنّ "الرسالات الشعبيّة" أو "الرسالات الأبرشيّة" اقتضت إنشاء مؤسَّسات دينيّة، شأنَ مؤسَّسة "آباء الرسالة" التي أسَّسها القدِّيس ڤنسنت دي پول، غير أنّ تلك الرسالة ظلّت مرتبطة بالكهنوت. أمّا اليوم فالرسالة تعني تكريسًا رسميًّا مُستقًى من الكاريزما الذاتيّة للرهبانيّة، وهو

---

[٣٢٤] المصدر نفسه، ١٨، ص ٤٠٧.

[٣٢٥] انظر: Mutuae relationes "العلاقات المشتركة"، ٢٦، EV، ٦، ص ٤٧٣-٤٧٥.

تكريسٌ معترَف به من قبل الكنيسة. ومن بين وسائل قداسة القريب التي أشرنا إليها في أعلاه، تُدرِج قوانين الرهبانيّة التعليم والرسالات الشعبيّة في الأبرشيّة المحليّة، وكذلك في الأبرشيّات الأخرى داخل أو خارج البلد، على وفق استعدادات وتدابير الرؤساء.

يحدِّد نصّ القانون الشروط التي لا غنى عنها للنهوض برسالة الرهبانيّة، متمثِّلة بالتنشئة الإنسانيّة والفكريّة، فضلاً عن التنشئة الروحيّة والدينيّة[٣٢٦]. إنّ القداسة بمفردها لا تكفي لِصُنع رُسُل. فمن الواجب توفُّر عدد من الاستعدادات الإنسانيّة، كما يجب إغناء الحياة الباطنيّة بعوامل فكريّة وخُلقيّة بدونها لا يُمكن للرسالة أن تؤدِّي مَهمَّتها.

إنّ هذا الجزء من القوانين بفضل خصوصيّته يجعلنا في تماسّ مع كاريزما الرهبانيّة بحدِّ ذاتها. ليس هناك تعارض في الحقيقة بين الرسالة والحياة الباطنيّة على الرغم من اختلاف دَور كلٍّ منهما؛ فَهُما كلٌّ متَّحدٌ يتّخذ من قلب المسيح مُستقرًّا له. إنّ غاية الرهبانيّة هي تمجيد قلب يسوع، والإحالة الجوهريّة إلى المسيح ما هي إلاّ الوحدة القائمة بين قلب يسوع والرسالة. ولكن يجب الإقرار مع ذلك بأنّ ما يمنح الرهبانيّة ملامحها الخاصّة بداخل الكنيسة هو في آخر المطاف طابعها الرسولي. فمن خلال العمل الرسولي تقودُنا عبادة قلب يسوع الأقدس إلى بوّابة الدَير. ألم تكن مرغريتا ماريّا راهبةً حبيسة؟ حَسنًا، إنّ ما يُميِّز رهبانيّة قلب يسوع الأقدس عن الرهبانيّات ذات الطبيعة التأمليّة البحتة هو مشروعها الرسولي، ولكنّها باتِّحادها بقلب المسيح تُشارك الرهبانيّات التأمليّة الحاجةَ ذاتَها، أعني الحاجة إلى التأمُّل.

من الجدير بالذِكر أنّ شيئًا من التوتُّر الذي لا مفرّ منه سيظلّ قائمًا بين الحياة الباطنيّة والرسالة، ولكنّه –في الوقت ذاته– توتُّر خِصب. ولكي تحافظ الرهبانيّة على شروط الالتزام الرسولي الصِرف، لا بدّ لها أن تتخلّى نوعًا ما عن المجاهرة العلنيّة بالنذور، ولكن من غير أن يُشكِّلَ هذا التخلّي تنازلاً تامًّا عن كلّ ما يعنيه ذلك الأمر لها (أي النذور) بالمعنى الجذري الإنجيليّ. إنّ الرسالة هي أمر حاسم.
لقد كان المشروع الرسولي للرهبانيّة مصدرًا لدعوات عديدة منذ السنوات الأولى لتأسيسها. إنّ الرسالة التي اضطلعت بها الرهبانيّة، والأداة الرسوليّة التي اتّخذتها في الخدمة وَلّدَا حماسًا وكرَمًا. حسبُنا أن نُحصي عدد

[326] Cfr. Perfectaie caritatis, 18, EV, I, p. 407.

النساء اللواتي غالبًا ما يتمتّعن بمستوى عالٍ من الإدراك، وينتمينَ إلى أفضل أُسَر الأبرشيّة، اجتذبَهنّ هذا الاندفاع في العمل الرسولي، وقادهنّ إلى الحياة الرهبانيّة.

الجزء الثاني: قبول المرشَّحات وتنشئتهنّ

الفتيات اللواتي ما يَزلنَ دون سنّ السادسة عشرة ويرغبنَ في التكرُّس لله في رهبانيّة قلب يسوع الأقدس عليهنّ إمضاء مدّة معيّنة تحدِّدها الرئيسة في دَير مخصَّص لهنّ يتلقَّين فيه تنشئة ملائمة على يد راهبة يتمّ تعيينها من قبل الرئيسة العامّة. ويجب على الفتاة الراغبة في الانتساب إلى الرهبانيّة تقديم شهادة المعموديّة وسرّ التثبيت وإقرار خطِّي من راعي الخورنة أو من أيّ كاهن آخَر يَشهد لها بحُسن السيرة والسلوك، فضلاً عن شهادة طبيّة تُثبت سلامة قواها البدنيّة والعقليّة.

١. الطالبيّة

تستغرق مدّة الطالبيّة سنة واحدة فقط، ويمكن تخفيضها إلى ستة أشهر في حالات خاصّة. تُمضي الفتاة مدّة الطالبيّة عادةً في دير الابتداء، أو في أيّ دير آخر من أديرة الرهبانيّة، حسبَما ترتئيه الرئيسة العامّة التي تُوكِل الطالبة إلى مسؤولة المبتدئات أو إلى أيّة أُخت أُخرى.

قبل ترشيح الطالبة إلى مرحلة الابتداء وقبولها فيها يتمّ اختبارها من قبل مجلس إدارة الرهبانيّة للتأكُّد من ميولها واستعداداتها، ومن بلوغها مرحلة من النضج تؤهِّلها للانخراط في حياة الرهبانيّة. كما يتحتّم عليها الخضوع لاستجواب أسقف الأبرشيّة أو من ينوب عنه قبل موعد قبولها في الابتداء بشهرين ليتحقَّق هو شخصيًّا، أو بوساطة مندوب عنه، من حريّتها في الاختيار، ومن درجة نضجها.

٢. القبول في حالات خاصّة

تطلب الرهبانيّة ترخيص أسقف الأبرشيّة أو من ينوب عنه لقبول طلب الانتماء إلى الحياة الرهبانيّة في الحالات الآتية:

- الفتيات المارقات التائبات.
- الفتاة التي دخلت الرهبانيّة بسبب العنف أو الخوف الشديد، ثمّ بقيت فيها طواعيةً.
- المتزوّجة التي ما تزال مرتبطة بعقد زواج ساري المفعول.
- المتَّهمة بارتكاب جُرمٍ ما.
- المرتبطة بنذور رهبانيّة سابقة.
- التي في ذمّتها دُيون لا تتمكّن من سدادِها.
- الابنة غير الشرعيّة ولادةً.
- الملتزمة بأعمال ومشاريع دنيويّة مِن شأنها أن تسبِّب قلقًا أو معاناة للرهبانيّة.
-

٣. الابتداء

تبدأ الفتاةُ حياتَها في الرهبانيّة بدخولها مرحلة الابتداء؛ لتعي بصورة أفضل دعوتها الإلهيّة التي هي دعوة الرهبانيّة ذاتها، ولا سيّما أسلوب الحياة، فتعمل على تنشئة عقلها وقلبها على غرار روح الرهبانيّة. وفي الوقت عينه تستطيع الرهبانيّة التأكُّد من نوايا المبتدئات وأهليّتهنّ. ويجب على المبتدئة أن تستعدّ برياضة روحيّة تستمرّ أربعة أيّام على الأقلّ قبل دخولها الابتداء.

تحتفظ الرهبانيّة بسجلّ خاصّ بالمبتدئات حيث يتمّ تقييد المعلومات الآتية:

- اسم المعموديّة واللقب.
- أسمُ الأبَوين.
- محلّ وتاريخ الولادة.
- تاريخ دخول مرحلة الابتداء.
- اسم الرئيسة العامّة.

- تصريح بالاختبار القانوني الذي خضعت له من قبل أسقف الأبرشيّة.

تحمل المعلومات المدوَّنة في السجلّ تواقيعَ كلٍّ من المبتدئة وشاهدَين. هذه المدّة محدَّدة بسنة واحدة تُمضى في دير الابتداء، تتبعها سنة ثانية بلا نذور، الغرض منها فسح المجال للمبتدئة كي تختبر دعوتها. يجب أن تعيش المبتدئة هذه المرحلةَ في دَير يُراعي القوانين مراعاة صارمة. إنّ إنشاء أو فتح دير للابتداء هو من صلاحيّات الرئيسة العامّة للرهبانيّة، ويتمّ بموافقة عضوات مجلسها. ينبغي أن يكون دير الابتداء منفصلاً قدر الإمكان عن الدير الذي تعيش فيه الراهبات الناذرات. ولا يُمكن لأحد أن يدخل دير الابتداء سوى الرئيسة العامّة للرهبانيّة والرئيسة المحليّة. أمّا الآخرين فقد يُسمح لهم بالدخول فقط لسببٍ وجيه.

٤. تنشئة المبتدئات

تقتضي مرحلة الابتداء تنشئة المبتدئات في ظلّ توجيه وإدارة معلِّمة المبتدئات، ويتمّ ذلك استنادًا إلى قواعد خاصّة تنسجم مع روح الرهبانيّة. ينبغي لمعلِّمة الابتداء أن تكون إحدى بنات الرهبانيّة، وأن تكون قد أبرزت نذورها منذ ما لا يقلّ عن عَشرة أعوام، وألا يقلّ عمرها عن ثلاثين عامًا. إنّ مَهمّة معلِّمة المبتدئات غير محدَّدة بزمن، ولكنّها تخضع لتجديد الموافقة عليها كلّ أربع سنوات من قبل مجلس إدارة الرهبانيّة. ويمكن تعيين راهبة مُساعدة لمعلِّمة المبتدئات –إن اقتضت الضرورة– على أن تكون قد جاهرت بنذورها منذ ما لا يقلّ عن ستِّ سنوات.

يتعيَّن على معلِّمة المبتدئات وعلى مساعِدتها أن تتبيَّنا دعوة المبتدئات وأن تتحقَّقا منها، وتقوما بتنشئتهنّ تدريجيًّا على حياة الكمال التي تنتهجها الرهبانيّة. كما يجب عليهما مساعدة المبتدئات على تغذية وإنماء فضائلهنّ الإنسانيّة والمسيحيّة، آخذتان بأيديهنّ عبرَ مسيرة أكثر التزامًا على طريق الكمال. ويتمّ ذلك بالصلاة ونكران الذات ومعاودة التأمّل في سرّ الخلاص وقراءة الكتاب المقدَّس والاقتداء به. كما تقوم المعلِّمة ومُساعِدتها بإعداد المبتدئات لخدمة الربّ من خلال الصلوات الطقسيّة وعبادة قلب يسوع الأقدس. وتتمّ تنشئتهنّ كذلك على متطلَّبات الحياة المكرَّسة –من أجل الله ومن أجل البشريّة– في المسيح، واضِعاتٍ المشورات الإنجيليّة موضعَ التطبيق. ويُصار إلى إطلاعهنّ على خصوصيّات الرهبانيّة

وإحاطتهنّ علمًا بها، شأن: طبيعة الرهبانيّة وروحانيّتها، غايتها وضوابطها، تاريخها وحياتها. وفوق هذا وذاك، تتمّ تنشئتهنّ على محبّة الكنيسة ورُعاتِها الأجِلاّء.

يجب أن تكون مدّة الابتداء مخصَّصة للتنشئة الفعليّة والحقيقيّة؛ لذا لا يجوز إشغال المبتدئات بدراسات أو مَهامّ لا ترمي إلى بلوغ هذه الغاية بُلوغًا مباشرًا.

تعود القوانين والرسوم الجديدة للرهبانيّة إلى تناول الموادّ القانونيّة الواردة في الأرادة الخاصّة (Muto Proprio)، وبالتحديد القانون ٨٩ وما يليه حتّى القانون ١٠٥، لتختم الكلام قائلة: للمبتدئة مُطلق الحريّة في مغادرة الرهبانيّة، كما تستطيع الرئيسة العامّة من ناحية ثانية إعفاءَها من التزامها في الرهبانيّة دون وجوب التصريح بأسباب ذلك الإعفاء. أمّا إذا قضى المجلس بأهليّة المبتدئة بعد اكتمال مدّة الابتداء فإنّها تُقبل لإبراز النذور، وإلاّ فيتمّ إعفاؤها وتسريحها. وإذا كان لدَى المجلس شكٌّ في أهليّتها، فآنذاك يُمكن للرئيسة العامّة أن تمدِّد لها مرحلة الابتداء بمدّة لا يتجاوز ستّة أشهر.

معلِّمة المبتدئات: تدخل المبتدئة في تماسّ مع كاريزما الرهبانيّة من خلال الأخت المشرفةِ على تنشئتها، أعني: معلِّمة المبتدئات. فقبل أن تتّخذ قوانين الرهبانيّة هيئة كتاب إنّما هي روح، وإنّ معلِّمة المبتدئات تجسِّد هذا الروح وتنقله إلى المبتدئات بوصفهِ تقليدًا حيًّا. إنّ دَورها في عمليّة تفاعل وانسجام المبتدئات مع حياة الرهبانيّة هو دَور جوهريّ ولا بَديلَ له.

تتّخذ الرهبانيّة ملامحها من ملامح معلِّمة المبتدئات ذاتها، فهي تعكس سيماء الرهبانيّة بلقائها وجهًا لوجه مع مَن يطرق الباب. فالمعلِّمة تصبح من خلال العلاقة التي تبنيها مع المبتدئة العلامة التعبيريّة للروح الذي يُغذّي كيان الرهبانيّة بأسرها.

ليست مدّة الابتداء إلاّ مسيرة. إنّها رحيلٌ نحو أرضٍ موعودٍ بها، وهي مَسيرةٌ ضيّقة المسالِك[٣٢٧]. إنّها في آخر المطاف سعيٌ نحو مَن عرّف بنفسه قائلاً: أنا هو الطريق والحقّ والحياة. إنّها إذَن سعيٌ نحو

[٣٢٧] متى ٧: ١٣.

المسيح شخصيًّا[٣٢٨]. تقع على عاتق معلِّمة المبتدئات –بالتزامها جانب الرهبانيّة من ناحية– مسؤوليّة إرشاد المبتدئة في مسيرتها، والأخذ بيدها عبر الطريق التي عليها أن تسلكها. وبالتزامها –من ناحية أخرى– جانب المبتدئة نفسها، فإنّ عليها أن تنهض بمَهمّة تيسير مراحل هذه المسيرة.

هذه المسؤوليّة المزدوجة تجاه الرهبانيّة من ناحية وتجاه المبتدئات من ناحية ثانية تُوجب تَحَلِّي المعلِّمة بعدد من الصفات، مثال ذلك: امتثالها لقلب يسوع بشكل ينعكس من خلال حياة الفضيلة. ولكن يجب أن تتوفّر فيها بخاصّة سجيّة الاتِّحاد بالمسيح، فضلاً عن معرفة عميقة جدًّا بالرهبانيّة التي تنتمي إليها. ومن الجدير بالذِكر أنّ معلِّمة المبتدئات لا تتحدّث باسمها شخصيًّا بل باسم الرهبانيّة، ولا تقوم بتنشئة المبتدئات على مثالها هي، إنّما تتمّ تنشئتهنّ على وفق كاريزما الرهبانيّة، متسلِّحة بروح الحذر والحكمة. لا يكفي أن تكون مسؤولة الابتداء طيِّبة وتقيّة لكي تُصبح بذلك معلِّمةً ناجحة، ولكن يجب أن تتوفّر فيها مجموعة من الخصال الانسانيّة والمزايا الفكريّة التي تخلق في القلب متّسعًا من الحريّة؛ فتفسح المجال للمبتدئة أن تجد مكانها في موضوعيّة الخبرة التي عاشتها معلِّمتها في الجماعة، وتوجِّه أنظارها نحو كاريزما الرهبانيّة.

تنشأ رسالة معلِّمة المبتدئات من المسيح، وفيه تُتابع مسيرَها، فهي رسالةٌ لا يُمكن استيعابها إلا في المسيح. إنّ سلوك المعلِّمة يجب أن يكون العلامة التعبيريّة لحضور المسيح في الرهبانيّة. هكذا فقط يصير الإنجيل حقيقة مُعاشة باستمرار، وإنّما تزداد تماسكًا عبر العلاقة التي تتوطّد يومًا بعد يوم بين المبتدئة ومعلِّمتها. وبناءً على ذلك يغدو زمانُ ومكانُ الابتداء أرضَ فلسطين، حيث يعمل المسيح من خلال شخص المعلِّمة على تنشئة المبتدئة التي كان الآب قد أودَعها بين يديه، داعيًا إيّاها أن تَلِجَ مدرسةَ قلبه الوديع والمتواضع. ويجب على المعلِّمة أن تتمتّع بهذا النوع من التواضع الذي يجعلها أهلاً لمعرفة سُبل الربّ. كما يجب أن تمتلك تلك الوداعة التي تُعين المبتدئة على التآلُف مع الدعوة الإلهيّة التي تشعر بها في قلبها،

[٣٢٨] يوحنا ١٤: ٦.

وأيضًا على الثقة بهذه الدعوة. فضلاً عن هاتين السِمَتين الإنجيليَّتين[٣٢٩] ينبغي على معلِّمة المبتدئات أن تكون العلامة التعبيريّة لطيبة الله ولصبره.

تتمثّل المهمّة الموكلة إلى معلِّمة المبتدئات- قبل كلِّ شيء- في الأخذ بأيديهنّ عبر مسالك الحياة الروحيّة والتعرّف إلى روح الرهبانيّة. إنّها ولادة حقيقيّة؛ فالمعلِّمة -إن جاز لنا التعبير- تلد الله في حياة المبتدئة، ومن خلال ذلك وفي الوقت عينه نُدرك أنّ الله هو الذي يلدُنا في حياته. يتجسَّد هو نفسُه فينا فَيُميتَ كياننا اللحميّ ليبني ويقوّي إنسانَنا الباطنيّ، تلك الخليقة الجديدة التي هي ثمرة الروح.

٥. إبراز النذور

منذ لحظة إبراز النذور يُصبح واجبًا على الناذرات المحافظة على هذه المشورات الإنجيليّة والالتزام بها. إنّ الناذرات يُصبحن منذ تلك اللحظة مكرَّسات لله من خلال الكنيسة، وينضَمِمنَ إلى الرهبانيّة مع كلّ الحقوق والواجبات المنصوص عليها قانونيًّا.

قبل الفراغ من السنة الثانية للابتداء تخضع المبتدئة لاختبار بحضور مجلس إدارة الرهبانيّة. ويتمحوَر الاختبار حول: قوانين ورسوم الرهبانيّة، المعارف الروحيّة والدينيّة ولا سيّما الإنجيليّة منها، وكذلك الالتزامات التي تفرضها النذور الرهبانيّة. وقبل شهرَين من إبراز النذور تطلب الرئيسة العامّة إلى البطريرك إجراء الاختبار القانوني للمبتدئات. وتنصّ قوانين الرهبانيّة على الشروط الواجب توفُّرها لإثبات صحّة وفاعليّة النذور (قانون ١٠٦)، محدِّدةً السنّ القانونيّة بستّة عشر عامًا مكتملة (قانون ١٠٧)، فيما يخصّ النذور البسيطة.

يجب على المبتدئة قبل إبراز نذورها أن تكتب بمطلق حريّتها وصيّةً تضع فيها أموالها وممتلكاتها تحت تصرُّف الرهبانيّة (قانون ١١٦). وتستعدّ المبتدئة للمجاهرة بنذورها قبل أن تبدأ حياتها المكرَّسة برياضة روحيّة عادةً ما تدوم أربعة أيّام.

---

[٣٢٩] متى ١١.

٦. التنشئة على الحياة الرهبانيّة

بعد التكريس الرهباني الأوّل تستمرّ عمليّة التنشئة لكلّ الراهبات ليستطعنَ مواكبة الحياة الرهبانيّة بشكل كامل، ويُنمِّينَ كفاءتهنّ لتحقيق رسالتهنّ التي هي رسالة الرهبانيّة. يجب أن تتابع عمليّة التنشئة مسيرها بانتظام وبما يلائم قابليّات الراهبات. وتكون هذه التنشئة على الأصعدة الروحيّة، الرسوليّة، العقيديّة، والعمليّة في الوقت نفسه. كما يجب على الراهبات أن يُتابعنَ دراستهنّ الأكاديميّة في التخصُّصات المناسبة للرهبانيّة على الصعيدَين الكنَسيّ والمدني، بما يؤهِّل كلّ أختٍ أفضل تأهيل لتحقيق رسالتها بوصفها ابنة قلب يسوع الأقدس (قانون ١٢٣-١٣٤).

الجزء الثالث: إدارة الرهبانيّة

يؤدّي رؤساء الرهبانيّة ما عليهم من واجباتِ الخدمة والقيادة بشكل ينسجم وطبيعة هذه الواجبات. إنّهم يستمدّون سلطتهم من روح الربّ، وتكون تلك السلطة في تواصل مع الأسقف الذي أقام قانونيًّا وصادق أصالةً على الرسالة المحدَّدة للرهبانيّة[٣٣٠]. إنّ مَهامّ السلطة الرهبانيّة بفضل تناظرها الوظيفي مع النشاط الثلاثي الأبعاد للخدمة الرعويّة يمكن تحديدها بثلاثة مجالات:

أ . **نطاق التعليم**: تتمتّع الرئيسات بكفاءةٍ وبسلطة المعلِّمين الروحيِّين فيما يتعلّق بالمشروع الإنجيلي للرهبانيّة. فيتوجّب عليهنّ إذَن في هذا المقام أن يُظهرنَ قيادة روحيّة حقيقيّة للجماعة بأسرها، ولكلٍّ من الجماعات الصغيرة التي تتكوّن منها الرهبانيّة. وعليهنّ أن يضعنَ هذه القيادة الروحيّة موضع التطبيق بما يتّفق وتعليم الكنيسة، مُدركاتٍ أنّ عليهنّ النهوض بمهمّةٍ هي على مستوى عالٍ من المسؤوليّة في نطاق المخطَّط الإنجيلي الذي أراده المؤسِّس.

ب . **نطاق التقديس**: ينبغي أن تكون الرئيسات ذَوات كفاءةٍ خاصّة، وحسٍّ كبير بالمسؤوليّة تجاه الكمال، سواء كان الأمر يتعلّق بواجباتهنّ المختلفة، أم يتعلّق بتنمية حياة المحبّة تبعًا لمشروع الرهبانيّة، أم كان ذي

---

[٣٣٠] انظر: Mutuae relationes "العلاقات المشتركة"، ١٣، EV، ٦، ص ٤٥٣.

علاقة بالتنشئة الأوّليّة منها والمستمرّة حول الأمانة في الحياتَين الجماعيّة والخاصّة في تطبيق المشورات الإنجيليّة كما تنصّ عليه قوانين الرهبانيّة.

ج . **نطاق الإدارة**: على الرئيسات أن يضطلعنَ بمَهمّة تنظيم حياة الجماعة، وتنسيق واجبات أعضاء الرهبانيّة، والعناية بخصوصيّة رسالتها والحرص على تنميتها، والعمل على إدراج هذه الرسالة إدراجًا فعليًّا في النشاط الكنسي المعمول به في ظلّ قيادة الأسقف.

الفصل الأوّل: الرئيسة العامّة

تتمتّع الرئيسة العامّة بسلطة إدارة الرهبانيّة بأسرِها، استنادًا إلى قوانين وروح وكاريزما الرهبانيّة. وهذه الإدارة إنّما هي قيادة روحيّة تتجلّى من خلال السَهر المستمرّ على رعاية مصالح الرهبانيّة والبحث عمّا فيه خيرها وتقدّمها في نطاقِ خدمةٍ تهدف إلى تمجيد قلب يسوع الأقدس. لذا يجب على الرئيسة العامّة أن تتحلّى بالفضائل وبالخصال التي تجعلها أهلاً لهذه الإدارة. فهي يجب أن تتمتّع بروح صلاة عميقة، وبكثير من نقاء القلب، وبالتجرُّد عن ذاتها ونسيان مصالحها الشخصيّة، كلّ هذا ضمن مسؤوليّتها الضميريّة أمام الله. أمّا واجبها تجاه الرهبانيّة فيفرض عليها أن تتحلّى بروح الحذر والحكمة وأن تهب ذاتها من أجل خير الرهبانيّة، وتكون غيورة على مصالح قلب يسوع الأقدس، فضلاً عن سجايا أخرى تجعل منها نموذجًا للاتِّحاد الوثيق بقلب المسيح، يُفصح عن "لا مركزيّةٍ" حقيقيّة هدفُها خدمة الرهبانيّة. ليست الرئيسة العامّة ذلك الشخص الذي يترأّس الرهبانيّة فحَسْب، بل هي تكوّن مع بنات الرهبانيّة جميعًا كيانًا واحدًا متَّحدًا بالله.

لكي تتمكّن الرئيسة العامّة من إدارة شؤون رهبانيّتها فهي بحاجة إلى عدد من الوسائل التي تكفل لها النهوض بأعباء الإدارة. لذا فإنّ قوانين الرهبانيّة تمنحها سلطة كبيرة لضمان تحقيق الفوائد المتأتّية عن إدارة قويمة ورشيدة تتَّسِم بالصلاح وبالحكمة. تمتلك الرئيسة العامّة صلاحيّة قبول طالبات الانتساب إلى الرهبانيّة وصلاحيّة إعفائهنّ منها. فضلاً عن صلاحيّات تشييد أديرة جديدة لجماعات الرهبانيّة، وتسمية الرئيسات المحليّات. وتسهر مع المسؤولة العامّة للحِسابات (محاسِبة الرهبانيّة) على أموال

وممتلكات الرهبانيّة، وتسعى إلى تطبيق قوانين الرهبانيّة، كما تقع على عاتقها مسؤوليّة استدعاء المجلس العامّ للرهبانيّة. ولها صلاحيّة القيام بزيارات تشمل كافّة أديرة الرهبانيّة، وباستطاعتها أن تخوّل مُساعِداتها بعض صلاحيّاتها إن اقتضت الحال.

تلك هي حدود سلطة الرئيسة العامّة. غير أنّها في الوقت ذاته تسعى في سبيل خيرِ جماعةٍ قوامُها أخواتٌ لكلٍّ منهنّ فرادَتُها أمام الله، على الرغم من الرباط الذي يوحّد بينهنّ. لذا فالعمل على تأليف جسدٍ واحد أعضاؤه بناتُ الرهبانيّة يقضي بأن تعرف الرئيسة العامّة كلّ أخت من الأخوات بما يُمكّنها من توثيق مسيرة كلٍّ منهنّ وتوجيه تلك المسيرة بما يجعلها تتكامل والعمل الجماعي للرهبانيّة كلِّها. من الضروريّ جدًّا، ولأجل إدارة الرهبانيّة إدارةً ناجحةً أن تعرف الرئيسة العامّة كلّ ابنة من بنات رهبانيّتها معرفة عميقة.

ولكن لا تتقلّد الرئيسة العامّة –للسبب المذكور آنفًا– دَور المرشد الروحي في علاقتها بأخواتها. إنّها تكمل في الطاعة والرسالة الجماعيّة ما قد لا يتأتّى إلاّ عبر المبادرة الفرديّة فقط. فتُساعد هكذا في المحافظة على وحدة هذا الجسد وتعمل على نموّه. ويمكن لهذه المعرفة العميقة لأعضاء الرهبانيّة أن تتحقّق بطرائق مختلفة: فهناك –على سبيل المثال– التقرير الدقيق الذي تقدِّمه الرئيسات المحليّات حول طِباع كلِّ أخت في الجماعة، وميولها وتصرّفاتها. وهناك أيضًا إمكانيّة أن تكتب أيّة أخت من الأخوات بصفة شخصيّة إلى الرئيسة العامّة، وهناك أخيرًا مسألة تفتُّح الوعي.

لا تعني الإدارةُ الإصغاءَ والاستقبال فقط، إنّما هي أيضًا تدَبُّرُ كلِّ مسألةٍ وإيجادُ حلٍّ لها في حضرة الله، وتتَبُّع الطرق والمسالك، واتِّخاذ القرارات وضمان تطبيقها مهما تكُن أحيانًا طبيعة التضحيات المطلوبة من أجل الخير العامّ. حسنًا، فهُنا بالتحديد، وحسبما تمارس الرئيسة العامّة مسؤوليّات سلطتها دون لَبسٍ أو غموض تكون قد مثّلت بأفضل ما يكون ذلك الذي تنوب عنه. إنّها بقدر ما تعمل على تطبيق الطاعة بحزم عادل يقتضي المحافظة على النظام ومراعاة الضوابط الرهبانيّة تعمل في الوقت عينه على صقلها بوساطة روح التواضع والوداعة والمحبّة، لكي يتجلّى فيها دائمًا روح وقلب يسوع المسيح الذي يجب عليها أن تكون متّحدة به اتِّحادًا وثيقًا وأبديًّا.

التواضع والوداعة والمحبّة، هذه الفضائل الثلاث التي تجمع سمات شخص المسيح في الفصل الحادي عشر من إنجيل متّى، إنّما هي طابع إدارة الرهبانيّة؛ فهي تجعل الحضور الحيّ للمسيح جليًّا في عمل الرهبانيّة. إنّ الفضائل المشار إليها ترسم للرئيسة العامّة ملامحَ تعكس اتّحادها بقلب يسوع في المهَمّة الموكلة إليها. فهي بثبوتها في هذا الاتّحاد وبأسلوبها في الإدارة تجعل مشاعر وأحكام قلب المسيح محسوسة وملموسة في كيان الرهبانيّة كلّها. إن الرئيسة تبني هذا الكيان عندما تعيش هي شخصيًّا على مثال المسيح إلى حدٍّ يُمكِّن الأخوات جميعًا أن يتعرّفن من خلالها على روح وقلب يسوع. كما أنّها بِسَعيها إلى صقل أسلوبها في ممارسة سلطاتها تعمل الفضائل التي تغذّي سلوكها على إبراز كاريزما الرهبانيّة.

تضعنا قوانين الرهبانيّة –قبل كلّ شيء– في تماسّ مع الأشخاص. فمن المحال التحدُّث عن كيان الرهبانيّة بمعزل عن شخص الرئيسة العامّة وما تعنيه هي لهذا الكيان بأكمله. ومن المحال أيضًا الحديث عن روح الرهبانيّة من غير الإشارة إلى تلك الصورة التي تقتفي قوانين الرهبانيّة آثار ملامحها، أعني: معلِّمة المبتدئات. حقًّا إنّ معلِّمة المبتدئات والرئيسة العامّة هما الصورتان اللتان تبرزان بجلاء في نصّ قوانين الرهبانيّة. إنّ كلاًّ منهما تلعب دَورًا أساسيًّا لا غنى عنه في حياة الرهبانيّة وفي بُنيانها الروحي. فأمّا الأولى فتكمن أهميّتها في ما تعنيه للراهبة الشابّة الباحثة عن هويّتها الروحيّة، والتي يقع على عاتق معلِّمتها أن تنقل لها شخصيًّا روح الرهبانيّة. وأمّا الثانية فتكمن أهميّتها فيما تعنيه للكيان الكلّي للرهبانيّة، ذلك الكيان الذي يتوجّب على الرئيسة العامّة أن تؤمِّن له التماسك والترابط. فكلاهما –كلّ واحدة من موقعها– تجسّدان في شخصَيهما كاريزما الرهبانيّة. تغدو الرئيسة العامّة بفضل ما تبذله من عناية وحرص علامة للرهبانيّة بأسرها أو قُلْ: إنّها بمثابة أيقونة للرهبانيّة. إنّها باتّخاذها محلّ المسيح في الرهبانيّة تجعل الروح الذي ينعشها ملموسًا. هكذا يجد الجسد بكامل أعضائه –أعني كيان الرهبانيّة– تماسكه ويتجاوب باطِّراد مستمرّ مع النعمة التي تعمل على توطيدها عبر الثقة التي تكنّها كلّ أخت في الرهبانيّة لشخصها.

إنّ الكاريزما تجعل السرّ المسيحيّ بكليّته حاضرًا دائمًا، ليس هذا فحسب، ولكنّها أيضًا تساعد على اكتشافه والتعمُّق فيه وعيشه من وجهة نظر خاصّة. هكذا كانت كاريزما القدِّيسة مرغريثا ماريّا ألاكوك لمؤسِّس رهبانيّتنا الأب عبد الأحد رَيّس؛ فقد وجد في المسيح ذلك الذي يتجلّى وديعًا ومتواضع

القلب. هكذا، ومن خلال فقرة واحدة فقط من الإنجيل يصبح المسيح حاضرًا، ويغدو سرُّ موتِه وقيامته روحانيّةً. ففي نور مجد الحَمَل ذي الجنب المطعون تنخرط ابنة القلب الأقدس في مدرسة ذلك الذي تجلّى وديعًا ومتواضع القلب. إنّ الرئيسة العامّة بإعرابها من خلال إدارتها عن مشاعر وأحوال قلب يسوع تثبّت كلَّ أخت من أخواتها في نعمة دعوتها، وتُبيِّن للرهبانيّة كلِّها كلمة الوحي المعبِّرة عن النعمة التي أودعها اللهُ الرهبانيّةَ.

الفصل الثاني: معاونات الرئيسة العامّة

لا تستطيع الرئيسة العامّة النهوض بمفردها بأعباء المهَمّة. فاستنادًا إلى ما تنصّ عليه القوانين، هي بحاجة إلى مساعدة أشخاص يمكنها الاعتماد عليهم، وتبادُل الآراء والأفكار معهم، وإيجاد النُصح لديهم، والاستناد إليهم في حال الضرورة.

إنّ الرئيسة العامّة تعبِّر بشكل ملموس عن وحدة الرهبانيّة من خلال اتِّحادها بقلب المسيح. غير أنّها ليست لأجل ذلك كلّ شيء للرهبانيّة، بل اتِّحادها بالمسيح هو بالذات ما يُوكِلُ إليها هذه المهمّة، ويثبِّتها حيث هي. وبما أنّ الرئيسة العامّة تعكس تماسك كيان الرهبانيّة، فإنّها تجد نفسها وجهًا لوجه أمام هذا الكيان مدعوّة للإجابة عنه أمام الله. هذا المعطَى الأساسيّ يكمن طبيعيًّا في بُنية الرهبانيّة، ولكنّه لا يخوِّل الرئيسة العامّة اختيار معاوناتها بنفسها.

يقوم فنّ الإدارة في معظم جوانبه على استطاعة خلق علاقات صادقة، وتشكيل فِرَق عمل متعاونة تعمل معًا على أرضيّة ذات وجهات نظر متعدِّدة. ليست الرئيسة العامّة في الواقع هي التي تختار معاوناتها بنفسها، وإنّما يتمّ اختيارهنّ من قِبل الأخوات جميعًا. وهذا هو فعل الطاعة الأوّل الذي عليها أن تؤدِّيه. فالمعاونات قبلَ أن يكُنّ امتدادًا لوجهات نظر الرئيسة العامّة شخصيًّا، هنّ التعبير الصريح عن وجهات نظر الرهبانيّة ذاتها على اختلاف أعضائها. هكذا يتّخذ كيان الرهبانيّة لنفسه معنى رمزيًّا على مستوى إدارته ينعكس في واقعٍ مزدوج الضرورة: شخص الرئيسة العامّة، ومجموعة المعاونات. وتُحيلنا هذه الضرورة المزدَوجة بالنتيجة إلى البُعد الثنائي لطبيعتها التي تبدو شخصيّةً وجماعيّة في الوقت ذاته.

من الواجب أن تستطيع الرئيسة العامّة الاعتماد على غيرة وأمانة معاوناتها، وأن تقدر على مُشاطرتهم العبء الذي فُرض عليها. إنّ السعي إلى عمل الخير يقتضي الاشتراك في حمل المسؤوليّة، وهو أمر لا يستوجب منهج الإدارة الجماعيّة، بل يتطلّب التعاون الفعليّ والحقيقي في النهوض بالمسؤوليّة. إنّ الرئيسة التي تنفرد بكلّ المسؤوليّات ولا تمنح معاوناتها إلا أدوارًا تنفيذيّة يسيرة، لا تتجاوب مع روح الرهبانيّة ولا مع واقعها الجماعي. كما يترتّب عليها أن تطلب نُصحهنّ ودعمهنّ، غيرَ ناسيةٍ أنّها –قبل كلّ شيء– يجب أن تضع مطلق ثقتها في الله. إنّ طلبَها العون لا يعني تراجعًا من ناحيتها شخصيًّا، كما أنّ ثقتها في معاوناتها لا تُنقص شيئًا من ثقتها بالله. ومسؤوليّتها لا تُغيَّب أو تُبطَل في ظلّ مسؤوليّةٍ جماعيّة. ففي كلّ الظروف والأحوال، حتّى في حال التشاور الذي يقتضيه الخير العامّ تكون هي المسؤولة أمام الله عن أعضاء الرهبانيّة بأسرها. كما تقع على عاتقها مسؤوليّة اتّخاذ القرار في اللحظة الأخيرة.

يتألّف فريق المدبِّرات المنتَخب لإدارة شؤون الرهبانيّة مع الرئيسة العامّة من: معاونتَين إحداهما نائبة والثانية مستشارة، فضلاً عن أمينة الصندوق (لإدارة الشؤون الماليّة)، وأمينة سرّ (سكرتيرة). إنّهنّ مع الرئيسة العامّة يكوّنّ هيكلاً متكاملاً قوامه خمسةُ أشخاص. وتعمل هذه المجموعة معًا لأجل المصلحة العامّة للرهبانيّة. ويستند تقسيم المهامّ على المجموعة إلى فعل الإدارة نفسه، وعلى الشخص الذي يوجِد هذا الفعل، أي: الرئيسة العامّة. لهذا السبب فالمسؤوليّة المشتركة التي تتطلّبها الإدارة لا يمكن فصلها عن الشخص الذي تقع على عاتقه مَهمّة السهر على مصلحة وخير وتقدُّم الرهبانيّة.

أمام تراكُب الأمور التي يجب على الرئيسة العامّة مواجهتها، فإنّها بحاجة إلى معاونات يمثّلن امتدادًا لفكرها، ويتمتّعن بالفطنة فيكُنّ لها مستشارات. أمّا فيما يتعلّق بتنفيذ القرارات التي اتُّخذت على الصعيد الاقتصادي فهو شأن المحاسِبة العامّة التي تُدير الشؤون الماليّة والاقتصاديّة للرهبانيّة. ونجد كذلك في عضويّة المجلس أمينة السرّ العامّة التي تمثّل الذاكرة والذراع الأيمن للمجلس، فيتمّ الرجوع إليها في كلّ ما يجب أن يُدرج في نصّ مكتوب كجدول الأعمال اليومي والمراسلات، والسجلاّت بأنواعها، والمذكّرات، وكلّ أرشيف الرهبانيّة.

واستنادًا إلى ما تقدّم يمكننا استخلاص المزايا التي يجب توفُّرها في معاونات الرئيسة العامّة: ينبغي للمعاونات أن يكُنّ عمليّات، وأن يمتلكن القدرة على إدارة الأعمال، كما يجب عليهنّ أن يتحلَّينَ برباطة الجأش وبالحذر الشديد والمقدرة على الكتمان والتحفُّظ. كلّ هذا يجب أن يعضده حسٌّ بالترابط فيما بينهنّ، بوصفهنّ حلقة الوصل بين الرئيسة العامّة وأعضاء الرهبانيّة والعالم الخارجي. في مجموعة المدبِّرات هذه تمتلك المعاونتان (النائبة والمستشارة) دَورًا ذا أهميّة خاصّة، فهما تُكوّنان المجلس الاستشاري للرئيسة العامّة، وهي من دونهما لا تستطيع إدارة وحُكم الرهبانيّة. وأخيرًا: على المعاونتين واجبُ طاعة واحترام الرئيسة العامّة والولاء لها. هذه هي الشروط الأساسيّة في تعاون مجلس الرهبانيّة مع الرئيسة العامّة لبناء صرح الرهبانيّة. لكنّ هذه الأحكام الجوهريّة لا تمس على الإطلاق حريّة الكلام. فبما أنّ انتخاب وتسمية المعاونات قد تمّ من قِبل أعضاء الرهبانيّة نفسها، لذلك يقع عليهنّ بالتحديد واجب تقييم الخير العامّ للرهبانيّة أمام الرئيسة بتواضع وبأمانة. وبعد اتّخاذ القرار النهائيّ في أمرٍ ما فعليهنّ قبول حُكم الرئيسة العامّة شأن أخواتهنّ الأخريات من بنات القلب الأقدس. وفي حال الاختلاف أو الصراع حول قضايا ذات أهميّة حيويّة للرهبانيّة فإنّ القوانين تتحدّث كذلك عن إمكانيّة الخضوع لطاعة الضمير. ومع كلّ الاحترام الواجب لشخص الرئيسة العامّة فإنّ باستطاعة المعاونة في حال الخلاف العميق أن تلجأ إلى أسقف الأبرشيّة بوصفه الرئيس المسؤول عن الرهبانيّة ضمن الحقّ الأبرشيّ. وفوق ذلك فبإمكانها اللجوء إلى السلطات الكنسيّة العليا –عند الضرورة– للإفصاح عن موقفها وحكمها في المسألة المتنازَع عليها. في هذه الأجواء من الحريّة فقط، ومن خلال تحمُّل المسؤوليّة المشتركة تجاه الرهبانيّة يمكن تأمين إدارة صالحة للرئيسة العامّة.

الفصل الثالث: الرئيسة المحليّة

إنّ دَور الرئيسة المحليّة في جماعتها الصغيرة مُشابه لدور الرئيسة العامّة في الجماعة الكبيرة. فالرئيسة المحليّة تسهر على الخير العامّ للدير كما تسهر الرئيسة العامّة على خير الرهبانيّة قاطبة. إذا كانت الرئيسة العامّة تتسلّم مَهامّ رسالتها من الرهبانيّة ذاتها، فإنّ الرئيسة المحليّة تتلقّى واجبات رسالتها من الرئيسة العامّة. فبالفعل تقوم الرئيسة العامّة بتعيين رئيسة محليّة لكلّ دير من الأديرة تمثّلها وتعمل باسمها.

لذلك فحضور الرئيسة المحليّة وسط جماعتها ينوب عن حضور الرئيسة العامّة التي تضمن وحدة الرهبانيّة جمعاء.

لكنّ دَور الرئيسة المحليّة يختلف –على أيّة حال– عن دَور الرئيسة العامّة. ومن جهة أخرى نَودّ الإشارة إلى صفتَين أساسيَّتين يجب توفُّرهما في الرئيسة المحليّة، وهما: حُسن إدارة الدير، وتطبيق القوانين.

من الجدير بالذِكر أنّ المنطق ذاته يسود هذا الفصل من القوانين: فالرئيسة المحليّة لا تحكم جماعتها بمنطق الهيمنة، بل هي في خدمة هذه الجماعة. إنّها في الواقع تقوم على خدمتها وتحضّها على تعزيز عناصرها البنيويّة. فأمّا على صعيد الرسالة فإنّها توجّه راهبات جماعتها إلى ما من شأنه إتمام الواجبات المترتِّبة عليهنّ. وأمّا على صعيد الحياة الباطنيّة فهي تسترعي انتباه أخواتها في الجماعة إلى كلّ ما يعبِّر عن نعمة الدعوة، أي: قوانين ورسوم الرهبانيّة.

إنّ طاعة قوانين الرهبانيّة توحِّد بين الرئيستَين: المحليّة والعامّة، ولكن مع فارقٍ في الشِدّة. بعبارة أخرى: تحكم الرئيسة العامّة في الأمور حسبما تقتضيه قوانين الرهبانيّة وروحانيّتها، منطلقة من مبدأ خير وتقدّم الرهبانيّة كلّها. إنّ غايتها الأولى هي المصلحة العامّة والخير للجميع. فهي تعمل من أجل تحقيق هذا الهدف بوحي من روح الرهبانيّة ومن صميم ذلك المرجع المتمثِّل بالقوانين. أمّا الرئيسة المحليّة فإنّ مسؤوليّتها الآنيّة هي الامتثال بأمانة لهذه القوانين. إنّها بعملها هذا تؤكِّد دورها في إنعاش النشاط الروحي ضمانًا لخير راهباتها.

إنّ الرئيسة المحليّة مدعوّة لخدمةِ شركةٍ حقيقيّة؛ فهي من جهة حلقة الوصل الداخليّة الرابطة بين أفراد جماعتها التي تنعم بالسلام بفضل جهود رئيستها، ومن جهة أخرى تمثِّل حلقة الوصل بين هذه الجماعة وبين الرهبانيّة عمومًا. تعمل الرئيسة المحليّة جاهدةً على توجيه جميع أعضاء جماعتها نحو الطاعة والثقة بالرئيسات السابقات؛ لذا يجب عليها أن تتمتّع إلى جانب الفضيلة بمعرفة عميقة بالقوانين والرسوم، وبحبٍّ جَمٍّ للرهبانيّة. ويجبُ أن يمتاز سلوكُها باعتدالٍ وحكمةٍ ينعكس من خلالهما روح الله الحاضر فيها. وعليها في الوقت ذاته أن تحرص على مراعاة وتطبيق القوانين في الدير الذي تترأّسه، وتحاول أن تكسب ثقة أخواتها عبر بناء وتعزيز علاقة صداقة ومودّة حقيقيّة بينها وبينهنّ؛ فتعمل هكذا على توثيق عُرَى ذلك

الرباط المقدَّس، رباط الوحدة التي يجب أن تسود بين مَن كرّسنَ أنفسهنّ لقلب يسوع مركز المحبّة وينبوعها.

الفصل الرابع: المجلس العامّ للرهبانيّة

ليس المجلس العامّ جهازَ حكومةٍ بالمعنى الحَصري أو الضيّق للكلمة. إنّه في الواقع مُعطَى ضروريّ تفرزه الرهبانيّة للوقوف على حقيقة مجرى حياتها. فهو يتتبَّع آثارَ خُطى التوجُّهات السائدة ويقدِّم إرشاداته عند الحاجة من أجل صحّة مسار الرهبانيّة. يمتلك المجلس العامّ طبيعة مستديمة، فهو يواصل مسيرته منذ لحظة إنشائه، أي أنّه لا ينحلّ، لكنْ يتجدّد من حين إلى آخَر بتغيُّر أعضائه.

إنّ المجلس العامّ هو التعبير الدقيق بامتياز عن الرهبانيّة بأكملها؛ فمن خلاله تعطي الرهبانيّة جوابًا لله على وجودها التاريخي عبر وسائل تحقيق أمانتها ونموّها. وفيه تجد نفسها وجهًا لوجه أمام قدراتها الشخصيّة في التعامل مع الظروف والأحداث. وفي ضوء الكاريزما التي منحها إيّاها الربّ تكون مُحالةً إلى حكمها الشخصي فيما يتعلّق بتمييز مخطَّط الله لها. لذا فالمجلس العامّ هو التعبير المادّي للنعمة الشخصيّة للرهبانيّة. إنّه يتلقّى الملاحظات من كافّة أعضاء الرهبانيّة، وعند البَتِّ فيها فإنّه يُظهر عمل الروح من خلال تفاعل الحريّات البشريّة.

للمجلس عدد محدَّد من الأعضاء قوامه ستّة أشخاص: الرئيسة العامّة ومعاونتاها، معلِّمة المبتدئات، أمينة الصندوق العامّة (مسؤولة الشؤون الماليّة)، وأخيرًا أمينة السرّ العامّة. إنّ أحد الواجبات الأساسيّة للمجلس العامّ هو التحقُّق المستمرّ من احترام وتطبيق القوانين بأمانة في أديرة الرهبانيّة كلِّها. وهنا يكمن مبدأ العقلانيّة الروحيّة التي يجب أن تسود كلّ المناظرات والنقاشات التي يخوض فيها المجلس، حيث تُوضَع على بساط البحث كلّ المسائل المتعلِّقة بحياة الرهبانيّة، ويتمّ تمحيصها وإعطاؤها بعدئذٍ الحلول المناسبة لما فيه خير الرهبانيّة.

المسؤوليّات المسنَدة إلى المجلس العامّ يجب أن تُقابلها صفات واستعدادات مناسبة، وأهمّها: الغيرة على الرهبانيّة وعلى مجد قلب يسوع، فضلاً عن الكفاءة في تمييز الأمور وفي الحكم عليها جيِّدًا، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة وجود صفاء النيّة. هذه هي الميِّزات الثلاث الواجب توفُّرها في عضوات المجلس العامّ ليستطعنَ أداء واجباتهنّ تجاه الرهبانيّة على أفضل وجه ممكن.

الفصل الثالث

الروحانيّة

١ . الروحانيّة الثالوثيّة والمسيحانيّة

إنّ روحانيّة رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس المبنيّة على وحي باري لي مونيال (Paray-le-Monial)، هي روحانيّة ثالوثيّة ومسيحانيّة في الوقت ذاته.

يُظهِر إله الرحمة والمغفرة مرّة أخرى قُربَه إلى البشر. فيسوع بائتمانه الخاطئين مَشاعر قلبه دعاهم إلى الاتّحاد به وبآيات الشفاء التي يحقّقها. إنّه بتعبير آخر دعا الإنسان إلى مشاركته عمليّةَ إعادة الخلق، فأصبح باستطاعة الإنسان منذ تلك اللحظة فصاعدًا أن يكون إلى جانب الله، وأن يُحبّ على مثاله وفيه. لقد تجلّى الله في إنسانيّته التي ظهرت بوضوح انطلاقًا من الموضع الأكثر سريّةً، حيثُ يَلتَقي كلّ مصيرٍ بشريّ: القلب المتألّم والمحِبّ. إنّ قلب المسيح هو هبة الله وهبة الروح القدس كذلك. فالروح هو الذي يمنح قلب الإنسان إمكانيّة اللقاء بقلب المسيح، ومن خلال التأمل بهذا القلب يمكن للإنسان أن يكتشف قلب الله.

تتمثّل إرادة الآب في أن يردّ إلى قلب المسيح عبادة المحبّة التي استحقّها لدواعٍ كثيرة، وأن يُنعش شعلة الإيمان ولهيب المحبّة المقدّس الذي يحاول عُقوقُ البشر جاهدًا العملَ على إطفائه في كلّ القلوب. هذه الإرادة الإلهيّة تتعلّق بالابن وبالكنيسة في آنٍ معًا. إنّها تضع أُسُس روحانيّة الرهبانيّة في بُعدَيها: التأمّلي والرسولي.

إنّ الاتّحاد بقلب يسوع مختوم بختم الحبّ المطلق وبالسجود. غير أنّ هذه العلاقة الشخصيّة بالمسيح لا تنفصل عن العلاقة مع الإخوة والأخوات. إنّ ما منحَ البدْءَ للكنيسة هو الفعل الفريد الذي وقع عشيّة الفصح، والذي من أجله كشف المسيحُ القائم من بين الأموات عن نفسهِ لتلاميذه وجعلهم

شركاءَ له في ملءِ مجده مظهرًا لهم يديه وجنبَه[٣٣١]، وللأمر ذاتِه أرسلهم بقوّة الروح القدس كما أُرسِل هو من قِبل الآب[٣٣٢]. إنّ قلب المسيح ينفتح في قلب الإنسان.

كلّ شيء يبدأ من الآب وبإذنه فقط. وكلّ شيء يرتكز من ناحية أخرى إلى شخص المسيح ويتمركز في قلبه البشريّ. إنّ المسيح بكشفه عن أعماق قلبه يولِّد لدَى الإنسان استجابةً هي إجابةُ الحبّ الذي يفنَى في مجانيّة العبادة المطلقة. هذا هو معنى كلمة عبادة، حيث وردت في قوانين الرهبانيّة. إنّها تعبِّر عن هذه العلاقة المتميِّزة والفريدة من نوعها مع شخص المسيح، حيث تتّحد حميميّة الحبّ بِهَيبة العبادة في فعل السجود. لقد جعلت قوانين الرهبانيّة من هذا الاتِّحاد بقلب يسوع حجر الأساس للعمل الرسولي ومنحته صفته المسيحانيّة الخالصة. فاجتذاب الناس نحو الآب يعني –استنادًا إلى ما تقدّم– مساعدتهم ليعرفوه في ابنه المتجسِّد.

يقول مار بولس في إحدى رسائله متحدِّثًا عن سرّ التجسُّد: "ولا خلافَ أنّ سرّ التقوى عظيم". حسَنًا، ما هو هذا السرّ؟ "قد أُظهِر في الجسد، وأُعلن بارًّا في الروح، وتراءى للملائكة، وبُشِّر به عند الوثنيِّين، وأُومِنَ به في العالم، ورُفع في المجد"[٣٣٣]. إنّ سرّ التقوى إذَن هو الكلمة المتجسِّد، أو بعبارة أخرى: هو حنان الله الذي يعجز اللسان عن وصفه تجاه الإنسان، ذلك الحنان الذي أظهره الله في تجسُّد ابنه الحبيب. إنّ رحمة الله هذه تستدعي بِدَورها التقوى من جانب الإنسان في حقِّه تعالى. وهذه التقوى هي ثمرة التغيُّر الذي يحدث في عُمق أعماق المؤمن؛ فعندما يَقبل المؤمنُ الله في الجسد فإنّه يحيا في شركة مع المسيح: إنّه سرّ علاقة إنسانيّةٍ قُصوى بين الله والإنسان، تبدأ عند التجسّد وتُدركها عبادة قلب يسوع الأقدس على مستوى القلب.

---

[٣٣١] يوحنا ٢٠: ٢٧.

[٣٣٢] يوحنا ٢٠: ٢٠–٢١.

[٣٣٣] ١ طيمثاوس ٣: ١٦.

٢. روح الرهبانيّة

إنّ ما يُحدِّد هدف رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس هو تمجيد قلب المسيح. فيتولّد من هنا روحٌ، وتتشكّل كيفيّةٌ للوجود وللفِعل خاصّةٌ بالرهبانيّة. إنّ كتاب القوانين قد اتّخذ من تعريف هذا الروح مقدِّمة تُمهِّد للنصّ كلِّه. وهو ما يؤدِّي بالنتيجة إلى إيضاح طبيعة هذا الروح وخصوبته.

تتكرّر كلمة "روح" بِتَواتُر في نصّ القوانين، ممّا يُظهر بوضوح كينونةً خاصّة بالرهبانيّة يمكن أن يُطلق عليها "روحُ أُسرةٍ". يتعلّق الأمر بنهج للحياة وللعمل له خصوصيّته، وبحسٍّ باطني حتّى إن بقيَ شعورًا عامًّا مقارنةً بالاختيارات الماديّة المتأتّية عنه فإنّه لا لهذا السبب يُعَدُّ غير دقيق قياسًا بالوعي الروحي الذي يتطلّبه. إنّ هذه الروحيّة تَسِمُ بمَيسمها الرهبانيّة في أمانتها للهبة الخاصّة التي منحها إيّاها الربّ، أعني: الكاريزما الخاصّة بها. لقد بُنيت أُسس هذه الروحيّة بشكل جوهريّ على الصلاة وعلى الحياة الباطنيّة. في بيت الآبِ منازلُ كثيرةٌ[٣٣٤]؛ حسنًا، إنّ ما يبني منزل ابنة القلب الأقدس، وما يمنح حياة الصلاة التي تعيشها وقعَها الخاصّ، وما يمنحها هي شخصيًّا الاندفاع إلى هذا النوع من الحياة هو قلب يسوع؛ لأنّ تمجيد قلب يسوع الأقدس التمجيدَ الذي يليق به لا يكون ممكنًا إلاّ بالانصراف إلى التعمّق في معرفة الاستعدادات والمشاعر الباطنيّة لهذا القلب الإلهيّ، بُغيةَ الاتِّحاد به والتماثل معه. إنّ الصلاة والحياة الباطنيّة هما أفضل ما يُمَكِّن ابنة القلب الأقدس من الدخول في علاقة حميمة وتماثُل مُتَنامٍ مع المسيح بانكبابها على معرفته معرفةً عميقة. إنّها تُنَمِّي بداخلها روحيّةً معيّنة بقدر ما تَدَعُ مجدَه ينعكس على مُحيّاها وعلى حياتها كلِّها.

لِنُمعن النظر في مجموعة من التعبيرات الأساسيّة التي تُهيمن –قبل كلّ شيء– على العالم الروحي للرهبانيّة: إنّ هذه التعبيرات تتبع تعاقبيًّا التصاعد البُنيوي للقوانين، ولا سيّما في الجزء الثاني الذي يتمحوَر حول تنشئة أعضاء الرهبانيّة على الكمال.

---

[٣٣٤] يوحنا ١٤: ٢.

إنّ استعدادًا بعينهِ ما هو إلاّ تعبيرٌ عن كينونةٍ بعينها تجعل المرءَ أكثر حساسيّةً تجاه الواقع؛ فيغدو من الممكن الحديث عن أمور مثل: مَيل، نزعة، أو حتّى: ذَوق. فمِن غير الاستعدادات الشعوريّة المختلفة التي تجعلنا حسّاسين تجاه الأمور يظلّ عالمنا بلا نكهة، ويُصبح شاحبًا، ثمّ يفقد حتّى ما يمتلك من كلمات. بخلاف ذلك، يجعلنا استعدادُ القلب منفتحين على المظاهر المتنوّعة لِغنى الواقع، كالانفتاح على جماليّة الأنغام –على سبيل المثال– لِمَن يمتلك حسًّا موسيقيًّا مرهَفًا. وهذا الانفتاح يُحفِّزنا على إعادة التجربة مرّة أخرى، شأن الرسّام الذي يخلق بريشته عالماً من الألوان لا حدودَ له. فالاستعداد الشعوري يجعلنا إذَن قادرين على مشاركة الكون في معزوفة الخَلق البديعة. أمّا عندما نفكّر بما تعنيه الاستعدادت الباطنيّة فالمُراد بها الاستعدادت الشعوريّة الأكثر سريّةً، أي التفكير في كوننا نتأثّر لا بالأشياء فقط ولكن بالأشخاص أيضًا، ونغدو بذلك في تواصل معهم. إنّه القلب: الموضع الأكثر أصالةً في الإنسان، هناك حيث يتفاعل مع الآخَرين من خلال طبيعته الجوهريّة. هذه الاستعدادات الباطنيّة –في الحقيقة– هي التي تؤهِّل المرء للدخول في تماسّ مع الله.

كذلك عندما يعبِّر الإنسان عمّا يشعر به في أعماقه، فإنّ الاستعداد الذي يجعل تلك الأعماق منفتحة على الله يعود أصلاً إليه تعالى. ذلك الاستعداد هو الذي يفسِّر الاختلاجة الأولى لقلبٍ محبّ. بمعنى آخر: الله حاضر في الميول التي يخلقها في القلب. فإن كان الأمر هكذا على صعيد حركة الحياة الروحيّة، فما بالُنا إذَن بالمشاعر الباطنيّة لقلب يسوع! هو الذي في حضن الآب، وكلّ شيء يعود إليه في آخر المطاف.

إنّ تأمّل ابنة القلب الأقدس في الاستعدادات الباطنيّة لقلب يسوع لا يعني إذَن التوقُّف عند الأمزِجة الغامضة التي لا يُمكن إدراكها. على العكس، فالأمر يعني لها أن تضع نفسها في حالة إصغاء قادرة على الحدس، منصتة إلى قلب الله، تمامًا كما ينبض هذا القلب الإلهي في قلب المسيح المتجسّد. فتغدو بالنتيجة متنبِّهة إلى الانضباط الباطني لقلب المخلِّص خلال حياته الأرضيّة كما في مجده، مجد القائم من بين الأموات. هكذا تتعلّم ابنة القلب الأقدس قراءة كلّ كلمة وكلّ إشارة في الإنجيل انطلاقًا من

القلب، من ذلك الموضع الأصيل، حيث كلّ شيء يبدأ من المسيح. آنذاك فقط تكون قد مُنحت تأشيرة الدخول في أُلفة المسيح مع الله ومع بَني البَشر.

يوجد هنا نوع من الحضور الوُدّي للمسيح لدى ابنة القلب الأقدس، والعكسُ بالعكس. هذا الحضور يؤهّلها أكثر لممارسة الصلاة وللانسجام مع حياتها الباطنيّة. إنّها بقبولها نعمة دعوتها تأخذ بعين الاعتبار وصيّة القدّيس بولس: "فليكن فيما بينكم الشعور الذي هو أيضًا في المسيح يسوع"[٣٣٥]. لهذه المشاعر ما يربطها بالقلب؛ فالأسلوب الذي يتحدّث به القدّيس بولس مع مسيحيِّي فيلبّي عن مشاعره وعن استعداداته يشهد بذلك. إنّه –على حدِّ قوله– يضمّهم جميعًا في قلبه[٣٣٦]. إنّ النصوص القانونيّة المتعلِّقة بالحياة الباطنيّة للرهبانيّة والتي تمنحها روحها الخاصّ هي ذات أصداء كتابية عميقة.

يمكننا قول الشيء ذاته عن طبيعة التماثل مع قلب يسوع، هذا التماثل الذي تجد ابنة القلب الأقدس نفسَها مدعوّة إليه. ففي الرسالة إلى أهل فيلبّي نجد أنّ مشاعر المسيح التي يدعو بولس المؤمنين إلى جعلها مشاعرهم، هي تلك المشاعر التي دفعت يسوع أن يتجرّد عن ذاته التي هي صورة الله ليتّخذ صورة العبد ويصير على مثال البشر في كلّ شيء[٣٣٧]؛ فباتِّضاعه حتّى الموت رفع البشريّة وأعاد لها مُحيّاها الحقيقي الذي تألّهَ بفضل تجسُّد المسيح. وعلى حدِّ قول مار بولس: "فأعرفه وأعرف قوّة قيامته والمشاركة في آلامه فأتمثّل به في موته، لعلّي أبلغ القيامة من بين الأموات"[٣٣٨]. إنّ هذا السعي إلى الامتثال لقلب يسوع هو ما يقتفي آثارَه لاحقًا نصّ القوانين: إنّها طريق التجرُّد عن الذات، ولكنّها –بادئ ذي بَدء– طريق الرجاء حيث أُعلن ويُعلَن مجدُ الله.

هذا الروح الباطني وهذا التماثل مع مشاعر واستعدادات المسيح يتّضحان لدى الرهبانيّة من خلال السعي إلى خدمة مجد المسيح. إنّها خدمة تستند إلى عدد من الوسائل النبيلة للعمل على قداسة

---

[٣٣٥] فيلبي ٢: ٥.

[٣٣٦] فيلبي ١/٧.

[٣٣٧] فيلبي ٢: ٦–٧.

[٣٣٨] فيلبي ٣: ١١.

القريب. فالاتِّحاد بالمسيح على الرغم من كونه أمر شخصيّ إنّما يُتوصَّل إليه عبر الشركة مع الآخرين. كما أنّ عناء العمل الرسولي لا ينفصل عن فعل النعمة في أولئك الذين يكرِّسون أنفسهم من أجلها.

في مَعرِض الحديث عن وسائل العمل الرسولي لاحظنا أنّ النصّ القانوني يبقى مفتوحًا، فهو يتحدّث أوّلاً عن ميدانَين لهما محلّ الصدارة، وهما: تربية النَشء الجديد ولاسيّما الفتيات، والانصراف إلى أعمال المحبّة والخدمة الاجتماعيّة. ويُعَدّ تفضيل هذين الميدانَين على غيرهما معيارًا لتمييز واختيار الأعمال الرسوليّة الممكنة، شأن خدمة المرضَى، ورعاية الأيتام، وغيرها من الخدمات التي قد تعرِض جرّاء الحاجة والظروف التي تمرّ بها الأبرشيّة أو الأحداث التي قد تطرأ على البلد. وتتعلّق الوسائل التي يُدرجها نصّ القانون بما يمكن تسميته خدمة الكلمة.

إنّ الكلمة غير المشفوعة بالعمل تفتقر إلى المعنى. ولكن إن أردنا منح صفةٍ للاستعداد الجوهري لابنة القلب الأقدس في أداء رسالتها فسوف يقودنا الحديث إلى الاستعداد الداخلي الذي يُحيل الكلمة الطيِّبة عملاً: كلمةٌ تُربِّي، كلمة تُنير، كلمة تُحرِّر، وكلّها بملامستها القلب تصل إلى الشخص المعنيّ مُشارِكةً إيّاه في أفراحه وأتراحه؛ لأنّها تلتقي قلب المسيح ذاته. هكذا يمنح روحُ الرهبانيّة الإجابةَ الحقيقيّة صِبْغَتَها التي تكشف لابنة القلب الأقدس عن قلب الابن الحبيب. هذه هي الكاريزما التي خصّ بها الله الرهبانيّة في نطاق الكنيسة.

٣. "وديعٌ ومتواضعُ القلب"

إنّ النهج الذي تسير عليه رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس في عَيش وتتميم وعودها ونذورها –كما يرد في قوانين الرهبانيّة– قِوامُه التأمّل والدراسة والمعرفة العميقة لمشاعر قلب يسوع بُغية التماثل معه بأعمق ما يمكن أن يكون عليه الاتِّحاد. وتصف القوانين هذا الأمر بكونه الواجب الأكثر قدسيّةً والشاغل الفائض عُذوبةً في حياة ابنة القلب الأقدس.

ينبسط قلب يسوع أمام ناظِرَي ابنة القلب الأقدس ككتاب. أجل إنّه كتاب مفتوح أمامها، تقِفُ فيه عند كلّ فضيلةٍ لتتفَقّه فيها. ولكنّ مَلاك سفر الرؤيا يُنادي: "مَن هو أهلٌ أن يفتح الكتاب

ويفضَّ أختامَه؟"[٣٣٩]. لا أحد في السماء أو على الأرض أو تحت الأرض يستطيعُ هذا، إلاّ الحَمَل الذبيح الذي يتقدّم ويتناول الكتاب من يمين الجالس على العرش[٣٤٠]. إنّه مسيح المجد، هو فقط الذي يحمل إلى الأبد سِمات آلامه، يفتح أنظار كنيسته على معاني الكتاب المقدّس. كلُّ شيء هو كفجر القيامة، عندما أخذ القائم من بين الأموات يُفسِّر لتلميذَي عمّاوس أسفار الشريعة وكتب الأنبياء على ضوء الأحداث التي وقعت[٣٤١]. فمنه هو بالتحديد، ومنه فقط –ذاك الذي هو موضوع الكتاب– يتعلّم المؤمن قراءة نصّ الكتاب المقدّس ويقفَ على حقيقته الجوهريّة مصغيًا إلى المسيح. إنّ كلّ صفحة من صفحاته تُشير إلى المسيح، وتصير فيه كلمة الحياة. فتاريخ إسرائيل بأكمله وقعت أحداثه آنذاك، وتجلّى في الكنيسة وعدًا عظيمًا اجتاز حدود الزمن ليجد تمامه وغايته في المسيح.

غيرَ أنّ قوانين الرهبانيّة بتقديمها قلب يسوع كتابًا مفتوحًا لا تستبدل به كتاب الأناجيل، بل هي تُظهر الآصرة الوثيقة والدائمة التي تربط كلّ آيةٍ من آيات الكتاب المقدّس بشخص يسوع ذاتِه، فتدعونا إلى التتلمُذ في مدرسة المسيح ومدرسة قلبه. إنّ الحمل الذبيح هو للكنيسة ولابنة القلب الأقدس مَن يَكسر يومًا بعد يوم خبز الكلمة ويهب الحياة من روحه. ولكنّ جنب المسيح المطعون وقلبه المفتوح هما اللذان يُصبحان –قبل كلّ شيء– لابنة القلب الأقدس المفتاح الذي يفتح لها أبواب الكتاب المقدّس، ويُطلعها بفضل النعمة الكامنة في دعوتها على السرّ المكنون في كلّ كلمة من كلماته.

هكذا تجد ابنة القلب الأقدس أنّ كلّ صفحة من صفحات الكتاب المقدّس لها مركزها المُشعّ في قلب يسوع. إنّ كلّ الأحداث الكبرى التي حدّدت ملامح المعاهدة بين يَهوَه وشعبه تكتسب ضوءَها من المعاهدة التي أبرمها الله مع الإنسانيّة في قلب المسيح. وعبر صلاة المزامير التي يتتابع فيها التسبيح والدعاء والسخط والتضرُّع تحسّ ابنة القلب الأقدس بنبض قلب يسوع في علاقته مع الآب. وهكذا فإنّ جميع أسفار الكتاب المقدّس بعهدَيه القديم والجديد يرتبط بعضها ببعض في قلب المسيح بمقدار ما تتمكّن ابنة القلب الأقدس ذاتها من تحقيقه بفسحها المجال لهذه الأسفار كي تقومَ على تعليمها وتغييرها بفضل

---

[٣٣٩] رؤيا ٥: ٢.

[٣٤٠] رؤيا ٥: ١–١٤.

[٣٤١] لوقا ٢٤: ١٣–٣٥.

روح يسوع. إنّها بحاجة إلى فتح الكتاب المقدّس؛ لأنّها ستتآلف هكذا مع أفكار ومشاعر قلب المسيح، فتنفصل كلّ آية من آيات الكتاب عن موضعها في الورقة لتغدو لها كلمة الحياة.

المسيح ليس فقط مَن يُظهر حكمة الكتاب المقدّس عندما يفضّ أختامه، ولا هو فقط مَن يُناول هذا الكتاب، إنّ المسيح هو الكتاب بحدِّ ذاته؛ فهناك هويّة جوهريّة توحِّد بين الكلمة الملهَمة وشخص يسوع، وكذلك بين بُنية الكتابات المقدّسة وجسد المسيح ذاته. إنّ الوصيّة التي يستودعها المسيح تلاميذَه أُمسية العشاء الأخير ليست فقط كتابةً أو عقيدةً، إنّها في الحقيقة جسده ودمه الأقدسان. لقد وهب المسيح ذاته، وصار إفخارستيّا، وبقوّة حضوره في قلب الكنيسة أوحى بهذا الكيان التعبيري المتمثِّل بالأناجيل لكلّ الأزمنة. وبناءً على ما تقدّم، فمن المحال فصل كلام مسيح الكتاب المقدّس عن حضور المسيح على مائدة الإفخارستيّا. "أن يؤكلَ الكتاب" كما كان قد دُعي إليه النبي إيرميا[٣٤٢]، أي أن يغدو الاقتيات على خلاصة وجوهر الكلمة المكتوبة واحدًا مع "تناول" جسد المسيح الذي مُنح لنا غذاءً للحياة الأبديّة. هكذا، وبكلّ ما في هذه الألفاظ من قوّة، فإنّ فعل السجود لقلب يسوع الحاضر في سرّ القربان المقدّس لا ينفصل عن المعرفة العميقة لقلب يسوع، تلك المعرفة التي تكتسبها ابنة القلب الأقدس بتواصلها مع الكتاب المقدّس.

إنّ ابنة القلب الأقدس بإصغائها إلى الكتاب المقدّس في قلب يسوع تنفتح على العالم؛ لأنّ هذا الكتاب الذي يعني لها قلب يسوع يمتلك بُعدًا جماعيًّا، بل بُعدًا كونيًّا على حدّ تعبير اللاهوتي اليسوعي تيار دي شاردان. بالفعل، إنّ الجسد الإفخارستي للمسيح –الذي ليس الكتاب المقدّس بأكمله إلاّ تعبير عنه– هو كلٌّ لا ينفصل عن جسد الكنيسة الذي قوامه جسد المسيح، ذلك الحمل الذبيح الذي حقّق المصالحة بين الله والبشر. حقًّا إنّ جسد المسيح (الكنيسة) هو المكان الذي يجمع شمل التائهين والمتفرّقين[٣٤٣]. هكذا تجد ابنة القلب الأقدس في ذلك الكتاب المفتوح الذي هو قلب يسوع الأبعاد الحقيقيّة لماهيّة الكنيسة في العالم، وتُدرك كلّ فرحةٍ تُضيء جنَبات قلب الإنسان، وكلّ ألمٍ يعذِّبه، كما أنّها

---

[٣٤٢] ارميا ٣٦.

[٣٤٣] رؤيا ٣: ٥، ٢١: ٢٧.

تشعر بقلب العالم وهو ينبض بداخل قلب يسوع ذاته، ويمكنها أن تميِّز في كلّ وجه بشريّ –على الرغم ممّا يحمل من علامات الحزن والعناء– ختْمَ الحمَل، مسيح المجد. ففي قلب المسيح يُزهر أملُ كثير من الناس من كلّ عِرق ولسانٍ وعشيرة.

تؤكِّد قوانين الرهبانيّة على أنّ قلب يسوع هو كتابٌ يجب على ابنة القلب الأقدس أن تتعلّم منه كلّ فضيلةٍ. يرى المعاصرون أنّ القلب لا يُعبِّر إلاّ عن الحياة العاطفيّة، فهو مركز الأحاسيس والمشاعر. أمّا الشعب العبرانيّ فكان يمنح القلب معنى أكبر وأغنى من ذلك بكثير. فالقلب يُشير إلى الباطن، إلى داخل الإنسان، فلم يكن يحمل في تضاعيفه المشاعر فقط، بل كان يحمل أيضًا ذكرياتٍ وأفكارًا ومشاريع. كان القلب في العهد القديم يرمز إلى موضع القرار. لذلك فإنّ نصوص القوانين يجب أن تُقرأ وتُفهم استنادًا إلى هذه الخلفيّة الكتابيّة لمفهوم القلب. ومن المؤكَّد أنّ ابنة القلب الأقدس تقرأ النصوص الكتابيّة في قلب المسيح، ولكنّها لا تنهج في ذلك نهجًا عاطفيًّا. إنّها لا تدخل في المشاعر الباطنيّة لقلب يسوع من خلال التعرّف عليه مستعينةً بموارد فطنتها الإيمانيّة فحسب، ولكنّ هذه المعرفة تمرّ بالضرورة عبر دراسة حثيثة ومستمرّة للكتاب المقدّس بعهدَيه القديم والجديد. ليست هناك إذَن وسيلة من الوسائل المتعارَف عليها لدى المؤمنين والتي تخدمهم في التآلف مع الكتاب المقدّس يُمكن أن تُعَدَّ غريبةً عن روحانيّة الرهبانيّة، من ذلك: تفسير الكتاب المقدّس، اللاهوت الكتابي، الليتورجيّا، وجميع العلوم المساعدة الأخرى، فضلاً عن التأمُّل المتكرِّر في هذه النصوص أثناء الصلاة.

ولكن بمقدار ما يمكن أن تكون عليه معرفة الكتاب المقدّس من الرهافة التي تدعو إليها روحانيّةُ الرهبانيّة، إلاّ أنّه لا يجب التوقُّف على الإطلاق عند حدود بهجة الفكر؛ لأنّ معرفة الكتاب المقدّس تُلزم التطبيق، فتُفضي إلى العمل، ولا تبتغي إلاّ الفضائل. فالإصغاء إلى الإنجيل يعني تفعيل الحقيقة[٣٤٤] من أجل توبة دائمة، على الصعيد الشخصي. بهذا تبلغ قراءة الكتاب المقدّس غايتها، وهي الدخول إلى الحقيقة الروحيّة البحتة للنصّ الكتابي من خلال السلوك والأفعال التي من شأنها أن تضع المرء على طريق

[٣٤٤] افسس ٤: ١٥.

اتّباع المسيح. فعندما نجعل من فضائل المسيح فضائلَ شخصيّةً لنا، يعني أنّنا نشهد له، وعندما تقوم ابنة القلب الأقدس بأفعالٍ معيّنة اقتداءً بالمسيح، يعني أنّها تخضع لقوّة الإنجيل وتجعله يلمس قلبها.

هذه هي إذَن طريقة ممارسة الفضائل التي تدعو إليها الرهبانيّة. وهي تتحقّق عبر المواظبة على الاقتراب من الكتاب المقدّس، والالتزام الدائم بواجبات الحياة الرهبانيّة. تكمن المسألة في معرفة المسيح معرفةً أفضل للتمكّن من الثبات على الاقتداء به من خلال الواقع الفعلي. ولا غَرابة فإنّ هذا النهج يفرض على ابنة القلب الأقدس تلمَذةً وتدرُّبًا: يجب على النفس أن تتمرّن لكي تستطيع أخيرًا أن تجد في سلاسة انقيادها للروح توافُقَها الصحيح. وهنا لابدّ من امتلاك منطق روحيّ بعينه، وهو في آخر المطاف منطق القلب، حيث موضع الحدس والتلقائيّة، ولا سيّما القلب الصادق والمحبّ. وإن كان التمرّن واجبًا في بادئ الأمر، فإنّه لا يغدو مسلكًا مألوفًا إلاّ عندما تركِّز ابنة القلب الأقدس أنظارها صَوب قلب يسوع لتعلن ثباتها واتّحادها بمشاعره الباطنيّة. فإنّها إذا وجدت مأواها في قلب يسوع لا تحتاج بعدئذ إلى منطق العلّة والسبب، يكفيها في الحال التي تجد نفسها عليها أن تُلقي نظرة على ذلك الكتاب المفتوح، وما هو إلاّ قلب يسوع، لتجد الكلمة والإشارة اللتَين تبحث عنهما. تكفي هذه النظرة ليكون الفعل المعتمَد هو فعل المسيح ذاته. وهكذا، فإنّ ابنة القلب الأقدس حتّى في أكثر ردود أفعالها فوريّةً، وفي مواجهتها الأشخاص والأحداث يمكنها أن تجد يومًا بعد يوم الكلمةَ والإيماءَة، أو الصمت إن اقتضى الأمر، وما إلى ذلك من سلوكٍ يجعل الآخرين يلمسون فيها الحضور الحيّ الوَدود للمسيح. بكلمة أخرى: تصبح حياتُها –بدَورها– صفحةً من الإنجيل.

من بين الفضائل الواجب على ابنة القلب الأقدس ممارستها بتواصلها مع الإنجيل هناك فضيلتان مُلحّتان، أراد المسيح من خلالهما –على وجه الدِقّة– أن يُظهر أكثرَ مشاعر قلبه عمقًا، وهما: التواضع والوداعة. أليسَ هو القائل: "تعلّموا منّي، فإنّي وديعٌ ومتواضع القلب"[٣٤٥].

إنّ السياق الذي وردت فيه كلمات المسيح –المشار إليها في أعلاه– معروفٌ في الإنجيل، حيث يأخذ يسوع بناصية الكلام رافعًا آيات الحمد إلى الآب الذي يمنح كلّ شيء بفضل محبّته، والذي يُخفي

[٣٤٥] متى ١١: ٢٩.

أسراره عن العلماء والحكماء ويكشفها للصغار. إنّ يسوع نفسه هو في تلك اللحظة ذلك الصغير بامتياز، الذي يعجب ممّا يفعله الآب من خلال التلاميذ. فقيرٌ هو يسوع، ولكنّه غنيٌّ في الوقت عينه. إنّه غنيّ بما يهبه إيّاه الآب. فبينما إيكالُه نفسَه إلى الآب إذ أوْكَلَ الآبُ إليه كلَّ شيء، حدَّ إطلاعهِ على صورته، وكشفهِ له عن نفسه كشفًا كاملاً: "ولا مِن أحدٍ يعرف الآبَ إلاّ الابن، ومَن شاء الابنُ أن يكشفَه له"[٣٤٦]. فيسوع في علاقته البَنويّة مع الله الآب هو في شخصه صورة الله غير المنظور ووَحْيُه.

عبرَ نورِ هذا التسبيح الذي يتّجه صوب الأعماق الإلهيّة يلتفت يسوع إلى الناس ويلتقيهم هناك حيث يألمون وينحَنون تحت وطأة أعباء يومهم. شأن الحكمة التي تدعو إلى مائدتها في كتاب العهد القديم الجياعَ والعطاش[٣٤٧] يقدّم يسوع نفسَه إليهم بوصفه المأوى الذي يلقَون فيه الراحة والاطمئنان: "تعالوا إليَّ جميعًا، أيّها المرهَقون والمُثقلون، وأنا أريحكم. احملوا نيري وتتلمذوا لي فإنّي وديع ومتواضع القلب"[٣٤٨].

هناك عبءُ الحياة وضروراتها وطغيانها المتواصل وعنفها المستمرّ، وهناك في الوقت ذاته نيرُ شريعة الله التي تقود الإنسان في طريق الحكمة فيجدَ فيه تعالِي الراحة والفرح[٣٤٩]. يتكلّم يسوع ليكشف لنا عن ذاته، وليُظهر ما هو كامن في شخصه: "تعلّموا منّي، فإنّي وديعٌ ومتواضع القلب". إنّه هو الشريعة الحقيقيّة، وإنّه لَكذلك من خلال كشفه عن مواقف واستعدادت قلبه: هذا التواضع الذي تتّضح فيه العلاقة العادلة القائمة بين الخليقة وخالقها، وهذه الوداعة التي تُبرز الموافقة والاستحسان في استقبال المخطَّط الذي أعدّه الله لنا. غير أنّ كلمة الوحي هذه تقتفي كذلك آثار المسيرة التي تؤدّي إلى الحكمة. فالنصّ الذي كتبه متّى يمكنه بالفعل أن يُترجَم هكذا: "تعلّموا منّي، فإنّي وديعٌ ومتواضع القلب". ففي فضيلتَي التواضع والوداعة اللتَين تُستَقيان من قلب يسوع يستطيع التلميذ أن ينخرط في مدرسة "المعلِّم" ويبلغ الحياة الحقيقيّة. هناك مدرسةٌ هي مدرسةُ القلب، وما تلك المدرسةُ إلاّ المسيح. إنّها المدرسة التي دُعيت إليها ابنة القلب الأقدس. فالقلب هو الذي يجعلنا في آخر المطاف ننفتح على المعرفة الحقيقيّة.

---

[٣٤٦] متى ١١: ٢٧.

[٣٤٧] حكمة ٦.

[٣٤٨] متى ١١: ٢٨-٢٩.

[٣٤٩] مزمور ١١٩.

التواضع والوداعة إذَن لايُمثِّلان لابنة القلب الأقدس فضيلَتين من الفضائل وحسب، إنّهما في الحقيقة خلاصة الفضائل كلّها التي تتمكّن ابنة القلب الأقدس أن تتأمّلها في المسيح. فهاتان الفضيلتان تجعلان المرء في تواصل مع المشاعر والاستعدادات الباطنيّة لقلب يسوع. وهذا هو ما يجعل منهما الطريقة التي تُمكِّن ابنة القلب الأقدس من حملِ نير المسيح على منكِبيها والتتَلمُذ في مدرسته. إنّ كلمة "الوحي- الكشف" هذه، والتي تُظهر في خلفيّة العلاقة البنويّة للمسيح مع الآب ماذا يمثِّل يسوع ابن الإنسان للناس، تتضمّن النعمة المتحقِّقة للرهبانيّة. إنّها تُوَضِع ابنة القلب الأقدس في المسيح، وتجعلها تتلقّى مواهب الفطنة الروحيّة حاملةً على منكبيها نيرَ شريعة المسيح، فتستحيل أعباءُ يومها تسبيحًا لمجد الآب. كما أنّها في اتِّحادها بقلب يسوع تُصبح بدَورها راحةً وتسريةً لإخوتها وأخواتها في آلامهم ومشقّاتهم اليوميّة.

بِبَقاء ابنة القلب الأقدس أمينةً لهذا الدرس الذي تلقّته من عروسها الإلهي تقبل بتواضع ووداعة وفرح -على قدر المستطاع- الاحتقار والتأنيب وانسحاق القلب والإهانات كائنًا ما يكون مصدرها، متذكِّرةً أنّ يسوع عروسها الإلهي كان قد دُعيَ في مزمورٍ على لسان داود: "... دُودة لا إنسان، عارٌ عند البشر ورذالةٌ في الشعب"[٣٥٠]، وتستطيع أن تُماثل ما تشعر به وتعيشه برفقة استعدادات ومشاعر قلب يسوع الحبيب.

إنّ معرفتها لحياتها تكمن في استعدادها للالتزام باتِّباع المسيح: فقيرةً برفقة المسيح الفقير، متواضعة إلى جانب المسيح المُهان[٣٥١]. ولا تستطيع أن تتّخذ من تواضع المسيح تواضعًا لها إلاّ مَن تكون مستعدّة لتقييم ما قد تمرّ به من سوءِ فهمٍ أو إهاناتٍ لا تخلو منها أيّة حياة بشريّة. ولا تستطيع في الوقت ذاته أن تتذوّق عذوبة قلب يسوع إلاّ مَن تلتزم بمتابعة السير في الطريق الوعرة، طريق الأمانة والوفاء مدى الحياة.

---

[٣٥٠] مزمور ٢١: ٧.

[٣٥١] القدِّيس إغناطيوس دي لويولا، رياضات روحيّة، ١٤٦.

تؤدّي بنا هذه الفقرة من نصّ القوانين إلى صميم كاريزما الرهبانيّة. إنّها تضعنا بادئً ذي بَدء أمام مسيح المجد، أمام الحمَل الذبيح: يُمنَح قلب يسوع إلى ابنة القلب الأقدس في كنيسته كتابًا مفتوحًا، هو الكتاب المقدّس، وكتاب تاريخ البشريّة أيضًا. ذلك الكتاب الذي يتفتّح عبر الفطنة الروحيّة التي تتدبّره على ممارسة إنجيليّة خالصة. ومن خلال هذه الخلفيّة تصل ابنة القلب الأقدس إلى يسوع وهو في أرض فلسطين، يحيط به تلاميذه، فتصغي إلى كلمة الوحي التي يتفوّه بها، والتي فيها نعمته: "تعلّموا منّي فإنّي وديع ومتواضع القلب"، عندئذ تصبح المسيرة التي تلتزم بها بتتلمُذِها في مدرسته المسيرةَ ذاتها التي سارَها هو نفسُه: مسيرةَ فقرٍ ومهانة. إنّها تَلِجُ هذا المسار المعتم فتدرك طريقَها في مجد الحمَل الذبيح ذي الجنب المطعون، وهي ترنو نحو مَن هو لها كتاب الحياة، فتغدو قادرةً على تحمُّل شدائد الحياة بفرح، وتتمكّن حتّى في التفاهات اليوميّة من جعلِ هذا التواضع وهذه الوداعة يُشعّان علامتَين لحضور الله بين الناس.

٤. الاتّحاد بقلب يسوع

تؤكّد قوانين الرهبانيّة على أنّ أيّ نوع من الكمال إنّما يرتبطُ بالوحدة التي يجب أن تستقيم بين ابنة القلب الأقدس وقلب يسوع عبر تماثلها مع استعداداته ومشاعره وإرادته. تُعيدنا هذه الكلمات إلى ما جاء في الفقرات الأولى من القوانين، من أنّ هدف الرهبانيّة هو تمجيد قلب يسوع بالعمل على خلاص وكمال أعضاء جسده السرّي. وليس تطبيق هذه القوانين إلاّ التغلغُل شيئًا فشيئًا في كاريزما الرهبانيّة.

وتحدّد هذه الصفحة بدقّة مضمون القوانين والحيّز الذي تشغله. إنّها توضح كيف أنّ الكمال الشخصي لأعضاء الرهبانيّة يكمن في الاتّحاد وفي التماثل مع قلب يسوع. كما تأخذ بعين الاعتبار الجملة التي لخّصت وتُلخّص على أدقّ وجه روحانيّة الرهبانيّة.

اتّحاد من خلال التماثُل، أو بعبارة أخرى: الاتّحاد بقلب يسوع عبرَ تماثُل المشاعر. هذه هي النقطة المركزيّة في روحانيّة الرهبانيّة. إنّ التماثل يقود إلى الاتّحاد ويجعله يبلغ تمامه. ولكن، ما المقصود بالتماثُل؟ نلاحظ أنّ كلمة "مماثَلة أو مطابَقة" استُعملت كلّما دارَ الحديث عن مَشاعر واستعدادات قلب يسوع. غير أنّ معنى التماثُل يتّضح بصورة خاصّة على ضوء مجموعة من التعبيرات الواردة في الفقرات

القانونيّة المخصَّصة للمبتدئات، حيث نجد –على سبيل المثال– هذه التعبيرات: "يُقترَح أُنموذجًا"، "اقتداء"، أو "تنطبع في نفسها". فهذه التعبيرات تأتي كلّها من منطلق دَلاليّ واحد. إنّها تعني: في كلّ مرّة، ولأيّة ممارسة حثيثة لفضيلةٍ ما، يتكوّن بداخلنا أنموذج نقتدي به ونتماثل معه أو نطابقه في كلّ شيء.

ففكرة التماثل إذَن تتضمّن كلّ ما يتحدّث عنه التقليد المسيحيّ حول اتِّباع المسيح والاقتداء به. فهذه الدعوة تقود تِباعًا وبانتظام إلى اختبار الاستعدادات الشعوريّة لذلك الذي هو مصدر تلك الاستعدادات، أي: يسوع نفسه. فهذه المشاعر هي ذاتها التي دُعيت ابنة القلب الأقدس إلى اختبارها حياتيًّا. إنّ التماثل يقتضي تشابُهًا خاصًّا، أو بالأحرى يستوجب استيعابًا يؤدّي بصاحبه إلى أن يُصبح شبيهًا بموضوع تأمُّله. يُذكِّرنا هذا الأمر بما أكّد عليه القدِّيس يوحنّا الإنجيليّ، ذلك التأكيد المتجذِّر في قلب الرجاء المسيحي: "أيّها الأحبّاء، نحن منذ الآن أبناء الله، وما أُظهِرَ بعدُ ما سنصير إليه. نحن نعلم أنّنا نُصبح عند ظهوره أشباهه؛ لأنّنا سنراه كما هو"[٣٥٢]. إنّ عمليّتَي التماثُل والاستيعاب اللتَين تقتفي القوانين آثارهما تستمدّان قوّتهما من رجائنا المسيحي ذاته.

أمّا كلمة اتِّحاد فإنّها حيث ترِد في القوانين تُشير إلى الاتِّحاد بمشاعر قلب يسوع. فالاتِّحاد يتّخذ من قلب المسيح موضوعًا مباشرًا له. ولا يُصار إلى الاتِّحاد الباطني بقلب يسوع إلاّ عبر ممارسة الفضائل. وإذا كان التماثُل يؤدّي إلى الاقتداء بالمسيح، أو بعبارة أدقّ إلى هذا التشابه الذي سوف يصل إلى الكمال في السماء، فإنّ الاتِّحاد من ناحيته يجعل المرء يصغي إلى حوار يسوع مع أبيه، كما جاء في إنجيل يوحنّا. إنّه حوارُ حبٍّ دُعِيَ إلى وليمته الرُسل أيضًا، ولكنّ يسوع في الوقت عينه لم يَدَعْ تلاميذه يدخلون في هذه العلاقة الحميمة معه إلاّ بعد مسيرةٍ طويلة واظبوا خلالها على اتِّباعه. هكذا هي الحال في قوانين الرهبانيّة أيضًا، فإنّ الجهد المبذول في التماثُل لا يبلغ كماله إلاّ في سرّ الاتِّحاد. فعمليّة التماثل للمسيح في الواقع لا يُضاهيها إلاّ مجمل علاقتنا الحيّة به؛ لأنّ فكرة التماثل تحمل في ذاتها فكرة التماهي. فالأمر إذَن يتعلّق بإعادة صياغة أنموذج التماثل بما لا يسمح إلاّ أن نكون واحدًا مع المسيح. حسَنًا، إنّ فكرة الاتِّحاد تحتوي في نفسها على فكرة حضور الواحد في الآخر، مع الاعتراف بـ "الاختلاف" الذي يجعل من العلاقة

---

[٣٥٢] ١ يوحنا ٣: ٢.

الحواريّة أمرًا ممكنًا. فرؤية الله كما هو تعني كذلك الالتقاء به "وجهًا لوجه"[٣٥٣]. فالاختلاف هنا يضع أسُس الوحدة. إنّ قلب يسوع يُرينا ما في أعماق قلوبنا من خلال اتّحاده بنا.

عندما تتحدّث القوانين عن التماثُل نلاحظ أنّ رمزيّة الأُنموذج هي المُهَيمِنة. لذلك فإنّ المبتدئة تسعى بممارستها الفضائل إلى أن ترسم بداخلها ملامح المسيح الذي يقدِّم لها ذاته نموذجًا. أمّا عند الحديث عن الاتّحاد يُصار إلى إبراز رمزيّة المركز. ذلك المركز الذي ينبثق منه كلّ شيء، والذي يتّحد فيه الوجود بأكمله ليتركّز فيه ثمّ يعود فيتّسع وتترامَى أطرافُه من جديد. في الحقيقة، إنّ الصورة التي يُعاد تشكيلُها هكذا تكتسب في لمح البَصر أبعادًا تجعلها تتماهى. فالراهبة التي تتماثل حقًّا مع قلب يسوع هي فقط مَن تجد فيه دليلَها الباطني الحقيقي. إنّ التعبير الذي كرّسته القوانين، والذي يدعو إلى اتّخاذ قلب المسيح مركزًا ونموذجًا يُلخِّص مضمون الوجهَين الجوهريَّين والمكمِّلَين في الوقت عينه لروحانيّة الرهبانيّة. فعندما تنظر ابنة القلب الأقدس إلى قلب يسوع بوصفه ذلك "المركز"، وعندما تكتشف باطنيّتها عبرَ سرّ المعاهدة التي يضع فيها التبادل المشترَك الأُسس العميقة للاتّحاد، آنذاك تكون قد بلغت من خلال قلب المسيح ذلك الموضع السرّي في أعماق ذاتها، حيث ينبثق وجودها الجديد وحياتها الدائمة.

يجب على ابنة القلب الأقدس أن تحذَر كلّ أمرٍ باطنيّ مِن شأنه أن يُعيقَ فعل النعمة. ويجب أن تشغل هذه الضرورة كلّ حيِّز في كيانها: الـ أنا في علاقته الحميمة مع ذاته، والجماعة بوصفها المُعطَى الأساس لعلاقتها بالمسيح، وأخيرًا العلاقة التي تصبح ممكنة مع العالم بانطلاقها من داخل الجماعة. لا يستطيع أن يتّحد حقًّا بقلب يسوع إلاّ مَن يحاول توطين نفسهِ على الخشوع، مبتعدًا عن ملذّات الروح والقلب. ويجب أن تلقَى هذه الحاجة المُلحّة المتمثِّلة بالخشوع الروحي رعاية الجماعة. إنّها إذَن تقتضي نوعًا خاصًّا من الحياة، وتحتاج بالنتيجة إلى قواعد الصمت. وأخيرًا، فإنّ الجماعة التي تتّحد بالمسيح منطلقةً على الدوام من هذا المركز تُحدِّد لابنة القلب الأقدس علاقتها بالعالم. ويستدعي هذا المنطق الروحي تطبيق نظام الترخيص بشأن العلاقات مع الأشخاص غير المنتمين إلى الرهبانيّة، سواء على صعيد تجاذُب أطراف الحديث وجهًا لوجه أو عبرَ المراسلة.

---

[٣٥٣] ١ قورنثة ١٣: ١٢.

تفرض هذه الفقرات من القانون عددًا معيّنًا من واجبات التزهُّد التي تقتضي بدَورها حالةً من نكران الذات لتأمين توفُّر شروط ذلك الحضور وتلك الحياة الباطنيّة، وهما ينبثقان أخيرًا من مجّانية هبة الله ثمّ من تلقائيّة القلب. ليست الحياة الباطنيّة المسيحيّة حالة مزاجيّة، إنّما على العكس من ذلك تُلزِم الشخص بكلّيّته على الصعيد الوجداني، وتؤهّل في الوقت ذاته كيانه الاجتماعي ووجوده الفردي. وهذه هي الواقعيّة التي تختبرها القوانين. فالراهبة التي تجد في جماعتها ذلك الفنار الروحي الذي يمنحها ميزةً خاصّة في تعاملها مع العالم، تستطيع أن تصل في صميم ذاتها إلى هذا المركز الذي يمكّنها من التوغُّل في قلب يسوع.

تتجذَّر محبّة ابنة القلب الأقدس في قلب المسيح، لذا فإنّها قادرةٌ ليس فقط أن تحبّه، ولكن أن تُحِبَّ فيه ومِن خلاله. لا يتعلّق الأمر فقط باستحضارها ملامح المسيح في كلّ ما تقوم به من أعمال يومِها، بل لكي تكون موثقةً باطنيًّا بالمسيح فإنّها تَضفِر حياتها كلَّها إكليلاً من الزهور فيه وله.

يتحقَّق الاتِّحاد بقلب يسوع في مجانيّة الحبّ التي لا سبيل إلى الشكّ بها؛ لأنّ ابنة القلب الأقدس عندما تكتشف في قلب يسوع حقيقة وجودها، وتبلغ ذلك الموضع الذي تتدفّق منه تلقائيًّا كلّ هبة تغدو متّحدةً تمامًا به، وتشعر بقوّةٍ فريدة تُثبِّتُها في المسيح وأمام المسيح في الوقت ذاته. ليس الأمر مواجهةً تُوحي بالتضادّ، إنّما هو بالأحرَى ذلك التبادل المستمرّ، الذي يجعلها تطَّلع على أعماق ذاتها فيؤهّلها بعدئذ للدخول إلى أعماق الله. تتحدّث قوانين الرهبانيّة عن هذا الأمر في نطاق الاتِّحاد "القلب" بقلب يسوع. فالاتِّحاد بقلب يسوع والحياة الباطنيّة ليسا إلا حقيقة واحدة ثابتة ودائمة في روحانيّة الرهبانيّة.

لا تجد القوانين تعبيرًا ملائمًا من شأنه أن يُفصح عن معنى هذا الاتِّحاد بقلب يسوع أفضل من المعاني الرمزيّة الكتابيّة المعبِّرة عن الاتِّحاد الزوجيّ. فوجود رمز هذا السرّ القِرانيّ في قانون الرهبانيّة بأكمله هو أمرٌ ذو دلالة معيّنة: إنّه يبيِّن عدم إمكانيّة الفصل بين التماثُل والاتِّحاد؛ فهو يمنح شفافيّة تامّة للبُعد الباطني الخاصّ بروحانيّة الرهبانيّة، محذِّرًا إيّاها في الكتاب المقدَّس وفي سرّ الكنيسة على حدٍّ سَواء. ففي

صميم كلّ محاولةٍ جاهدة للتماثُل هناك سرُّ ميثاقٍ خاصّ. إنّ ابنة القلب الأقدس تختار المسيح عروسًا لها، ولا تبتغي بعدئذ محبّةَ أحدٍ أو شيء –على الإطلاق– إلا في المسيح.

يجدر بنا أن نذكر ما أكّد عليه سفر التكوين بقوله صبيحةَ خلقِ الإنسان: "فيصيران جسدًا واحدًا"[٣٥٤]، فضلاً عمّا ردّده كبار الأنبياء شأنَ إشعيا ولا سيّما هوشَع، احتفاءً بالمعاهدة التي أبرَمها يهوه مع شعبه، مستعملين ألفاظًا تعبِّر عن الخطوبة: "وآتي بها إلى البريّة وأخاطب قلبها...؛ وأخطبكِ لي للأبد، أخطبكِ بالبِرِّ والحقّ والرأفة والمراحِم، وأخطبكِ لي بالأمانة فتعرفين الربّ"[٣٥٥]. وعلينا كذلك أن نتأمّل سفر نشيد الأناشيد حيث يُعبِّر الله عن آيات حبّه وحنانه، متّخذًا من مشاعر ونبضات القلب البشري مشاعرَ وأحاسيسَ له هو[٣٥٦]. ولا يفوتنا أن نُصغي على وجه الخصوص إلى القدّيس بولس كاشفًا عن السرّ العظيم الذي ظلّ مكتومًا منذ إنشاء العالم، والذي أُظهر الآن للناس، وهو القِران بين المسيح وكنيسته، حتّى أنّه جاد بنفسه من أجلها ورغبَ أن يرفّها إلى نفسه "كنيسةً سَنية، لا دنسَ فيها ولا تغضُّنَ ولا ما أشبهَ ذلك، بل مقدَّسةً بلا عَيب"[٣٥٧].

إنّ هذا السرّ –سرّ المعاهدة والقِران– يخصّ الكنيسة في المقام الأوّل، أي الشعب الذي اقتناه المسيح بدمه. ولأنّه يعني الكنيسة على وجه الدِقَّة، فهو يُشير إلى شيء هامٍّ يتعلّق بالمعاهدة التي يبرمها المسيح مع كلّ إنسان مسيحيّ، فضلاً عن علاقته بطبيعة الحياة المسيحيّة ذاتها. إنّ الكنيسة هي جسد المسيح وعروسه في آنٍ واحد: أمّا كونها جسد المسيح فيجعل منها كُلاًّ متّحدًا بذلك الذي هو رأس هذا الجسد، وهو المسيح. وأمّا كونها عروس المسيح فيصيِّرها الوجه الذي يتّخذه المسيح للدخول في علاقة معاهدة مع الإنسانيّة. هناك إذَن رمز مزدوج للتعبير عن السرّ نفسِه، وكِلا الرمزَين جوهريّ للتعبير عن العلاقة الفريدة التي يُقيمها المسيح مع الكنيسة. يعبِّر الرمز الأوّل عن هويّة جوهريّة بطبيعتها، أمّا الرمز الثاني فيعبِّر عن الفرق الذي يجعل من هذه الهويّة سرَّ اتِّحاد، أي علاقة أخذٍ وعطاء وحبّ: "يصيران

---

[٣٥٤] تكوين ٢: ٢٤.

[٣٥٥] هوشع ٢: ١٦، ٢: ٢١–٢٢.

[٣٥٦] نشيد الاناشيد، بتصرُّف.

[٣٥٧] أفسس ٥: ٢٧.

جسدًا واحدًا" كما نقرأ في سفر التكوين. علاقة الأُلفة الحميمة هذه، التي توجد في الاختلاف المُنشئ للحبّ الزوجي يحقّقها المسيح ويصل بها إلى كمالها عبر المعاهدة الدائمة التي وثّق أواصرها مع كنيسته: فكلاهما واحدٌ في هبة الذات المتبادَلة التي توحّدهما معًا.

هذه الرمزيّة الثنائيّة تنعكس انعكاسًا جليًّا في قانون وفي روحانيّة رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس. كيف يُمكن ألا يكون الأمر هكذا لروحانيّةٍ تتأصّل في سرّ الكنيسة، وتجد عمقَ حقيقتها في قلب المسيح؟ إنّ ما يجمع عناصر هذه الروحانيّة هو: الاتّحاد والتماثُل مع مشاعر واستعدادات قلب المسيح. فابنة القلب الأقدس بتماثُلها مع مشاعر قلب يسوع تتماهى معه، أي أنّها تجد فيه هويّتها، وتتعرّف على نفسها من خلاله، بالطريقة ذاتِها التي توحّد الكنيسة بالمسيح، هذه الكنيسة التي ما هي إلا جسده السرّي. كما أنّ ابنة القلب الأقدس باتّحادها بقلب المسيح ليكون فيه مركز وجودها تدخل في هذا السرّ، سرّ المعاهدة الذي يجعل المسيح فيه من الكنيسة عروسَه. فالتماثُل والاتّحاد يكوّنان المحورَين الجوهريَّين لروحانيّة الرهبانيّة. إنّهما يكتسبان من الكاريزما الرمزَين الكبيرَين اللذَين يُعبَّر بوساطتهما عن اتّحاد الله مع البشريّة في المسيح. إذا كان التماثل مع استعدادات قلب يسوع يتأصّل في اتّحاد مُعاش معه، فلا يُمكن أن يُسمّى اتّحادًا حقيقيًّا إلاّ ذلك الاتّحاد الذي يتوثّق يومًا بعد يوم بتماثله مع كيان المحبوب. لذلك فإنّ التعبير الذي تكرّسه القوانين هو: الاتّحاد عبرَ التماثُل.

يتحقّق البُعد الصوفيّ المحض لروحانيّة الرهبانيّة أي اتّحاد القلوب الذي هو سرٌّ قِرانيّ من خلال ممارسة الفضائل العزيزة على قلب يسوع، وهو لا يحدث إلاّ بالتماثُل مع مشاعر قلبه الأقدس. وهذه الممارسة للفضائل هي من ناحية أخرى نابعة من الحبّ.

لا يُعاني هذا البُعد المزدوج لروحانيّة الرهبانيّة انفصالاً بين مُكوِّنَيه، فهو يشكّل كلاًّ واحدًا غير قابل للانفصام. ليس هناك فقط كيان شبيه بالمسيح، ولكن يوجد أيضًا كيان أمام المسيح وفي المسيح. بكلمة أخرى: وجود هذا البُعد للحياة الروحيّة مع ذلك البُعد الذي يقتضي الرضَى المتبادَل الذي يحقّق اتّحاد قلب المؤمن بقلب يسوع. فالتبادل إذَن يكون موجودًا حيث تفيض حريّة الخلق أو القدرة على الإبداع الروحي، عندئذٍ لا يبقى إلاّ شريعة الروح. فابنة القلب الأقدس لا ترى بَعدُ سبب وجودها إلاّ من

خلال حبِّها: أخذًا وعطاءً. إنّها تستطيع أن تتبنّى نشيد القدّيس يوحنّا الصليب: "ليسَ لي بَعْدُ إلاّ الحبّ"؛ فكلّ ما فيها مستيقظٌ، بحثًا عن راحتها في قلب المسيح وحده. هكذا تغدو روحانيّة الرهبانيّة صوفيّة بأجمل ما في الكلمة من معنى. ولكن، مع هذا كلّه، مَن لا يُمكنه أن يرى المخاطر المحتملَة في حال تفضيل هذا البُعد الباطني بالتحديد (أي البعد الصوفي) على حساب بذلِ الجهد في سبيل التماثُل الفعليّ مع قلب يسوع؟ إنّ الحبّ الحقيقي يُختبَر من خلال الأفعال أكثر ممّا يُختبَر من خلال الأقوال. إنّه يحتاج إلى أن يتجسَّد لكي يستجمع قواهُ ويواصل نموَّه. فَبِسَبب طبيعته ذاتها يجب عليه أن يسلك طريق الممارسة اليوميّة للفضائل التي تجعله يتماثَل مع محبوبه.

اتِّحادٌ وتماثُل، اتِّحادٌ عبرَ التماثُل: هذان هما المحوران الكبيران اللذان يرسمان ملامح رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس.

٥. قلب واحد ونفس واحدة في المسيح

يجب أن يؤدّي الاتِّحاد بقلب يسوع إلى الاتِّحاد بين أعضاء رهبانيّة القلب الأقدس جميعًا. فهذا هو العمق اللاهوتي لحياة الرهبانيّة. إنّ الدعوة المعاشة في الرهبانيّة لا تكمن فقط في السعي الشخصي نحو الكمال، ولا تُستنفَد في مشروع العمل الرسولي الذي يعضد الجماعة. إنّها (الدعوة) تجد غذاءَها في حياة الجسد الكُلّي للرهبانيّة.

يُشكِّل اتِّحاد الأرواح والقلوب النقطة المركزيّة التي تتمحور فيها وتدور حولها قوانين الرهبانيّة؛ لأنّ اتِّحاد القلوب –المشار إليه– يجد في قلب يسوع ينبوعه الأوّل والأخير.

إنّ قانون الرهبانيّة هو –بادئ ذي بَدء– في خدمة شريعة المحبّة التي يَسِمُ الله بها القلوبَ. والتمسُّك به ليس له سوى غاية واحدة: أن يصبح كلّ أعضاء الرهبانيّة جسدًا واحدًا في شركة حياة. فالقوانين تعي جيّدًا أنّها تصل إلى النفس، وهذه هي الحقيقة التي تجعل منها عملاً إلهيًّا، لا مشروعًا بشريًّا.

بما أنّ هذه القوانين هي صنيع إلهيّ –كما تقدّم– فإنّنا لا نستطيع أن نَصِفَها بكلمات بشريّة، ولا يمكننا التوصّل إليها إلاّ بشكل غير مباشر، أي عبرَ ما تنتجُه من ثِمار. هذه هي الطريق التي تلتزم بها

القوانين. إنّ تأثيرها يظهر شيئًا فشيئًا على الحياة الشخصيّة لكلّ أخت في الرهبانيّة، كما يظهر على القريب (أي: الآخرين)، وأخيرًا على الله نفسه. إنّها تُرسِّخ فينا القيم الصحيحة، فضلاً عن أهمّية الاتِّحاد وديمومته.

لهذه القوانين خصوبتها التي تُثري كلّ عضو في الرهبانيّة، فالحياة الروحيّة تجد في الجماعة سندًا وعونًا لها، وليست الوحدة الأخويّة التي يوجدها الله بين أعضاء الرهبانيّة جميعًا إلاّ إحدى علاماتها الأكثر وضوحًا. وعندما تستطيع كلّ أخت أن ترى في أخواتها أفضل ما فيهنّ مهما اختلفت طباعُهنّ والتزاماتهنّ، فإنّ هذا لا يُنشئ فقط اتِّحادًا يترسّخ على مَرّ الزمن، بل إنّه يُثبِّت كذلك الأخوات، ويعزِّز من أمانتهنّ الشخصيّة. إنّ كلمات الإنجيل تكاد تتحقّق تلقائيًّا في الحياة، فلا حاجة بعدئذٍ للبحث عن معانيها. إنّها هناك، تكمن في الاحترام والفرح المتبادَلَين؛ لأنّ كلّ أختٍ حتّى في علاقتها الشخصيّة جدًّا مع الله تكتشف أنّ لها في أُسرتها الرهبانيّة سَندًا، فتُردِّد مع المزمِّر: "ما أجمل أن يعيش الإخوة معًا"[٣٥٨].

للروح نَهجُه الذي تنبعث منه حيويّة خاصّة تتعلّق بنوعيّة الحياة الأخويّة. فالرهبانيّة لم تنشأ من أشخاص وُضِعوا عمدًا أحدهم أمام الآخر أو إلى جانبه. إنّها تؤلِّف وحدةً متكاملة حيّة، ومن هذه الجماعة المتَّحِدة تستمدّ كلّ أختٍ قوّتها. من المعروف أنّ الاتِّحاد يمنح أجنحةً للتحليق، أمّا الانقسام فإنّه بلا شكّ يبتر الأجنحة ويقضي على الانطلاقة.

للاتِّحاد ثراؤه الرسولي أيضًا؛ فشهادة ابنة القلب الأقدس لا تتأتّى فقط من شخصها هي، إنّما لهذه الشهادة صفةٌ جماعيّة. أن يتمكّن أشخاص في سِنّ مختلفة (أي: في مراحل عمريّة مختلفة) من العيش على مدى طويل متّحدين، تربط بينهم المودّة الحقيقيّة على الرغم من عدد من الصِدامات التي لابدّ منها، فهو بحدِّ ذاته أمر يتحدّى كلّ قوانين علم النفس البشري. إنّ هذا الواقع يشهد لنفسه بنفسه، ويضعنا

[٣٥٨] مزمور ١٣٣: ١.

أمام حقيقة من حقائق الروح القدس، فإنّه بفضل مرجعيّته إلى الله يبني الأنفُس ويحملها على التسبيح. إنّه تجَلٍّ لله على الأرض، تجلٍّ لمجد حبّه.

هناك مَن يرى أنّ هذا الاتِّحاد يمارس قوّة جاذبيّته على الشابّات بشكل خاصّ. حسَنًا، فالجماعة بفضل نوعيّة الروابط الموجودة بين أفرادها، وبفضل انفتاحها على الجماعة الرهبانيّة بأسرها على صعيد العالم فإنّها تجسّد "المثال" الذي يشكّل قلب مشروعها التربوي ومركزه. وهي لا تقومُ بَعدُ بتلقين مبادئ مجرَّدة، بل تضع نفسها والآخرين في حضرة المسيح وتنقل إليهم ما تعيشه.

إنّ هذا النوع من اتِّحاد الأرواح والقلوب لا يمكنه ممارسة قوّة الإقناع هذه –سواء على الصعيد الداخلي للرهبانيّة أو على الصعيد الخارجي– إلاّ إذا كان ينطوي على سرٍّ يتخطّى حدود الطاقات البشريّة. وهذا السرّ هو: سرّ الثالوث الأقدَس. ففي الله ومن خلال تأثير اتِّحاد أقانيمه يُمكن أن تُحدَسَ الأعماق الحقيقيّة. إنّ الله يجد في اتِّحاد الثالوث رضاه، ويلقى فيه سرورَه. إنّه يعرف نفسه، أو يتعرّف عليها من خلال حياته الثالوثيّة. ففي أعماق الاتِّحاد الأخويّ تنعكس –كما في مرآة– حقيقة السماء. إنّ اتِّحاد الأرواح والقلوب ما هو إلاّ تلك الأُلفة الحميمة للآب وللابن وللروح القدس في هذا الرباط الذي يوثِّقه كلّ أقنوم من الأقانيم مع كلّ ابنة من بنات القلب الأقدس جاعلاً من الأعضاء جميعًا جسدًا واحدًا. الله الثالوث الذي كانت القوانين تراه يعمل في تاريخ الكنيسة عبر القرون، تراه منذ اليوم فصاعدًا يعمل في حياة الرهبانيّة ذاتها. إنّ الجمعيّة الرهبانيّة بأسرها تستمدّ حياتها من هذا السرّ، في اتِّحادٍ يُحيل الأعضاء إلى أُسرة واحدة حيث تبلغ المحبّة الأخويّة عمق الأُلفة الإلهيّة. هذه المحبّة إذَن هي صنيع إلهيّ، وبناء على ذلك فإنّ قوّتها مُقْنِعَة. هذا الحبّ الذي يُستَلَم ويُقتَسَم إنّما هو فرح الله ونوره.

غالبًا ما تُنطَق كلمة "حُبّ" بمعنى هزيل؛ فالحبّ عندما يتمّ إبعاده عن منبعه سرعان ما يُصبح مُبهَمًا وضبابيًّا على الرغم من قوّة جاذبيّته. إنّ المرء يُحِبُّ كما يُحَبّ؛ فالحبّ الذي يُمنَح يجد ينبوعه دائمًا في الحبِّ الذيُ يُستَلَم. الحبّ الحقيقيّ قبل أن يغدوَ نبضًا للقلب يكون حضورًا وتجَلِّيًا لِمُحَيّا: مُحَيّا شخص آخر، ثمّ مُحَيّا الله. ومن هنا تأتي شفّافيّته ويأتي عمقه. وقد أدركت قوانين الرهبانيّة هذه الحقيقة، فما كان منها لكي تعبِّر عن اتِّحاد القلوب إلاّ أن فتحت نافذةً على أساليبنا المبالَغ بإنسانيّتها في رؤية

الأمور، لتضعنا وجهًا لوجه أمام سرّ الثالوث، فتكشف عن طبيعة هذا الاتِّحاد على الرغم من ثِقَل النفس البشريّة الذي لا مَناص منه. وبما أنّ هذا الاتِّحاد هو هبة من الله، فهو كذلك مشاركة في الأُلفة الإلهيّة، حيث يعود إلى الشركة التي توحّد منذ الأزل الآب والابن في الروح القدس.

كانت مريم هي أوّل مَن تلقّى مبادرة نعمة الله؛ ففي أحشائها اتَّخذ الحبّ الثالوثيّ وجهًا بشريًّا فتجسّد لحمًا ودمًا. إنّ مَن ولدت الله للعالم تلدُنا نحن أيضًا لحياتنا يومًا بعد يوم. فأُمّ الله هي أُمّ رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس. الله في سرّه الثالوثيّ يبدو بمعنى ما كبيرًا جدًّا وبعيدًا جدًّا عن أن يَدَع نفسَه لتحتويه الحدود البشريّة للرهبانيّة، غير أنّ مريم العذراء تعلّمنا كيف نعرفه، عبرَ الشركة التي تؤسِّسُ لها بصبرٍ بين أعضاء الرهبانيّة. ففي مريم العذراء يغدو "الله – الثالوث" أقربَ ما يكون إلينا.

فإلى هذا الاتِّحاد الذي هو ثمرة النعمة تستند كلّ آمال هذه الرهبانيّة الصغيرة، وبفضل هذا الاتِّحاد سوف تتعزّز وتتّسع شيئًا فشيئًا تمجيدًا لقلب يسوع الأقدس، وسعيًا لخلاص الأنفُس.

إن أراد الحبُّ أن يدوم فلابُدّ له من الإفصاح عن ذاته: إنّه حياةٌ. والأمر لا يختلف حتّى في حال الحديث عن أُسرة رهبانيّة. إنّ الاتِّحاد بقلب يسوع يؤسِّس الرهبانيّة ويبني صرحَها. ففي الحبّ الذي تكنُّه جميع بنات الرهبانيّة لقلب يسوع الإلهي، وفي وفائهنّ لتمجيده وتكريمه والتأمُّل به ومعرفته، وفي الاتِّحاد على قدر إمكانهنّ بمشاعر قلب مريم الطاهر، يستطعنَ التجاوب مع كاريزما دعوتهنّ، ويتعمّقنَ في روحانيّة رهبانيّتهنّ التي أرادها المؤسِّس. تختصر القوانين جميع أبعاد كاريزما الرهبانيّة في البُعد الذي هو بمثابة المصدر أو الينبوع: الاتِّحاد الناتج عن التماثُل مع قلب يسوع الأقدس. ذكرنا أعلاه أنّ الاتِّحاد بقلب يسوع يؤسِّس الرهبانيّة، فهو الذي يربط في آخر المطاف كلّ صفحات القوانين إحداها إلى الأخرى، ويجعل منها كتابًا للحياة.

الوحدة الأخويّة هي اتِّحاد بقلب يسوع. إنّها تُلزم المرء بامتثال متزايد لمشاعر مَن قال عن نفسه إنّه وديعٌ ومتواضع القلب، ذاك الذي منحَنا "الوصيّة الجديدة". والرهبانيّة في امتثالها لقلب يسوع تجعل من جواب الكنيسة إلى ربِّها جوابًا نهائيًّا لها هي أيضًا. وهي بهذا تتبنّى الوصيّة التي كان بولس الرسول يوصي

بها الجماعات المسيحيّة الأولى عندما كان يدعوها إلى العَيش في وِفاق مشترك: "فليكن فيما بينكم الشعور الذي هو أيضًا في المسيح يسوع"[٣٥٩].

هكذا تحدِّد القوانين كاريزما الرهبانيّة تحديدًا دقيقًا. ولكن، قد تكون هذه النقطة هي الحاسمة: إنّ هذه الكاريزما ليست على الإطلاق مُعطَى، إنّما هي عطيّة، وهذه العطيّة هي أوّلاً وقبل كلّ شيء هبة ممنوحة إلى المسيح، إنّها استجابة الآب إلى صلاة الابن. إنّ رهبانيّة القلب الأقدس تتموضع في العلاقة الأبديّة التي توحِّد المسيح بأبيه. فذلك هو المكان الذي تتشكّل فيه وتتماهى. ألم يقُل المسيح: "ياأبَتِ... إنّني أُصلّي... ليكونوا بأجمعهم واحدًا، كما إنّك فِيَّ، يا أبَتِ، وأنا فيكَ، فليكونوا هم أيضًا فينا، ... ليكونوا واحدًا كما نحن واحد، أنا فيهم وأنت فِيَّ ليبلغوا كمال الوحدة"[٣٦٠].

ليست الرهبانيّة إذَن إلا ثمرة استجابة صلاة يسوع. إنّها وليدةُ صلاتِهِ، وهي تدينُ له بوجودها. أمّا هذه الصلاة فهي صلاة يسوع في العشاء الأخير، لحظةَ بذلِهِ نفسَه وعودته إلى الآب. وهي أيضًا شفاعتُه الأبديّة لخاصّته عند أبيه في السماء. ترى القوانين أنّ كلّ شيء يرجع إلى هذه الصلاة، ولا سيّما ما يتعلّق بسرِّ الوحدة: "ليكونوا واحدًا كما نحن واحد". ففي هذه الكلمات يكمن كلّ عمق صلاة المسيح، إنّها تُدخلنا فيها وتوحِّدنا. وهكذا فهي تتجلّى بتجدُّد دائم: نعمة خالصة، هبة الآب إلى ابنه في الروح القدس. إنّ فَناءَنا في الوحدة هو فناؤنا في الله، آنذاك تبلغ الأرضُ السماءَ.

تتّخذ رهبانيّة القلب الأقدس من القول الآتي شعارًا لها: "قلب واحد ونفس واحدة في قلب يسوع". إنّه مستوحى من سفر أعمال الرسل، ومن وصفه للجماعة المسيحيّة الأولى: "وكان جماعة الذين آمنوا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة، لا يقول أحد منهم إنّه يملك شيئًا من أمواله، بل كان كلّ شيء مشتركًا بينهم. وكان الرُسل يؤدّون الشهادة بقيامة الربّ يسوع تَصحبها قوّة عظيمة، وعليهم جميعًا نعمة وافرة"[٣٦١]. هذه هي الصورة التي تحتفظ بها الكنيسة لنفسها عبرَ العصور خميرةَ ربيعٍ دائمة. فيها ترى

---

[٣٥٩] فيلبي ٢: ٥.

[٣٦٠] يوحنا ١٧: ٢١-٢٣.

[٣٦١] اعمال الرسل ٤: ٣٢-٣٣.

الرهبانيّة وجهها الحقيقيّ، وفيها تؤدِّي شهادةَ دعوتِها. إنّما في قلب المسيح تنال الرهبانيّة نعمة الكنيسة الأولى، وتسعى لتجعل منها شهادتها الحيّة لكنيسة عصرنا هذا.

الباب الثالث

إشارات تاريخيّة

الفصل الأوّل

من التأسيس حتّى عام ١٩٥٧

كما يحدث عادةً في الشرق المسيحيّ كلِّه، تغدو الوثائق يومًا بعد يوم أكثرَ نُدرةً ونَفاسة. فعلى مَرِّ العصور وحتّى أيّامنا هذه نجد أنّ الحالة السياسيّة – الدينيّة لمختلف البلاد المعرَّضة لاضطهادات متنوّعة لم تُبقِ إلاّ على عدد قليل أو لا شيء من الوثائق النصيّة التي تُدوّن التاريخ. وقد حدث الشيء ذاتُه في أبرشيّة العماديّة للكلدان في كردستان العراق، تلك المنطقة التي كانت مسرحًا لاضطرابات متتابعة ودمارٍ مستمرّ. فخلال ثورة الأكراد ضدّ الحكومة العراقيّة تمّ إحراق المطرانيّة ممّا أدّى إلى احتراق ارشيف الأبرشيّة، وكان ذلك في أحداث أيلول ١٩٦١.

ولكي نُعيد اليوم تدوين تاريخ رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس التابعة لأبرشيّة العماديّة لا نملك سوى اللجوء إلى شهادات أشخاص عاشوا الوقائع عن قُرب، وحفظوا ما تبقّى من الوثائق القليلة التي أُنقذت من الضياع. إلى جانب وثائق محفوظة لدى هيئات أو أفراد كانوا يحتفظون بها بشكل شخصي. ومن هؤلاء الأشخاص الذين تجدر الإشارة إليهم نخصُّ بالذِكر الأستاذ شمعون داود (من أبناء أرادن)، وهو ابنُ أخي مار فرنسيس داود أسقف أبرشيّة العماديّة، فهو يحتفظ بالمذكّرات الشخصيّة وبكميّة كبيرة من الرسائل التي تعود إلى سيادة الأُسقف الذي كان له دَور هامّ جدًّا في تأسيس ونشأة الرهبانيّة. وقد قام الأستاذ شمعون مشكورًا بتمكيني من تلك المذكّرات والرسائل خدمةً لهذا العمل الذي أقومُ بكتابته.

١. الخطوات الأولى:

استنادًا إلى طلبٍ من قِبل الآباء الدومنيكان العاملين في الموصل وفي كوردستان العراق جاءت راهبات التقدمة عام ١٨٧٥ لمساعدتهم في عملهم، ولا سيّما في مجال إرشاد وإعانة النساء والفتيات. كما أُسندت لهنّ مَهامّ التدريس في مدارس البنات حيث كُنَّ –إلى جانب تدريس مادّة التربية الدينيّة وتعليم القراءة والكتابة– يقدِّمنَ دروسًا في الخياطة والتطريز. وكُنَّ فضلاً عن ذلك يعتنينَ بثياب الآباء الدومنيكان

وتلاميذ المعهد الكهنوتي لمار يوحنّا الحبيب في الموصل وفي مار ياقو. وقد كان لهذا التعاون مردود إيجابي على كلٍّ مِن طالِبَي الكهنوت التابِعَين لأبرشيّة العماديّة: فرنسيس داود (أُسقف العماديّة لاحقًا)، وشابو ريِّس (الأب عبد الأحد ريِّس –فيما بعد– مؤسِّس رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس)[٣٦٢].

كانت المجموعة الأولى للفتيات اللواتي تلمَّسنَ في أنفسهنّ دعوة رهبانيّة تتألّف من: شموني يوخنّاقاشا هرمز (الأخت مريم)، راحيل شماشا ياقو (الأخت مرغنيثا)، وَدّي سولاقا (الأخت تيريزا)، ثمّ انضمّت إليهنّ سيِّدة أرملة تُدعى گوزَل نيسان (الأخت يوليطي). هذه المجموعة الرباعيّة شكّلت النواة الأولى للرهبانيّة التي أسّسها رسميًّا الأب عبد الأحد ريِّس بتشجيع ومباركة مار فرنسيس داود أُسقف الأبرشيّة، في ١٥ آب ١٩١١، بِاسم: بنات قلب يسوع الأقدس.

كان أوّل منزِلٍ اتّخذَته الجماعة الرهبانيّة الجديدة دَيرًا لها هو دار المطرانيّة القديمة، وكان يتألّف من قاعة وغرفة استقبال كبيرة. مكثت الراهبات هناك حتّى تمّ بناء الدير الجديد عام ١٩١١، وهو يتألّف من طابقَين، ويقع إلى الغرب من مدينة أرادن في موضع خلاّب تحيط به الأشجار وبساتين الفواكه، على مقربة من كنيسة القرية. كان الطابق الأوّل يضمّ المطبخ وغرفة الطعام والمخزن. أمّا الطابق الثاني فكان يحتوي على غرف النوم ومستلزمات السَكن الأخرى. وقد أعربَ أبناء القرية عن فرحهم وترحيبهم بهذه المؤسَّسة الرهبانيّة المحليّة الجديدة بمساهمتهم الفعّالة في تحقيق هذا المشروع الذي ائتمنتهم العناية الإلهيّة عليه؛ فقاموا بتمويل المشروع وبالمشاركة في عمليّة بناء الدير الذي كان لسنين عديدة الدير الأُمّ للرهبانيّة.

تشكّلت الرهبانيّة شيئًا فشيئًا وأخذت تنمو في الأبرشيّة، فقد انضمّت إليها في ٣ حزيران ١٩١٣ فتاتانِ أُخرَيان: دالّي إيشو سوسو (ابنة أخت الأب عبد الأحد مؤسِّس الرهبانيّة)، وشموني باتّو موشي اللتان أبرزَتا نذورهنّ مع الأخوات الأُولَيات في ٧ تشرين الثاني ١٩١٤ مُتَّخذتان لهما اسمَي: الأخت كاترينا، والأخت سلطان مهدوخت. أمّا الأُولَيات فأصبحت أسماؤهنّ في الرهبانيّة: الأخت مريم (وقد رُشِّحت رئيسة عامّة أولى للرهبانيّة) والأخت مرغنيثا والأخت يوليطي، والأخت تيريزا. في ١١

[٣٦٢] انظر الباب الثاني، الفصل الأوّل.

نيسان ١٩١٥ تقدّمت أربع فتيات أُخرَيات لإثراء أُسرة قلب يسوع الأقدس، وهنّ: ميلّي كيواركيس، ميلّي بَتّو، ميلّي يوسف، وراحيل يوخنّا قاشا هرمز (شقيقة الأخت مريم).

في ٦ شباط ١٩١٦ توفِّي الأب المؤسِّس إثرَ إصابته بحُمّى التيفوئيد، وكانت الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤– ١٩١٨) في أوجِ استعارِها. سبّبت أحداث الحرب المؤلمة شدائد كبرى للرهبانيّة التي ما فتئت تُعاني بعد وفاة المؤسِّس المبكِّرة، والتي أعقبها الإقصاء القَسريّ للأُسقف خارج الأبرشيّة لمدّة دامت أربع سنوات، هذه الأمور كلُّها، فضلاً عن الحرب الدائرة رحاها، هزّت الرهبانيّة الفَتِيَّة، وأوقعت الراهبات في كُربة وقلق شديدَين. فما كان من الأقارب وأبناء الأبرشيّة –ولا سيّما أبناء قرية أرادن/ مقرّ الرهبانيّة– إلاّ أن سابقَ بعضُهم بعضًا في مدِّ يد العون للراهبات مقدِّمين لهنّ الضروريّ من مَتاع المأكَل والملبس؛ ليستطعنَ مواصلة حياتهنّ الرهبانيّة وينصرفنَ لخدمة المحتاجين والفقراء، والعمل على توعية الناس بضرورة النظافة المنزليّة والمدنيّة، والتعاون على جمع وتوفير الموادّ الغذائيّة لأبناء المنطقة، متنقِّلات من منزل إلى منزل، وفي مقدِّمتهنّ الأمّ الرئيسة بنفسها؛ بُغيةَ تشجيع الأُسَر على المساهمة بكرَم في دعم المواطنين المعوِزين والذين هم في محنة عسيرة.

في غياب الأُسقف الذي كان تحت الإقامة الجبريّة في الموصل أُوكِلت إدارة الأبرشيّة إلى الخورسقف متّي يوسف الهمزيكي[٣٦٣] حتّى عودة أسقفها عام ١٩١٨. وفي تلك المدّة تولّى المدير الجديد للأبرشيّة رعاية الراهبات، ولكن لوقت قصير، فقد أعقبه في أداء تلك المهمّة الأب توما شيلّي (من مانكيش)، ولكنّه توفِّي بعد شهر واحد فقط، فتمّ تعيين الأب بطرس نجّار (وهو راهب من أرادن) مرشدًا روحيًّا للرهبانيّة. في الوقت ذاته، فقدت الرهبانيّة إحدى راهباتها المؤسِّسات (الأخت مرغنيثا) التي توفِّيت

[٣٦٣] كان الأب متّي يوسف أوّل تلميذ قُبل في المعهد الكهنوتي لمار يوحنّا الحبيب للآباء الدومنيكان. وقد سيمَ كاهنًا عام ١٨٨٩.

إثر إصابتها بحمّى التيفوئيد[٣٦٤]. غير أنّ قلب يسوع كافأ رهبانيّته في ٢١ كانون الثاني ١٩١٨ بأُختَين جديدتَين: وَردي دنخا، ووارينا شَماشا هرمز عيسى اللتَين رُشِّحَتا لإبراز نذورهنّ في ٣٠ نيسان ١٩٢٢ برفقة الأخوات اللواتي دخلنَ عام ١٩١٥. ولم تُغيِّر الراهبات الجديدات أسماءهنَّ عند إبراز النذور، بل احتفظت كلٌّ منهنّ باسمها بلا تغيير.

كانت قرية أرادن هي مسقط رأس الأخوات جميعًا، ما عدا الأخت وارينا التي تنحدر من قرية إينشكي، وقد غادرت الرهبانيّة في تمّوز ١٩٢٩.

٢. الهجرة الأولى:

بعدما حطّت الحرب العالميّة الأولى أوزارها عام ١٩١٨ استمرّت أعمال الشغب في محافظة نينوى مدّة من الزمن إثر محاولات قام بها الجيش البريطاني لاحتلال مناطق: العماديّة، دهوك، زاخو، عقرة، وأجزاء أخرى من كوردستان العراق. فنظّم الأكراد المناهضون لأيّة سلطة أجنبيّة مقاومة ضارية لمواجهة القوّات الإنجليزيّة، وشنّوا في تمّوز ١٩١٩ هجومًا مسلَّحًا على الجيش البريطاني المعسكِر في ناحية بيباد، قُتِل فيه الحاكم الإنجليزي للعماديّة وعدد من معاونيه. وكما يحدث عادةً فقد ذهب ضحيّة هذه الاضطرابات وأعمال الشَغب عدد غير قليل من المسيحيِّين من أبناء القرى المجاورة، كما اضطُرَّ عدد آخر إلى الهرب صوب المناطق السهليّة لدهوك وألقوش، مُخلِّفين وراءهم منازلهم وحقولهم التي لم يعودوا إليها إلا بعد استتباب الأمن. غير أنّ الاستقرار لم يدُم طويلاً؛ لأنّ حاكم عقرة قُتل هو الآخر في شهر تشرين الثاني، وانقضَّ الأكراد على القوّات الإنجليزيّة المرابطة في العماديّة وبيباد، وكان على الجيش أن يضرب المتقهقرين المنسحبين إلى منطقة سوارَه تُوكَه؛ ففَرَّ عندئذ سكّان القرى المسيحيّة جميعًا تاركين كلّ شيء لينجوا بأنفسهم. ولم يكن لدى راهبات القلب الأقدس حلٌّ آخر فهاجرنَ بمرافقة أسقف الأبرشيّة والقساوسة، ليلتجئوا جميعًا إلى دير السيِّدة حافظة الزروع في ألقوش[٣٦٥].

---

[٣٦٤] استنادًا إلى شهادة الأخت مريم وشقيقتها الأخت راحيل، فإنّ الأخت مرغنيثا التي توفّيت قبل إبرازها النذور، قالت بنبرة متنبِّئة –وهي على فراش الموت تحيط بها أخواتها الراهبات– للأخت مريم رفيقتها ورئيستها: "لا تبكي أيّتها الأُمّ والأخت، فإنّ آلامًا كثيرة ما تزال تنتظرك في الحياة، وعليكِ التحلّي بالصبر شأنَ أيّوب البارّ. ولكنْ لا تخافي شيئًا".

[٣٦٥] يَذكر مار فرنسيس داود في مذكِّراته اليوميّة أنّه كان قد كتب رسالة وهو في الموصل إلى رئيس دير السيِّدة حافظة الزروع الذي استضاف الراهبات النازحات، مرسلاً إليه مبلغًا من النقود لتغطية نفقات الراهبات طيلة مدّة إقامتهنّ في دير السيِّدة.

بدأت الهجرة الجماعيّة في ١١ كانون الأوّل ١٩١٩ وموسم الشتاء في أوجِ اشتداده. سارت القافلة ثلاثة أيّام ما بين جبال ووديان تغطّيها الثلوج، تحت تقلُّبات الأنواء الجويَّة في ذلك الموسم القاسي ليصلوا أخيرًا إلى دهوك فألقوش.

بعد احتلال العماديّة وبرواري بالا، وتعيين حاكم كردي كان يُدعى حاجّ عبد اللطيف –وكان صديقًا للأُسقف– تشجّع كثير من الناس للعودة إلى قُراهم. وصلت أوّل مجموعة من المهاجرين العائدين إلى أرادن في أوائل شهر حزيران وكانت مؤلّفة من اثنتَي عشرة أُسرة بمرافقة الأب اسطيفان داود[٣٦٦] وثلاث راهبات، بناء على طلب الأسقف مار فرنسيس داود. أمّا الراهبات الأُخريات فقد بقينَ في دير السيِّدة حتّى أواخر عام ١٩٢٠، وهو تاريخ عودتهنّ مع سكّان القرى جميعًا.

غير أنّ الفوضى تواصلت على جبهتَين مختلفتَين: أمّا الجبهة الأولى فشهدت المصادمات بين العشائر الكرديّة والحكومة العراقيّة حديثة التشكيل، وأمّا الجبهة الثانية فشهدت المواجهات بين الجمهوريّة التركيّة الفتيَّة والعراق بسبب الخلاف حول مدينة الموصل التي كانت تدّعي حقّ إدارتها وتطالب بها كِلتا الحكومتَين.

في صيف عام ١٩٢١ قام الزائر الرسولي مونسنيور أدريانو سيمنس بزيارة الأبرشيّة بدعوة من الأسقف مار فرنسيس داود. وبفضل هذه الزيارة استطاع الزائر الرسولي أن يتأكّد بنفسه من حقيقة الأوضاع غير المستقرّة في المنطقة، بما في ذلك المشاكل السياسيّة والعسكريّة، وحالة البؤس التي يعيشها المؤمنون الكلدان الذين يقطنون قرى الأبرشيّة. فقرّر الاثنان باتِّفاق مشترك إرسال الراهبات (بنات قلب يسوع الأقدس) إلى الموصل في ضيافة الراهبات الدومنيكيّات ليتابعنَ دراستهنّ ويتعلّمنَ فنون الخياطة والتطريز، وحِرَف أخرى مفيدة تُمكِّنهنّ من مواجهة المعضلات الماديّة الكبيرة وتجعلهنّ أكثر استعدادًا

[٣٦٦] الأب اسطيفان هو ابن أخي الأسقف مار فرنسيس داود، وشقيق كلٍّ مِن الأخت مريم (الرئيسة العامّة آنذاك) والأخت راحيل. كان تلميذًا في المعهد الكهنوتي لمار يوحنّا الحبيب في الموصل. سيمَ كاهنًا بتاريخ ٣٠ أيلول ١٩١٧، وقدّم خدماته للأبرشيّة في زمن صعب. مُنح درجة خورسقف. وكانت وفاته في بغداد عام ١٩٧٥ بعيدًا عن أبرشيّته؛ لأنّه كان قد أُجليَ مع مواطنيه في أعقاب حرب الأكراد عام ١٩٦١.

للنهوض بالرسالة التي تنتظرهنّ في الأبرشيّة، مترقّباتٍ حلَّ مشكلة الحدود بين العراق وتركيا. وهكذا فقد أُرسلت الراهبات إلى الموصل في أواخر ربيع ١٩٢٢ بعد أن تمّ بيعُ ممتلكاتهنّ من مَواشٍ وحبوب. نزحت الراهبات جميعهنّ باستثناء الأخت يوليطي والأخت كاترينا ووالدتها المُسنّة التي كانت قد أوقفت كلّ ممتلكاتها للرهبانيّة ولبثت تعيش مع الراهبات إلى جانب ابنتها الوحيدة الأخت كاترينا. أمّا مبنى الدير فقد تمّ تأجيره لعدد من الأشهُر لتشغله مدرسةٌ حكوميّة كانت قد افتُتحت منذ وقت قريب في القرية بإدارة الأب اسطيفان داود ومعلِّم آخر.

بقيت راهبات القلب الأقدس في ضيافة الراهبات الدومنيكيّات ما يقرب الأربعة أشهُر، ثمّ وُزِّعنَ على المناطق القريبة من الموصل، منها: تلكيف، باطنايا، باقوفا، تلّسقف، ألقوش، ومار ياقو حيث قُمنَ بتعليم الصغار حتّى عام ١٩٢٧. لم يكن هذا هو الهدف الذي من أجله غادرت الراهبات ديرهنّ في الأبرشيّة، غير أنّ الأمر بالطبع لم يكن يتعلّق باختيارهنّ. كانت تلك التجربة مؤلمة لهنّ ومخيِّبة لتوقُّعاتهنّ وآمالهنّ. ولم تكن المشكلة على ما يبدو متعلِّقة بالتنشئة، بقدر ما كانت تتعلّق بالخدمة التي كُلِّفت الأخوات المسكينات بأدائها في مرحلة عسيرة من مراحل حياة الرهبانيّة.

وفي خضمِّ الألم والمشكلات فقدت الرهبانيّة الأخت ميلّي كيواركيس دنخا التي توفّاها الأجل في باقوفا بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٢٧. أمّا الأخت ميلّي يوسف فقد قضت نحبها خلال رحلة من كرمليس إلى ألقوش حيث كانت في طريقها لتتبضّع ما كان الدير بحاجة إليه من موادّ، وبينما هي في رحلتها مع مجموعة من المسافرين إذ أُصيبت بتوعُّك فُجائيّ، غير أنّ المسافرين تركوها وحيدةً على جبل ألقوش حيث لقيت مصرعها بتاريخ ٢ تمّوز١٩٢١، وقد عُثر فيما بعد على بقايا جثّتها وقد نهشتها الذئاب.

أُجريت عام ١٩٢٨ أعمال ترميم وتوسيع لدير أرادن ليصبح أكثر ملاءمةً للحياة الرهبانيّة من جهة، ولتلبية احتياجات الرهبانيّة الآخذة بالنموّ شيئًا فشيئًا من جهة أخرى. وبعد الفراغ من أعمال البناء في ١١ كانون الثاني ١٩٢٩ تمكّنت الرهبانيّة من استقبال ثماني راغباتٍ جديدات، بينهنّ أربعٌ من أرادن، والأُخريات من قرية تِنَّ. وهنّ على التوالي: مريم هرمز نونا، كتّي مروكي هرمز، بوخي إيشو هاويل، شموني شمعون كليانا، مريم بولس، كاترينا زافلو، رومي قاشا هرمز قاشا، وشمّي هرمز مايا. وبعد الفراغ من مرحلة

الطالبيّة أبرزت سبعٌ منهنّ النذور بتاريخ ٢٤ كانون الأوّل ١٩٣٢ فأصبحت أسماؤهنّ في الرهبانيّة الأخوات: لوسيّا، بريجيت، مادلين، برناديت، روزا، كليليا، وحَيّي. أمّا الطالبة الثامنة، وهي مريم هرمز نونا (الأخت مَرغريتا) فقد توفّيت وهي بعدُ في مرحلة الابتداء في تمّوز ١٩٣٠. غير أنّ القلب الأقدس عوّض عنها الرهبانيّةَ بفتاة جديدة من قرية مانكيش دخلت الدير بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٣٦، وهي راحيل مرقس، وقد أبرزت نذورها في ١٦ حزيران ١٩٣٨ متّخذةً اسم: الأخت مَرغنيثا، وبعد سنتَين من نذورها وافاها الأجل في شهر آب ١٩٤٠.

في عام ١٩٢٩ تمّ تعيين مار فرنسيس داود من قِبل قداسة الحبر الأعظم بيوس الحادي عشر عضوًا في لجنة التدوين الشرقيّة، فسافر إلى روما حيث أمضى زُهاء عشرة أشهُر. وكان قبل مغادرته قد عيّن الأب إسطيفان داود مرشدًا روحيًّا للرهبانيّة مدَّةَ غيابه عن الأبرشيّة. انصرف المرشد الجديد تدفعه غيرة رسوليّة كبيرة إلى تنشئة بنات قلب يسوع الأقدس في مجال العلوم الدينيّة والروحيّة، وتعليمهنّ اللغتَين الكلدانيّة والعربيّة. أمّا شقيقته الأخت مريم (الرئيسة العامّة للرهبانيّة آنذاك) فقد كانت تلقّن أخواتها في الرهبانيّة فنون الخياطة والتطريز، فضلاً عن توزيعها الأعمال في الدير على الأخوات اللواتي كنّ ينهضنَ

بتلك الواجبات شأن: الخياطة، المدرسة، المطبخ، الأعمال المنزليّة، تربية المواشي، والعمل في كروم العنب وفي الحقول.

كانت الرهبانيّة قد شرعت منذ ثلاثينيّات القرن العشرين بعدد من الأعمال الرسوليّة في الأبرشيّة، فضلاً عن التعليم الذي كانت تضطلع به الراهبات في القرى طيلة العام الدراسيّ (منذ تشرين الأوّل حتّى أواخر حزيران) من كلّ سنة، متنقّلات اثنتَين اثنتَين معًا في أرادن وإينشكي، حيث كنّ يدرِّسن مادّة التربية الدينيّة للفتيان والفتيات، وكذلك للسيّدات، وكنّ يقمنَ بإعداد الصغار للمناولة الأولى، فضلاً عن خدمة المرضى، وتهيئة المنازعين لميتة صالحة، كما كنّ يُرشدن الفتيات والأُمّهات إلى سُبل الحياة المسيحيّة وطريق الفضائل وكلّ ما مِن شأنه أن يُسهم في تنشئتهنّ الإنسانيّة والمسيحيّة.

٣. حقبة ما بعد مار فرنسيس داود:

إثرَ مرضٍ دامَ طويلاً انتقل مار فرنسيس داود إلى جوار ربّه بتاريخ ١ تشرين الأوّل ١٩٣٩. عاش مار فرنسيس داود حياةً مليئة بمآثر خدمته للكنيسة وللأبرشيّة، تاركًا لبناته بالربّ أعظمَ كنز، هبة محبّته الأبويّة، أو بكلمة أخرى: رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس، التي سهر على تنشئة راهباتها على وفق روح المؤسِّس الأب عبد الأحد ريِّس.

كانت الحرب العالميّة الثانية قد اندلعت في ذلك الحين، ودوّت أصداؤها في أقصى بلاد العالم. وكانت الأبرشيّة في ذلك الوقت بالتحديد بلا راعٍ؛ فأُقيم الخورسقف حنّا قريو (١٨٧٤- ١٩٤٦) مدبرًا بطريركًّا لها، ثمّ انتُخب أسقفًا للأبرشيّة عام ١٩٤٢. واصلت الرهبانيّة نموّها مدّةَ أسقفيّة مار حنّا قريو على الرغم من أنّ مجالات ذلك النموّ كانت ضيِّقة جدًّا. دخلت الدير أربع فتيات جديدات، ثلاثٌ منهنّ بتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٤٣، وهنّ: ماريّا موشي من قرية بيبوزي، نانى شمعون، حاوا إيشو، ثمّ تبعتهنّ وارينا هرمز كيواركيس في ١٩ آذار ١٩٤٣، وثلاثتهنّ من أرادن. وعند إبراز المبتدئات الأربع نذورهنّ اتّخذن أسماء: الأخت سيسيليا، الأخت كولومبا، الأخت عبدة الأحد، والأخت جوزفين.

بعد وفاة مار حنّا قريو في ٢٥ نيسان ١٩٤٦، تولّى مهامّ الإدارة البطريركيّة الأب جبرائيل كَتّي (وهو ابن أخت مار قريو وأمين سرّه). وكان هذا المدبر الجديد قليل الحماس والتشجيع للرهبانيّة ولفائدتها في الأبرشيّة؛ ففكّر للحظةٍ بحلّها. غير أنّه لم يصل إلى غايته نظرًا للمعارضة التي لقيها من كافّة الجهات التي كانت ضدّ فكرته تلك. ولكنّ السبب الأكبر كان يكمن في كونه مدبرًا بطريركيًّا وحسب، وهذا يعني عدم امتلاكه الصلاحيّة لإحداث أيّ تغيير في شؤون الأبرشيّة، أو في شؤون الرهبانيّة بوصفها حقًّا أبرشيًّا.

في عام ١٩٤٧ تمَّ انتخاب مار روفائيل شمعون ربّان (١٩١٠– ١٩٧٧) أُسقفًا للعماديّة، وكان هو مَن نقلَ مقرّ الأسقفيّة من أرادن إلى العماديّة، أوّلاً: لكونها المركز الإداري المدني للمنطقة، وثانيًا: لتفادي مشاكل ومضايقات وقعت في تلك الأيّام بالتحديد[٣٦٧]. وكانت الرهبانيّة أوّل مَن عانى بسبب تلك الأحداث المؤسفة؛ لأنّ المرشد نفسَه وراهباتٍ من بنات قرابته كنّ ضالعاتٍ وإيّاه في هذه المسألة المؤلمة التي سبَّبت للأُسقف الجديد قلقًا وعَناءً كبيرَين. ولم تتحسّن الحال بتعيين مرشد روحي جديد، هو الأب عبد الأحد صَنا (أسقف ألقوش فيما بعد)، وانتخاب الأخت برناديت رئيسة عامّة جديدة لتحلّ محلّ الأخت مريم، فقد تلقّت الرهبانيّة ضربة قاسية، وظلّت شبه مشلولة طيلة مدّة أسقفيّة مار روفائيل شمعون ربّان. وفي الوقت ذاته لم تعرف الرهبانيّة دعواتٍ جديدةً منذ عام ١٩٤٣ حتّى عام ١٩٥٩، وتراجعت نشاطاتها حتّى انعدمت أو كادت تنعدم.

مع نقل مقرّ الأسقفيّة إلى العماديّة انتدب الأسقف الجديد أربع راهبات، هنّ: الأخت سيسيليا، الأخت كولومبا، الأخت عبدة الأحد، والأخت جوزفين للعمل في المطرانيّة، تاركًا الراهبات الأُخريات –ومعظمهنّ مُسِنّات– تحت رحمة القدَر، وسط جماعة مُعادِية ومنقسمة على نفسها في أرادن. كانت الأعوام ما بين ١٩٤٦– ١٩٥٧ هي الحقبة الأكثر قتامةً في حياة الرهبانيّة، وكان من الممكن أن تؤدّي بها إلى الدمار الكامل لو استمرّت الحال على ما كانت عليه آنذاك.

---

[٣٦٧] كان والدي (اورو شمعون) هو أحد الضحايا الذين سقطوا بسبب تلك الصِدامات، وكنتُ حديثة الولادة آنذاك.

الفصل الثاني

تجديد الرهبانيّة

من عام ١٩٥٧ حتّى عام ١٩٨٨

١. أعضاء جُدُد:

نُقِلَ مار روفائيل شمعون ربّان عام ١٩٥٧ إلى مقرّ أبرشيّة كركوك؛ فانتُخِب من بعدهِ مار روفائيل بيداويد[٣٦٨] أُسقفًا للأبرشيّة حيث تولّى مَهامّ منصبه بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٧. وكان أحد أوّل الأمور التي عَنِيَ بها يتمثّل بمنح حياة جديدة وحافز جديد للرهبانيّة التي كان يغشاها سُباتٌ دامَ عدّة أعوام. فقد أدرك مار روفائيل ضرورة تجديد حياة الرهبانيّة من مختلف النواحي: الدينيّة، المدنيّة، الفكريّة، والخُلقيّة؛ ليُعيد إلى بنات قلب يسوع الأقدس روح المؤسِّس ويجعل منهنّ جمعيّة حديثة مؤهَّلة لمواكبة العصر في بيئة تشهد تطوُّرًا اجتماعيًّا كبيرًا كالتي كان يمرّ بها العراق آنذاك، لتتمكّن من النهوض برسالتها في خدمة الأبرشيّة والبلد. ولأجل القيام بهذا العمل كان يجب و قبل كلّ شيء ضخُّ دماء جديدة في شرايين هذا الجسد (الرهبانيّة) بُغية إعادة الحياة إليه وإلى روحانيّته الخاصّة. وهكذا شرعَ مار روفائيل بيداويد بتنظيم الحياة الرهبانيّة لهذه الجمعيّة من خلال مراجعة قانون الرهبانيّة، وإنشاء دير جديد شيّده هو بالقرب من مقرّ المطرانيّة في العماديّة. وكان ذلك الدير يضمّ دارًا للابتداء كذلك. تمّ الإقرار على تولّي الأخت برناديت مسؤوليّة الرئاسة العامّة للرهبانيّة، واستُقبِلَت خمسُ فتيات جديدات في دير الابتداء بتاريخ ١٨ تشرين

[٣٦٨] البطريرك روفائيل الأوّل بيداويد (١٩٢٢– ٢٠٠٣). نصِّب بطريركًا للكنيسة الكلدانيّة في ٢٦ أيّار ١٩٨٩.

الأوّل ١٩٥٩، وهنّ: شموني شَماشا اسطيفانوس ريِّس، لوسيّا منصور نونا، ماركريت أَورو شمعون، ماري ايليشا، وفهيمة جَجّو إيشو. ثمّ تبعتهنّ فتاة سادسة هي: يونيا بنيامين (من قرية تِنَّ) بتاريخ ١ كانون الثاني ١٩٦٠. وبعد انقضاء المدّة المطلوبة أبرزنَ جميعهنّ النذور في ٥ حزيران ١٩٧٠ (المصادف عيد قلب يسوع الأقدس). ومنذ ذلك اليوم أصبحت الراهبات الجديدات يُعرَفن بـ: الأخت كلارا، الأخت إليزابيت، الأخت ماركريت، الأخت ماري، الأخت تيريز، والأخت آنجيل.

تبعًا للإصلاح الذي قام به مار بيداويد، ترتّبَ على جميع الراهبات منذ ذلك الوقت فصاعدًا الحصول على شهادتَي التعليم الابتدائي والثانوي، واللواتي يمتلكنَ كفاءة أكثر فسوف يُؤذَن لهنّ بمواصلة تعليمهنّ العالي والحصول على الشهادات الجامعيّة للدولة؛ ليتمكَّنَّ بعدئذٍ من العمل في مجالات التربية والتعليم، ويُساهمنَ في تنشئة الأجيال الجديدة على القيم الإنسانيّة والحضاريّة والدينيّة، مؤدِّياتٍ الشهادة الواجبة عليهنّ بوصفهنّ راهبات قلب يسوع الأقدس. وهكذا كان، فقد تابعت الأخوات: كلارا، إليزابيت، وماركريت تعليمهنّ؛ وكُنّ بناءً على ذلك الراهبات الثلاث الأُوليات في الأبرشيّة مِمّن حصلنَ على شهادات لمدارس الدولة، فتمّ تعيينُهنّ في المواقع الآتية: عملت الأخت كلارا والحاصلة على دبلوم تمريض ممرِّضة في مستشفيات الدولة، أمّا الأخت إليزابيت والأخت ماركريت فقد أصبحتا معلِّمَتين في مدارس الدولة. وفيما يتعلّق بالأخوات: ماري، تيريز، وآنجيل فبعد أن أتممنَ تعليمهنّ غادرنَ الرهبانيّة عائداتٍ أدراجَهنّ إلى الحياة العلمانيّة.

٢. هجرة جديدة:

في ١١ أيلول ١٩٦١، بينما الراهبات جميعًا مُوشكات على الفراغ من أعمال تنظيف ديرهنّ الجديد في العماديّة، والسعادة بادية على وجوههنّ، إذ طرَقت أسماعَهُنّ زُهاء الساعة الثالثة مساءً أصوات عيارات ناريّة معلنة نشوب الحرب: بدأ الأكراد ثورة على حكومة بغداد مطالبين بالاستقلال وبالحكم الذاتي. لم تكن تلك الثورة هي الأوّلى من نوعها التي يقوم بها الأكراد على حكومة بغداد، غير أنّ المعركة هذه المرّة كانت منظّمة تنظيمًا جيِّدًا، تدعمها معدّات وآليّات حديثة. أسرعت الراهبات في اللجوء إلى مبنَى المطرانيّة هرَبًا من الإطلاقات الناريّة التي كانت تقذف بها الأسلحة الرشّاشة بلا توقُّف، والتي كانت

تزداد كثافتها شيئًا فشيئًا. لم يكن أُسقف الأبرشيّة مار روفائيل بيداويد حاضرًا في تلك الساعة، فكان قد غادر البلد في رحلة إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة؛ فحاول النائب الأبرشي العامّ الأب حنّا قلّو[٣٦٩] جَهده أن يُهدِّئ من روع الراهبات المسكينات، ويُشدِّد عزائمهنّ في تلك اللحظة الحاسمة. وكان ذلك اليوم هو يوم الاثنين.

وفي صباح الثلاثاء ١٢ أيلول استأنفت الأسلحة الرشّاشة إطلاق رصاصها، ممّا أدخل الرعب إلى نفوس الراهبات اللواتي كنّ يُشاركنَ في القدّاس الإلهيّ؛ فحاولنَ الاختباء في الكنيسة، ثمّ ما لبثنَ أن غادرنَ الدير فَزِعاتٍ، برفقة النائب الأبرشي العامّ، ووالدة الأُسقف (السيِّدة مريم بيداويد) التي كانت قد جاءت إلى العماديّة طلبًا للراحة بعض الوقت بصحبة نسيبتها وحفيدٍ صغير كان يستعدّ للمناولة الأولى. وأمام الخطر المتصاعد فقد اضطُرَّت الراهبات لمغادرة المنزل زُهاء الساعة الثالثة مساءً برفقة الأب حنّا قلّو وأقارب الأُسقف بيداويد متّجهين جميعًا إلى بيباد سيرًا على الأقدام، تلاحقهم الطائرات المقاتلة التابعة للدولة طوال الطريق من العماديّة حتّى بيباد. وبعد استراحة قصيرة في بيباد استأنفوا مسيرهم هربًا من الغارات الجويّة إلى همزيكي حيث أمضوا ليلتهم تلك في ضيافة سكّان القرية. وكان عليهم في ١٣ أيلول أن يلوذوا بكُهوف الجبال ليحتموا فيها من القصف الجوّي الذي كان يشتدّ ضراوةً.

في صبيحة ١٤ أيلول (عيد ارتفاع الصليب) احتفل النائب الأبرشي العامّ بالذبيحة الإلهيّة في أحد تلك الكهوف، والطائراتُ ممعنةٌ في إحراق الأرض وتدميرها بما كانت تُمطره من وابلِ قنابلها القاتلة. وفي مساء اليوم ذاتهِ وصل إلى الملجأ الذي كانت المجموعة تلوذ به والد الأخت تيريز، يصحبه شقيق الأخت جوزفين ليُرافقا المجموعة في رحلتها إلى أرادن حيث مكث الجميع حتّى شهر تشرين الثاني. غير أنّ الرحيل كان بانتظارهم، فغادروا قاصدين بَرْدَه رَش سيرًا على الأقدام –شأن رحلاتهم السابقة– متنقِّلين ما بين الجبال والوديان تجنُّبًا لملاحقة الطائرات لهم. توقّفت القافلة عند وصولها إلى قرية كورامارك الكرديّة حيث تناولوا المرتحلون قليلًا من الخبز والماء، ثمّ تابعوا رحلة الهرب إلى بَرْدَه رَش تحت سيول الرصاص

---

[٣٦٩] المطران حنّا قلّو (١٩٢٢– ٢٠٠٢).

والقذائف التي كانت تتراشقها الأسلحة من كلّ الجهات. ضلّت المجموعة مَسارها بين الغابات، ولم تستطع العثور على الطريق إلاّ بعد عناءٍ كبير لتصلَ إلى بَرْدَه رَش حيث أمضى الجميع ليلتهم في ضيافة أبناء البلدة. وفي صباح ٨ تشرين الثاني استطاعت الراهبات إيجاد وسائط نقل للسفر إلى الموصل حيث استضافهنّ والد الأخت جوزفين العُمدة ريِّس هرمز كيواركيس صَنا في منزله.

٣. المقرّ الجديد للرهبانيّة في الموصل:

تأثّرت الأُمّ ماري آنج الرئيسة العامّة للراهبات الدومنيكيّات للقدِّيسة كاترينا السيانيّة تأثُّرًا عميقًا عند رؤيتها راهبات القلب الأقدس الناجيات من موت محتَّم وقد أنهكَتهنّ رحلة الهرب الطويلة والقاسية، فما كان منها إلاّ أن قامت باستضافتهنَّ في الدير الأُمّ للراهبات الدومنيكيّات الكائن في منطقة الموصل الجديدة حيث مكثنَ حتّى عودة الأُسقف مار بيداويد إلى أرض الوطن.

ونظرًا للحالة غير المستقرّة التي كانت عليها الراهبات فقد طلب الأُسقف مار روفائيل بيداويد إلى غبطة البطريرك أن يأذَن للراهبات بالإقامة في المبنَى القديم غير المأهول للمعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني "شمعون الصَفا"، وكان تلاميذه قد غادروه ليُقيموا في المبنَى الجديد لمعهدهم في بغداد. وافق غبطة البطريرك على طلب مار بيداويد فانتقلت الراهبات للإقامة في المبنَى القديم، وكان ذلك في زمن الصوم الأربعينيّ لعام ١٩٦٢، حيث مكثنَ حتّى الفراغ من تشييد الدير الجديد للرهبانيّة، وهو "دير النصر" عام ١٩٨٤.

بعد انتقال مار روفائيل بيداويد إلى أبرشيّة بيروت (لبنان)، ونظرًا لخلوّ أبرشيّة العماديّة من معظم أبنائها من الكلدان الذين ارتحلوا عن ديارهم ليستقرّوا في المدن الكبرى (بغداد والموصل) على أثر حرب

الأكراد عام ١٩٦١ التي اجتاحت المنطقة بأكملها وأورثتها الموت والدمار؛ فقد ارتأى المجمع البطريركي الكلداني أنّ من المناسب أن تُوكلَ أبرشيّة العماديّة لأجَلٍ مُسمًّى إلى أُسقف عقرة مار أندراوس صَنا (١٩٢٠– ٢٠١٣)، فنهض بإدارتها حتّى عام ١٩٦٨.

قبلت الرهبانيّة عام ١٩٦٧ فتاتَين جديدتين، هما: سرّة إيليّا شمّامي، وَوارينا جميل هرمز، وبعد استكمالهما مدّة الابتداء أبرزتا نذورهما في ٧ تمّوز ١٩٧٤ متّخذَتين اسمَي: الأخت سيلين، والأخت ألبيرتين.

لاحت في عام ١٩٦٨ بوادر هدوء الحرب، وأخذ المؤمنون يعودون إلى قُراهم ليستأنفوا حياتهم الطبيعيّة. فعيّن المجمع البطريركي عندئذٍ أُسقفًا جديدًا للأبرشيّة هو: مار قرياقوس موسيس (١٩٢١– ١٩٧٣)، وبما أنّه لم يستطع الإقامة في العماديّة حيث كانت المباني قد دُمِّرت بما فيها دار المطرانيّة والكنيسة والدير؛ اتّخذ من قرية مانكيش مقرًّا مؤقّتًا للمطرانيّة، فقد كانت تلك القرية المسيحيّة الكبيرة تقع في منطقة آمِنة نسبيًّا، نظرًا لسيطرة قوّات الجيش عليها. وقد أقام الأُسقف وسط أبناء أبرشيّته حتّى وافاه الأجل المبكِّر بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٧٣.

خلفه في إدارة الأبرشيّة مار حنّا قلّو الذي انتُخب في ١٠ تشرين الأوّل ١٩٧٣ أسقفًا لأبرشيّة العماديّة التي كان قد شغل فيها لسنين عديدة منصب النائب الأبرشي العامّ. ولكنّه لم يجد سبيلاً لإعادة كرسي الأُسقفيّة إلى العماديّة لأسباب بعضها أمنيّ وبعضها ذو طبيعة أخرى؛ لذلك فقد احتفظ بمقرّه في مانكيش التي هي مسقط رأسه.

تعيش الرهبانيّة منذ عام ١٩٦١ في منفًى قسريّ في الموصل بانتظار اليوم الذي يُمكنها فيه العودة إلى الأبرشيّة، وهو أمرٌ لا يبدو قريبَ الأجل بسبب الحرب التي ما برحت تزمجر منذ عام ١٩٦١ في تلك المناطق التي لحق بها الدمار على وجه يكاد يكون كاملاً، سواءٌ مِن قِبل عناصر المقاومة الكرديّة، أو مِن قِبل الجيش العراقي؛ فقد أُحرقت ودُمِّرت أبنية كثيرة، كان منها مبنَى المطرانيّة والكنائس والأديرة

والمدارس، وغيرها من المباني التي لم يبقَ فيها حجَرٌ على حجَر في قُرى الأبرشيّة كلِّها. وليس مَن يدري كيف ومتى سيكون ممكنًا إعادة تعمير المنطقة والأبرشيّة في أجواء يسودها الهدوء والسلام.

انضمّت إلى الرهبانيّة ما بين الأعوام ١٩٧٣– ١٩٨٢ خمسُ فتيات، هنّ على التوالي: جانيت فرنسيس في ٣٠ آب ١٩٧٣، ومريم بطرس في ٢٠ آب ١٩٧٧، وقد أبرزتا نذورهما بتاريخ ٣٠ حزيران ١٩٨٥ مُبقيتَين على اسمَيهما، فعُرِفَتا في الرهبانيّة بـ: الأخت جانيت، والأخت مريم. وفي ٢٥ أيلول ١٩٨٠ دخلت إلى الدير مورين كوريّال، لتعقبها كلٌّ مِن شوني داود وبتول زكريّا في ٢٧ تشرين الأوّل ١٩٨٢، وقد أبرزنَ نذورهنّ جميعًا بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٨٧ (المصادف عيد قلب يسوع الأقدس) لتُصبح أسماؤهنّ في الرهبانيّة: الأخت مورين، الأخت بولين، والأخت فيلومين.

تجرّعت الرهبانيّة مرارة الاغتراب عن الأرض لأكثر من عشرين سنة، غير أنّ ثقتها اللامتناهية بقلب يسوع لم تتأثّر على الإطلاق بسبب هذه الغربة. وعلى الرغم من ذلك، فقد حظيَت الراهبات في الموصل بالمودّة والدعم مِن لَدُن السلطات الكنسيّة وجماعة المؤمنين على السواء، ممّا منحهنّ المقدرة على مواصلة مسيرة حياتهنّ الرهبانيّة والعمل على تنميتها باحتضان دعواتٍ شابّة والمبادرة بانطلاقة جديدة. أمّا نفقاتهنّ –شأنها سابقًا– فجزءٌ قليل منها يأتي من تبرُّعات المؤمنين ومن المساعدات الخيريّة، أمّا الجزء الأكبر فيتمّ تأمينه من عمل الراهبات أنفسهنَّ في الخياطة والحياكة سواءٌ اليدويّة أو الآليّة التي أعتمدت حتى حين على مكائن حياكة حديثة كان قد أهداها للرهبانيّة مار روفائيل بيداويد (أُسقف بيروت)، الذي ما انفكَّ يخصّ الرهبانيّة برعايته الأبويّة؛ فكان لها بحقٍّ المؤسِّس الثاني والمجدِّد الفعليّ.

الفصل الثالث

نقطة تحوّل في مسيرة حياة الرهبانيّة

١. المقرّ الجديد للرهبانيّة:

إنّ المبنَى المتداعي للمعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني القديم في الموصل أخذ يُصبح يومًا بعد يوم أقلَّ كفاءةً للإيفاء بمتطلَّبات واحتياجات الرهبانيّة، فقد كانت الطالبات (الراغبات) والمبتدئات والراهبات (الناذرات) يُقِمنَ معًا في مبنَى واحد، ولم تكن هناك إمكانيّة لفصل كلّ مجموعة عن الأخرى.

غير أنّ قلب يسوع الأقدس بعنايته الإلهيّة لم يُهمل بناته أبدًا، حتّى في أشدِّ أوقات حياتهنّ حلكةً وظلامًا؛ فنلنَّ حضوةً عند رئيس جمهورية العراق آنذاك السيّد صدام حسين، واهتمامًا خاصًّا براهبات أبرشيّة العماديّة، فأصدر خلال المقابلة الرسميّة التي أذِنَ بها للرئيسة العامّة للرهبانيّة الأخت ماركريت أورو شمعون بتاريخ ٣ آب ١٩٨٠ مرسومًا رئاسيًّا يقضي بالشروع على الفَور ببناء دير جديد في الموصل لرهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس لأبرشيّة العماديّة للكلدان.

تمّ الاحتفال بمراسيم وضع حجَر الأساس في ٨ شباط ١٩٨١ بحضور محافظ نينوى ومسؤولي المحافظة، وبمشاركة خمسة أساقفة كاثوليك وأرثوذكس، وعدد كبير من القساوسة والرهبان والراهبات، وحشد من الأصدقاء مسيحيّين ومسلمين. أشرفت على دراسة الخطّة وتنفيذها المديريّة العامّة لمباني المنطقة الشماليّة، وتمّ تخصيص مساحة من الأرض بلغت ٢١٠٤ أمتار مربّعة، في موقع جميل وصحّي، على مقربة من دير مار كوركيس للرهبان الكلدان. بدأت أعمال البناء في ١٥ أيّار ١٩٨١، واكتملت في تمّوز ١٩٨٤. مُنح الدير الجديد اسم دير النصر رمزًا للانتصار على الموت والدمار اللذَين تسبّبت بهما الحرب، وإشارةً إلى الثقة العظيمة بقلب يسوع الأقدس، ألم يقُل يسوع: "ثِقُوا إنّي قد غلبتُ العالم"[٣٧٠]، أملاً بسلامٍ عادل ونهاية للحرب العراقيّة – الإيرانية التي ما فتئت تزرع الموت وتحصد الدمار وكلّ ما يعجز اللسان عن وصفه من المعاناة والآلام.

يتألّف الدير من جناحَين يتوسّطهما مبنَى الكنيسة، وهو يفصل بينهما تمامًا. أمّا الجناح الأوّل فهو مخصَّص للطالبات (الراغبات) وللمبتدئات، وأمّا الجناح الثاني فهو للراهبات الناذرات، كما إنّه يضمّ المطبخ وقاعة الطعام وما إلى ذلك. تحيط المبنَى بأكمله (الجناحَين والكنيسة التي تتوسّطهما) حديقةٌ جميلة وأنيقةٌ، شأنَ حدائق الأديرةِ عادةً.

٢. النشاطات الرهبانيّة والرسالات:

أ . بقيت الرهبانيّة منذ عام ١٩٦٣ حتّى عام ١٩٧٥ محتفظة برسالةٍ لها في كرمليس التابعة لأبرشيّة الموصل. وكانت تلك الرسالة تتألّف أوّل الأمر من خمس راهبات، أصبح عددهنّ فيما بعد ثلاثًا، وكُنَّ يُدرِّسنَ مادّة التربية الدينيّة، فضلاً عن إدارة روضة الأطفال، وتقديم العون لأخويّات الفتَيات وأخويّات السيّدات على حدٍّ سَواء. وكانت الراهبات مكلّفات أيضًا بزيارة الأُسَر وإعداد الصغار للمناولة الأولى.

ب . نظرًا للأهميّة التي اكتسبتها مانكيش إثرَ انتقال مقرّ الأُسقفيّة إليها من العماديّة، أصبح من الواجب أن تُوجد فيها رسالة دائمة. فتمّ افتتاح الدير الجديد بتاريخ ١ تمّوز ١٩٨٠، وكانت المجموعة الأولى تتكوّن

[٣٧٠] لوقا ٢٤: ٢٦؛ يوحنا ١٦: ٣٣.

من ثلاث راهبات انصرفنَ إلى تعليم مادّة التربية الدينيّة، والاعتناء بالكنيسة واحتياجاتها المختلفة، وتقديم الإرشاد الروحي للفتيات وللسيِّدات.

ج . تلتزم الراهبات خلال فصل الصيف (تمّوز– أيلول) بالنشاطات الرسوليّة التي تعود بالنفع الكبير على أبناء الأبرشيّة. وتنهض الراهبات بهذه المهامّ بطلب من الأساقفة ومِن رُعاة الخورنات التابعة لأبرشيّة العماديّة وللأبرشيّات الأخرى الموجودة في شمال العراق:

١. في أبرشيّة الرهبانيّة: العماديّة، أرادن، إينشكي، بردَه رَش، كوماني، الداوديّة، سردَراوة، هرماش، وَآزخ.
٢. في أبرشيّة الموصل الكبرى: كاتدرائيّة الشهيدة مسكنتة، خورنة مار أفرام، خورنة مار بولس، خورنة مريم العذراء (في الدركزليّة)، منطقة حيّ العربي (حيث يقع دير النصر).
٣. في أبرشيّة أربيل الكبرى: عينكاوَه، شقلاوة، كويسنجق، وَأرموته.
٤. في أبرشيّة زاخو: زاخو.
٥. في ابرشيّة عقرة: هزارجوت.
٦. في أبرشيّة ألقوش: الشيخان (عين سفني).
٧. في أبرشيّة السليمانيّة: السليمانيّة.

د . حفّزت هذه النشاطات الدينيّة عددًا من مجالس الخورنات في الموصل على المطالبة بمشاركة إحدى راهبات القلب الأقدس بصفةِ عضو فعليّ في المجلس. كما تتمتّع إحدى الراهبات كذلك بعضويّة لجنة التعليم المسيحي في الموصل. فضلاً كلّ ما تقدّم فإنّ الراهبات يلعبنَ دورًا متميِّزًا في النشاطات الدينيّة لطلبة الجامعات، فكثيرًا ما يُستشَرنَ في أُمور الحلقات الطلاّبيّة، أو يُدعَينَ لإعطاء دروسٍ وإلقاء محاضراتٍ حول موضوعات "اجتماعيّة–دينيّة" في حلقات مختلفة وذات خصوصيّة معيّنة.

هـ . تلتزم الرهبانيّة –فضلًا عن كثير من نشاطاتها الدينيّة– بعمليّة تكوين وإثراء مكتبة الدير التي تضمّ أفضل الكتب في مجالات مختلفة: أوّلها الروحانيّات والعلوم الدينيّة، ثمّ الموضوعات العامّة في الأدب والعلوم الصِرفة والفنون ما إلى ذلك من أبواب المعرفة. وهناك نشاط آخر يُعَدّ جزءًا من رسالة الرهبانيّة يتمثّل بتوزيع وبيع الكتب القيِّمة، فهناك مكتبة عامّة تفتح أبوابها للناس حيث القسم المخصَّص للمبيعات. ومن الجدير بالذِكر أنّ النشاطات لا تقتصر فقط على اقتناء الكتب أو بيعها وتوزيعها، فإنّ الراهبات ملتزمات

كذلك بإعداد الكتب الدينيّة للفتيان والفتيات، ويأملنَ بإعداد كتبٍ للشريحة الاجتماعيّة الأكبر سِنًّا. وقد نُشر لهنّ الكتاب الأوّل (وهو مطبوع بالألوان) عن حياة يسوع ومحبّته للناس، والكتاب موجَّه للأطفال، وقد حظِيَ بنجاح كبير لدى المؤمنين.

٣. النشاطات الاجتماعيّة والمدنيّة:

لا تنحصر الشهادة التي تؤدِّيها بنات القلب الأقدس داخل حدود النشاطات الدينيّة وحسب، ولكنّها تمتدّ كذلك إلى الحياة المدنيّة، إلى الأعمال التي تجعل منهنّ سراجًا "يوضع على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت"[٣٧١]. فالراهبات فضلاً عن الصلاة من أجل السلام ومن أجل الراحة الأبديّة لأنفُس الذين سقطوا في ميادين الشرف دفاعًا عن الوطن، يُشاركنَ عمليًّا في حياة بلدهنّ ومواطنيهنّ؛ فهُنَّ يساهمنَ في عمليّة التبرُّع بالدم، ويتبرَّعنَ بمرتَّباتهنّ الشهريّة للمساعدة في تغطية نفقات الاحتياجات المختلفة التي تسبَّبت بها الحرب، فَيُقِمنَ في مراكز مختلفة في المحافظة معارض وأسواق خيريّة للأعمال الحِرَفيّة التي هي من صُنع أيديهنَّ، كان من بينها المعرض الذي أُقيم في ٣ آب ١٩٨٢، وقد نالَ تقديرًا خاصًّا من قِبل الجميع.

كما تطوّعت اثنتان من الأخوات (الأخت ماركريت والأخت إليزابيت) للعمل بصفةِ معلِّمات للمدّة ما بين ١٩٧٣– ١٩٨٣ في حملة محو الأُميّة التي قامت بها الدولة بنجاح كبير.

غير أنّ الالتفاتة الأكثر مَدنيّةً من قِبل بنات القلب الأقدس، والتي تركت صدى واضحًا هي تطوُّع ثلاثٍ من الراهبات في القوّات المسلّحة لتقديم خدماتهنّ في مجال التمريض والصحّة في جبهات القتال، حيث قُمنَ بإسعاف وتمريض الجنود الجرحَى في مستشفى العِمارة في جنوب العراق، وكان ذلك عام١٩٨٣.

---

[٣٧١] متى ٥: ١٥.

٤. عدد من الإصلاحات:

منذ الرئاسة العامّة الأولى للأُخت ماركريت أورو شمعون (الممتدّة ما بين ١٩٧٨- ١٩٨٢) شرعت الرهبانيّة بنعمة الروح القدس ومحبّة قلب يسوع بدراسة أنجع السُبل لاستعادة الكاريزما الخاصّة ببنات قلب يسوع الأقدس؛ فتمّ تشكيل ثلاث لِجان للنهوض بهذا العمل:

أ . اللجنة الإداريّة: يقع على عاتقها مراجعة وتحديث قوانين الرهبانيّة تبعًا لروح المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني.

ب . لجنة الصلاة: ومَهمّتها دراسة الأساليب التي تمنح الصلاة أبعادًا أوسع، وتجعلها أكثر فائدةً للأنفُس.

ج . لجنة الرياضات الروحيّة: وهي مسؤولة عن إعداد وتنظيم موضوعات الرياضات الروحيّة الشهريّة والسنويّة، للحصول على أعظم المكاسب الروحيّة.

في تلك الحقبة، عام ١٩٨٠ على وجه التحديد، نالت الرهبانيّة الاعتراف الرسميّ بها من قِبل الدولة، بوصفها هيئة اعتباريّة ذات خصوصيّة قانونيّة مُساوية للجمعيّات الرهبانيّة الأخرى للبلد[٣٧٢].

أمّا الرئاسة العامّة الثانية للأُخت ماركريت (١٩٨٢- ١٩٨٦) فقد امتازت بتنظيم لحياة الجماعة الرهبانيّة على وفق مقرّرات القوانين الجديدة للرهبانيّة، ولا سيّما فيما يتعلّق بحياة الصلاة والدرس والرسالات (العمل الرسولي) داخل وخارج الأبرشيّة[٣٧٣].

غير أنّ الحدَث الأبرز لتلك الحقبة كان افتتاح دير النصر، هبة رئيس جمهوريّة العراق إلى بنات قلب يسوع الأقدس لأبرشيّة العماديّة للكلدان.

وهناك شأنٌ آخر ذو أهميّة بالغة والذي سيكون له من تأثير في مستقبل الرهبانيّة، وهو: أن يتمّ للمرّة الأولى إرسال راهبة من بنات القلب الأقدس (الأخت ماركريت أورو شمعون/ الرئيسة العامّة للرهبانيّة) للدراسة في معهد التعليم المسيحي التابع لكليّة الأرساليّات في الجامعة الحبريّة الأوربانيانيّة. ثمّ تبعتها راهبة ثانية، هي الأخت إليزابيت عام ١٩٨٦ لتنتسب إلى طلبة معهد الروحانيّات في الكليّة ذاتها.

---

[٣٧٢] تقرير المجمع العامّ (١٩٧٨- ١٩٨٢).

[٣٧٣] تقرير المجمع العامّ (١٩٨٢-١٩٨٦).

الطريق إلى روما، هذه الطريق التي مُهِّدت أمام بنات قلب يسوع الأقدس، ستكون طريق الرُقيّ لتجدُّدٍ صحيح وسليم للرهبانيّة، يتّفق مع طبيعة المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، التي هي طبيعة قلب المسيح.

خاتمة ونتائج

لقد أُريدَ للمجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني أن يكون مجمعًا راعويًّا قبل كلِّ شيء، فلم يشأ أن يضع تعريفات لحقائق عقائديّة، ولكنّه استند إلى مُعطيات الوحي مُجدِّدًا حياة الكنيسة تجديدًا كان قداسة البابا يوحنّا الثالث والعشرون قد رحّب به مُطلقًا عليه تسمية "عَنصرة المحبّة".

إنّ عبادة قلب يسوع الأقدس هي طقس شعبيّ في الكنيسة، وتَفانٍ تَقَويّ لكلّ مؤمن، وهي- باعتمادها الكتاب المقدَّس وتقليد الكنيسة كلِّه- تبتغي تعزيز الحياة الباطنيّة الفرديّة والجماعيّة للمؤمنين؛ لذا فقد أطلق عليها قداسة البابا بيوس الثاني عشر "مدرسة الكمال"[٣٧٤].

المسيح هو حياتنا، ولا يمكن للكنيسة أن توجدَ أو أن تتقدّم إلاّ فيه ومن خلاله. فمِن أين تنبع الحياة التي تغذّي الكنيسة إن لم يكن مصدرها هذا الحبّ الذي منح قلب يسوع رمزَ: "ينبوع الحياة والقداسة"؟

إن كانت المسألةُ مسألةَ أمانة للمجمع الفاتيكاني الثاني، أو كانت القضيّة هي التعبُّد الحقيقيّ لقلب يسوع فالنتيجة واحدة. ومن الواجب أن نتوصّل نحن أيضًا إلى ما كان قد توصَّل إليه القدِّيس بولس مِن قَبل: "فما أنا أحيا بعد ذلك، بل المسيح يحيا فيَّ"[٣٧٥]، وقوله أيضًا: "فالحياة عندي هي المسيح"[٣٧٦].

وبما أنّ كِلتا الوسيلتَين تسعَيان نحو غاية واحدة؛ فقد حاولت رهبانيّة قلب يسوع الأقدس أن تُقرِّب ما بينهما لكي تفسح تعاليمُ المجمع المجالَ للرهبانيّة لتجعل -بالفعل- من عبادة قلب يسوع عبادةً "بالروح والحقّ"[٣٧٧]، وأن يكون التعبُّد لقلب المسيح عاملاً يساعدها على استيعابٍ أفضل لمعاني ولمعطَيات الوثائق المجمعيّة، وأن يتعاون أعضاؤها للمضيّ في طريق التجدُّد الروحي المرجوّ.

---

[٣٧٤] بيوس الثاني عشر، Haurietis acquas، ٧٢.

[٣٧٥] غلاطية ٢: ٢.

[٣٧٦] فيلبي ١: ٢١.

[٣٧٧] يوحنا ٤: ٢٣.

إنّ التفاني في عبادة قلب يسوع الأقدس –على حدِّ تعبير قداسة البابا بولس السادس– لَتستحقّ أعظم تقدير[٣٧٨]. ونظرًا لكون قلب يسوع الأقدس ذلك الأتون المضطرم حبًّا هو الرمز والصورة للتعبير عن هذا الحبّ الأبديّ الذي به "أحبّ الله العالم حتّى أنّه جاد بابنه الوحيد ..."[٣٧٩]؛ فإنّ بنات القلب الأقدس يجب عليهنّ أن يعرفنَ كيف يستلهمنَ منه بتصميم متزايد ما يجعل حياتَهنّ تتماهَى مع الإنجيل، وأن يجتهدنَ في تغيير وتقويم ما اعتدنَ عليه من أُمور، وأن يضعنَ شريعة الربّ موضع التطبيق[٣٨٠].

يجب عليهنّ أوّلاً أن يُكرِّمنَ قلب المسيح بالمشاركة المكثَّفة والعميقة في سرّ القربان المقدَّس، فهذا السرّ هو الهبة العظمَى التي منحنا إيّاها قلبُه الإلهيّ. إنّ الإفخارستيّا لَكفيلةٌ حقًّا بأن تجعل عبادة القلب الأقدس تزدهر يومًا بعد يوم، وتغدو ذلك الفعل النبيل والخليق بالرحمة الحقيقيّة التي تُطلب بإلحاحٍ كبير في أيّامنا هذه ولاسيّما بفضل أعمال المجمع إلى يسوع ملك ومركز كلّ القلوب. إنّ جوهريّة هذا النوع من التعبُّد تكمُن في فعل السجود لسرّ القربان المقدَّس وفي عمليّة إصلاح الذات التي تُقَّدم كإماتة من أجل المسيح، كما انّها تقوم قبل كلّ شيء على سرّ الإفخارستيّا الذي منه ومن الأفعال الليتورجيّا الأخرى "يتقدَّس الناس في المسيح، ويتحقّق تمجيد الله، وهو كذلك الغاية الأخيرة لكلّ عمل تقوم به الكنيسة"[٣٨١].

كما تُكرِّم بنات القلب الأقدس قلب المسيح بتعبُّدهنَّ للطوباويّة مريم العذراء ولقلبها الطاهر. إنّ مريم العذراء هي لدَى المسيح صورة الكنيسة ووالدتُها؛ فالمجمع يضعها في سرّ المسيح نفسه وفي سرّ الكنيسة[٣٨٢]. فمن خلال قلب مريم الطاهر يمكن بلوغ قلب المسيح، وهذه حقيقة كاملة الأصالة وخارقة للعادة. إنّ قلب مريم الطاهر –صورة الكنيسة– قد صيغَ من قلب يسوع ومُلئَ به. والكنيسة قد انبثقت من قلب يسوع، إنّها وُلدت على الصليب، ومن الجنب المفتوح والقلب المطعون للمسيح المخلِّص. غير أنّ

---

[٣٧٨] بولس السادس، Investigabiles divitias Christi، في EV، ٢، ص ٣٨٣.

[٣٧٩] ١ يوحنا ٤: ٩؛ يوحنا ٣: ١٦.

[٣٨٠] بولس السادس، المصدر ذاته، ٣٨٥.

[٣٨١] المصدر ذاته.

[٣٨٢] انظر: نور الأمم، فصل ٨.

هذه الولادة هي في الوقت ذاته بمثابة عيد "ظهور الربّ"، وحنان الله على بني البَشر، كما انّها الإعلان المرئيّ عن حبِّه الفادي[٣٨٣]. لقد تمّ تطهير الإنسانيّة الآثِمة بفضل دماءِ المسيح وحبِّه ورحمة قلبه الأقدس. إنّه عملُ رحمةٍ[٣٨٤]، عملُ محبّةٍ لا متناهية وغبطةٍ حانية.

إنّ مريم العذراء هي صورة الكنيسة، فقد تلقّت كلّ شيء من قلب ابن الله: إنّها أُمّ الكنيسة، وهي التي تعيدُ بحبِّها كلَّ شيء إليه. أمّا نحن فإنّنا أبناء مريم وأبناء الكنيسة، وإنّنا منتفعون من هذه الأمومة المزدوجة التي من خلالها نتلقّى هبات محبّة قلب يسوع، نعمةً فوقَ نعمة. وبالنتيجة فنحن أيضًا نستطيع أن نقول كما قالت مريم، وكما قالت الكنيسة: "أحبَّني وجاد بنفسه من أجلي"[٣٨٥]. مريم التي هي صورة الكنيسة تطلب إلينا –تيَمُّنًا بها– أن نجعل من حياتنا اتِّحادَ شكرٍ أبديًّا لهذا الإله الذي أحبَّنا هو أوَّلاً، ذاكرًا رحمته، ومفيضًا علينا خيراته.

مريم أُمّ الكنيسة، تُرينا كذلك كيف نردُّ على المحبّة التي ابتدرَنا بها المخلِّص؛ بما أنّها تلقّت أوّلاً كلمة الله وتأمّلت بها في صلاتها، فإنّها تعلِّمنا كيف نحتفظ بها، وإنّنا لَنحتفظ بها أوّلاً من خلال طاعتنا لمشيئة الله، ثمّ بإشاعتنا حبّ المسيح في كلّ شيءٍ من حولنا، وبشهادتنا على أنّ الله هو محبّة وأبٌ، وأنّ المسيحَ هو قلبٌ؛ فنقتسم هكذا هذه الأمومة الخارقة للعادة: أمومة مريم، وأمومة الكنيسة. لا يضطرم حقًّا بلهيب قلب المسيح مَن لا يُضرِم العالم بلهيب ذلك القلب، ومَن لا يمنح حبّه لا يُحبّ حبًّا حقيقيًّا. فليكن حبُّنا لقلب يسوع على مثال مريم أُمّ الكنيسة قادرًا أن يُصبح حبًّا فعليًّا، على حدِّ تعبير قداسة البابا بولس السادس: حبًّا "يخلق إنجازاتٍ حقيقيّة، أعمالاً تجعل ملكوت حبّ المسيح حاضرًا على الأرض"[٣٨٦].

---

[٣٨٣] انظر: أفسس ٥: ٢٥–٢٦؛ طيمثاوس ٢: ١٤.

[٣٨٤] انظر: يوحنّا بولس الثاني، Dives in Misericordia.

[٣٨٥] غلاطية ٢: ٢٠.

[٣٨٦] خطاب الحبر الأعظم، في ١٣ حزيران ١٩٦٦.

التعبُّد لقلب يسوع الأقدس هو اكتشافنا أنّ يسوع يحبُّنا: "ونحن عرفنا المحبّة التي يُظهرها الله بيننا وآمنّا بها"[٣٨٧]، وكذلك: "... هو أحبّنا أوّلاً"[٣٨٨]، ثمّ: "أحبّني وجاد بنفسه من أجلي"[٣٨٩]. إنّ الدعوة الرهبانيّة لها جذور هذه المحبّة ذاتها، فباكتشافنا لحبّ قلب يسوع لنا ينشأ التعبُّد له، وتنشأ على حدٍّ سَواء الدعوة الرهبانيّة، فكلاهما يستجيبان إلى المحبّة المسبقة التي يُبادرنا بها قلب المسيح، وينتج عن هذه الاستجابة التكرُّس لهذا القلب. فتكريس الذات للقلب الأقدس يعني أن نهبه كلّ أفعال وأحوال حياتنا، على حدِّ قول القدِّيسة مرغريتا ماريّا: "نهبه أعمالنا وآلامنا ومعاناتنا"، نقدِّم إليه كلّ شيءٍ هبةً، ليس فقط الأعمال ذات الطابع الروحي البحت، شأن الصلاة والمشاركة في الأسرار والعمل الرسولي، ولكن أيضًا سلوكنا البشريّ الفردي والجماعي. وهذا التكريس لقلب يسوع هو من ناحية أخرى إبراز لمواعيد المعموديّة؛ فهو علامة على الإيمان حبًّا.

ويذهب التكريس على الحياة الرهبانيّة إلى أبعد من ذلك: فالتكريس لقلب يسوع ينبذ الأنانيّة والخطيئة، ويقبل كلَّ ما سواهما ليجعل منه ما يُبادِل به المخلِّصَ حبًّا بحبّ. والتكريس الرهبانيّ يطرح عنه كلّ ما هو ليس بيسوع المسيح وليس بحبِّه. فهذا التكريس إذن هو خاصّ ولا يجد له مكانًا إلاّ في الحبّ الأوحَد. فبالتكريس الرهباني تريد النفس أن تعيش فقط لله الذي اكتشفته والتقته في الإنسان– الله، يسوع المسيح الذي هو ظُهورُ وتجلّي الأُلوهيّة على الأرض. والنفس المكرَّسة تتّخذ المخلِّص عروسها الأوحد، وتجعله مَلِكَها المطلَق الذي تمنحه ولاءَها حبًّا. هكذا تُعاش بشكل كامل مواعيد المعموديّة. وهكذا يبلغ التفاني في الحبّ وفي عبادة القلب الأقدس ذروته.

بهذا الأسلوب يصبح التفاني في حبّ قلب يسوع وتكريس الحياة بأكملها لحبّ المسيح (في الحياة الرهبانيّة) شيئًا واحدًا. فكم من الدعوات وُلدت لأنّ القلب يكون قد استُلب من قِبل قلب المسيح! فابنة القلب الأقدس التي اجتذبتها المحبّة العارمة لهذا القلب لم تشأ بالنتيجة أن تحبَّ سواه،

---

[٣٨٧] ١ يوحنا ٤: ١٦.

[٣٨٨] ١ يوحنا ٤: ١٠.

[٣٨٩] غلاطية ٢: ٢٠.

وردّدت مع القدّيسة ترازيا الطفل يسوع: "عندئذ، في فرحي الذي يهذي، صرختُ: يسوع، حبيبي ...، لقد وجدت دعوتي، إنّ دعوتي هي الحبّ"[٣٩٠].

فعَسَى بنات قلب يسوع الأقدس جميعًا أن يستقينَ من قلب يسوع هذا "التجديد القابل للتكيُّف" الذي كان قد طالَعنا به المجمع الفاتيكاني الثاني. وعسَى عددُهنّ أن يتضاعفَ، وحماسهنّ لحبّ قلب يسوع أن يكبُرَ "من أجل قداسة أوفر للكنيسة، والمجد الأعظم للثالوث الواحد غير المنقسم الذي هو في المسيح وبالمسيح أصلُ كلّ قداسةٍ ومصدرُها"[٣٩١].

[٣٩٠] Historie d'une âme, ed. du Cerf, 1070, p. 222.

[٣٩١] نور الأمم، ٤٧، في EV، ١، ص ٢٢٥.

المصادر العربيّة

١. ابن الطيِّب، فقه النصرانيّة، في: CSCO، ج١، ١٦١/ عربي ١٦، ١٩٥٦؛ ج٢، ١٦٧/ عربي ١٨، ١٩٥٧. الترجمة الألمانية لِـ: HOENERBACH, W., e SPIES, O.

٢. ابن العبري، غريغوريوس، مختصر تاريخ الدول، تحقيق: أنطون صالحاني، بيروت ١٨٩٠.

٣. أبونا، ألبير، أدب اللغة الآراميّة، بيروت ١٩٧٠.

٤. أبونا، ألبير، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، الموصل ١٩٧٣.

٥. بابو، اسحق، تاريخ نصارى العراق، بغداد ١٩٤٨.

٦. بابو، اسحق، مدارس العراق قبل الإسلام، بغداد ١٩٥٥.

٧. بابو، اسحق، أحوال نصارى العراق في عهد الخلفاء العباسيِّين، بغداد ١٩٦٠.

٨. برصوم، إغناطيوس أفرام، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانيّة، الطبعة الثالثة، بغداد ١٩٧٦.

٩. البكري، أبو عُبيد عبد الله، معجم ما استعجم، القاهرة ١٩٤٥.

١٠. البلاذري، أحمد بن يحيَى، فتوح البلدان. تمّ الرجوع إلى الترجمة الانكليزيّة للكتاب: The Origins of the Islamic State, HITTI, Ph., e MURGOTTEN, F. C., 2 voll. New York 1/1916, 2/1924.

١١. جولاغ، يوحنّا، دير الربّان هرمزد في جبل ألقوش، في بين النهرين، ١ (١٩٧٣)، ص ٣٩١-٤١٦.

١٢. حَبّي، يوسف، دير الربّان هرمزد، بغداد ١٩٧٧.

١٣. حدّاد، بطرس، الرهبانيات النسائيّة في الكنيسة الكلدانيّة، بغداد ١٩٧٢.

١٤. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، أربعة أجزاء، بيروت ١٩٥٥-١٩٥٧.

١٥. ربّان، رافائيل، شهيد الاتّحاد البطريرك شمعون يوحنّان سولاقا الكلداني، بغداد ١٩٤٨.

١٦. زيّات، حبيب، كتاب الديارات النصرانيّة في الإسلام، في المشرق، ٣٦ (١٩٣٨)، ص ٢٩١-٤١٦.

١٧. الشابوشتي، كتاب الديارات، الطبعة الثانية، مراجعة: كوركيس عوّاد، بغداد ١٩٦٦.
١٨. شير، أدّي، كتاب شهداء المشرق القدّيسين، ج١،٢، الموصل ١٩٠٠، ١٩٠٦.
١٩. شير، أدّي، تاريخ كلدو وآثور، ج١،٢، بيروت ١٩١٣.
٢٠. صائغ، سليمان، تاريخ الموصل، ثلاثة أجزاء: ج١، القاهرة ١٩٢٣؛ ج٢، بيروت ١٩٢٨؛ ج٣، جونيه ١٩٥٦.
٢١. الطُريحي، محمّد سعيد، الديارات والأمكنة النصرانيّة في الكوفة وضواحيها، بيروت ١٩٨١.
٢٢. غنيمة، يوسف، الحيرة المدينة والمملكة العربيّة، بغداد ١٩٣٦.
٢٣. كجّو، إسطيفان، سيرة الأنبا جبرائيل دنبو، الموصل ١٩٣٢.
٢٤. المسعودي، أبو الحسن، مروج الذهب، الترجمة الفرنسية لِـ: BARBIER DE MEYNARD, C. e PAVET DE COURTEILLE, Les Prairies d'Or, 9 voll, Paris 1861-1877.
٢٥. طبعة جديدة، مراجعة وتصحيح: PELLAT, Ch.، بيروت ١٩٦٦.
٢٦. نصري، بطرس، ذخائر الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، ج١،٢، الموصل ١٩٠٥، ١٩١٣.

1. ANDRAE, T., Les Origines de l'Islam et le Christianisme, Paris, 1955.
2. ANNUARIO PONTIFICIO, Città del Vaticano, 1988.
3. ASSEMANUS, I. S., Bibliotheca Orientalis Clementino-Vaticana, t. III, 1, Roma 1725; 2, Roma 1728. Nuova Ed., G. Olms, Hildesheim- New York 1975. (BO)
4. ASSEMANUS, I. E., De Catholicis seu Patriarchis Chaldaeorum et Nestorianorum Commentarius Historico-Chronologicus, Roma 1775.
5. AWDISHO', metropolita di Nisibin, Collectio Canonum Synodicorum, in MAI, A., Scriptorum Veterum Nova Collectio, t. X, testo caldeo pp. 169-360; trad. latina pp. 23-169.
6. AWDISHO', metropolita di Nisibin, Epitome Canonum Apostorum, Ibid., pp. 3-22.
7. AWDISHO', metropolita di Nisibin, Ordo Iudiciorum Ecclesiasticorum, in Fonti II, XV (Chald. II), trad. VOSTÉ, J., Roma 1940 (Codificazione Canonica Orientale – S.C. per la Chiesa Orientale).
8. BADGER, G. P., The Nestorians and their Rituals, 2 voll., London 1852.
9. BAINVEL, J. V., La devotion au Sacré Coeur de Jésus, Doctrine – Histoire, Paris 1921.

10. BAR HEBRAEUS, G., Chronicon Ecclesiasticum, testo siriaco e trad. latina di ABBELOOS, J.B., e LAMY, T.J., Louvain, 1872-1877.
11. BAUMSTARK, A., Geschischte der syrischen Literatur, Bonn, 1922.
12. BELL, G.L., Amurath to Amurath, London 1911.
13. BELL, G.L., Churches and Monasteries of the Tur Abdin neighbouring districts, Heidelberg 1913.
14. BELLO, S., La Congrégation de S. Hormisdas et l'Église Chaldéenne dans la première moitié di XIX siècle, Orientalia Christiana Periodica 122, Roma 1939.
15. BELTRAMI, G., La Chiesa Caledea nel secolo dell'Unione, Orientalia Christiana XXIX, Roma 1933.
16. BIDAWID, R. J., Les lettres du Patriarche Nestorien Timothée I, Studi e Testi 187, Città del Vaticano 1956.
17. BRAUN, O., Das Buch der Synhados, Stuttgart und Wien 1900.
18. BROWNE, L. E., The Eclipse of Christianity in Asia, Cambridge 1933.
19. BUDGE, E. A. W., The Histories of Rabban Hormizd the persian and Rabban Bar 'Idta, in Luzac's Semitic Text and Translation Series, 2 voll., London 1902.
20. CHABOT, J. B., Littérature Syriaque, Paris 1934.
21. CHABOT, J. N., L'École de Nisibe, son histoire, ses statuts, in Journal Asiatique, IXe série, 1896, t. VII, pp. 43-93.
22. CHEVALIER, J., Le Sacré Coeur de Jésus, Paris 1900.

23. Chronicon Anonymum de ultimis regibus Persarum, ed. siriaca e trad. latina di GUIDI, I., in CSCO, Chronica Minora, I, testo vol. 1/siriaco, 1, pp. 15-39; trad. vol. 2/siriaco 2, pp. 13-32.
24. Chronique de Séert, Histoire nestorienne inedited, ed. araba e trad. francese di SCHER, A., coll'aiuto di PÉRIER, J., DIB, P., e CRIVEAU, R., in Patrologia Orientalis, IV, 3, pp. 213-313; V, 2, pp. 217-344; VII, 2, pp. 95-203; XIII, 4, pp. 435-639.
25. CODICE DI DIRITTO CANONICO, testo ufficialee versione italiana, Ed. UECI.
26. CONCILIO ECUMENICO VATICANO II, Decreto Perpetuae caritatis, 21 novembre 1964:
    - Costituzione dogmatica Lumen Gentium;
27. CONGREGAZIONE (SACRA) PER I RELIGIOSI E GLI ISTITUTI SECOLARI:
    - Istruzione Renovationis causam, 6 gennaio 1969;
    - Note direttive Mutuae relations, 14 maggio 1978;
    - Documento The Church; The evanglical demands; On the basis, 12 agosto 1980;
    - Note L'habit religieux, marzo 1974.
    - Documento Essential elements in the Church's teaching as applied to Institutes dedicated to works of the Apostolate, 31 maggio 1983.
28. CONGREGAZIONE (SACRA) PER LE CHIESE ORIENTALI, Orientalium Religiosorum, 27 giugno 1972.

29. DAUVILLIER, J., art. Chaldéen (Droit), in DDC, III (1942), col. 292-388.
30. DAUVILLIER, J., Les Provinces chaldéennes "de l'Extérieur" au Moyen Age, in Mélanges Cavallera, Toulouse 1948, pp. 260-316.
31. DE CLERCQ, C., Les Églises Unies d'Orient, Paris 1934.
32. DEVOS, P., Les Martyrs persans à travers leurs actes syriaques, Academia dei Lincei 163, Roma, 1966.
33. DE VRIES, G., Nel Quarto Centenario della Chiesa Caldea, in La Civiltà Cattolica, 1952, II, pp. 236-252.
34. DIEHL, C., Histoire de l'Empire Byzantin, Paris 1905.
35. DILLEMANN, L., Haute Mésopotamie et pays adjacent, Beyrouth – Paris 1962.
36. DUCHESNE, L., L'Église au VIe siècle, Paris 1925.
37. DUCHESNE, L., Églises séparees, Paris 1905.
38. DUVAL, R., La Littérature syriaque, 3e ed., Paris 1907.
39. ENCHIRIDION VATICANUM, Eeiz. Dehoniane Bologna, 9 vol., 1962-1987. (EV)
40. FIEY, J. M., Assyrie Chrétienne, 3 vol., Beyrouth 1/1965, 2/1965, 3/1968. (AC)
41. FIEY, J. M., Mossoul Chrétienne, Beyrouth 1959. (MC)
42. FIEY, J. M., Médie Chrétienne, in Parole de l'Orient 1(1970), pp. 357-384.
43. FIEY, J. M., Jalons pour une historie de l'Église en Iraq, in CSCO, Subsidia 36, Louvain 1970.

44. FIEY, J. M., Nisibe métropole syriaque orientale et ses suffragants dès origines à nos jours, CSCO, 188, Subsidia 54, Louvain 1977.
45. FIEY, J. M., Diocèse syriens orientaux du Golfe Persique, in Mémoire Mgr. G. Khoury-Sarkis, Louvain 1970, pp. 177-219.
46. FIEY, J. M., Cénobitisme féminin ancient dans les Églises Syriennes Orientale et Occidentale, in Orient Syrien, X (1965), pp. 281-306. (OS)
47. GAUDEFROY-DEMOMBYNE, M. (e Platonov), Le Monde musulman et byzantine jusqu'aux Croisades, in Histoire du Monde, VII, Paris 1931.
48. GAUTHEY, L., Vie et Oeuvres de la Bienheureuse Marguerite-Marie Alacoque, 3a ed., de Giord, Paris 1920. Trad. italiana, Vita e Opere di Santa Margherita Maria Alacoque, 5 vol., Ed. Centro Volontari della Sofferenza, Roma 1985.
49. GAMIL, S., Guinae relationes inter Sedem Apostolicam et Assyriorum Orientalium seu Chaldaeorum Ecclesiam, Roma 1902. (GR)
50. GIOVANNI PP. XXIII, Lettera enciclica Inde a primis, 30 giugno 1960, in AAS, 52 (1960), p. 545 ss.
51. GIOVANNI PAOLO II, Lettera enciclica Dives in Misericordia, in ASS, 72 (1980), pp.1172-1232;
52. GIOVANNI PAOLO II Religious life problems In this extraordinary Holy Year, 3 aprile 1983 in L'Osservatore Romano (English ed.), 8. 6. 1983, pp. 3-4.

53. GIOVANNI PAOLO II Adhortatio Apostolica Redemptionis donum (La consacrazione dei religiosi alla luce del mistero della redenzione), in AAS, 76 (1984), pp. 513-546.
54. GIOVANNI PAOLO II Discorso ad alcune Superiore Generali, 14 maggio 1987, in AAS, 79 (1987), pp. 1459-1464.
55. GRAF, G., Geschichte der christlichen arabischen Literatur, 4 vols., Studi e testi 118, 133, 146, 147, Città del Vaticano, 1944-1955.
56. GROUSSET, R., Histoire de l'Extrême – Orient, 2 vols., Paris 1929.
57. GROUSSET, R., L'Empire des Steppes, Attila, Gengis-Khan, Tamerlan, 4a ed., Paris 1985.
58. HAMON, A., Histoire de la dévotion au Sacré Coeur, Paris 1940.
59. HENDRIKS, O., La vie quotidienne du moine syrien oriental, in OS, V (1960), pp. 293-330, 401-431.
60. HERZDELD, E., The Persian Empire, opera postuma ed. da WALSER, G., Wiesbaden 1968.
61. ISHO'DNAḤ (JESUSDENAH), vescovo di Basra, Kthawa d Nakhputha, ed. Caldea da BEDJAN, P., Paris-Leipzig, 1901; ed caldea con trad. francese Le Livre de la Chasteté (Liber Castitatis), CHABOT; J.B., Paris 1896: الديورة في مملكتَي الفرس والعرب، شيخو، بولس، الموصل ١٩٣٩.
62. JANIN, R., Les Églises séparées d'Orient, Paris 1917.

63. JANIN, R., Les Églises Orientales et les Rites Orientaux, 2a ed., Paris 1926.
64. JARGY, S., Les Fils et les Filles du Pacte dans la literature monastique syriaque, in Orientalia Christiana Periodica, XVII (1951), pp. 304-320.
65. KOROLEVSKIJ, C., art. Audo (Joseph), in Dictionnaire d'Histoire st de Géographie Ecclesiastiques, t. V (1931), coll. 317-356.
66. KOROLEVSKIJ, C., art. Antonins, Ibid., coll. 870-873.
67. LABOURT, H., Le Christianisme dans l'Empire Perse sous la dynastie sassanide (244-632), Paris 1904.
68. LABOURT, H., De Timotheo I Nestorianorum Patriarcha (728-823) et Christianorum condicione sub Caliphis Abbasidis, Paris 1904.
69. LADAME, J., La Sainte de Paray Marguerite-Marie, 2a ed., Ed. Résiac, Montsurs 1979.
70. LADAME, J., Doctrine et Spiritualité de Sainte Marguerite Marie, Ed. Résiac, Montsurs 1979.
71. LEJEUNE, P., La dévotion au Sacré Coeur de Jésus, Le dogme, la pratique, Paris 1902.
72. LEONE PP. XIII, Lettera enciclica Annum Sacrum, in ASS 31 (1899), pp. 646-652.
73. Liber Patrum, trad. latina di VOSTÉ, J., Fonti, serie II, fascicolo XVI, Caldei – Diritto Antico – S.C. per la Chiesa Orientale, Codificazione Canonica Orientale, Roma 1940.

74. MARIS, AMRI et SLIBAE, De Patriarchis Nestorianorum commentaria, أخبار بطاركة كرسي المشرق، والترجمة اللاتينيّة: GISMONDI, H., 2 vols., Roma 1896, 1899.
75. MARTIN, P., La Chaldée, Paris 1867.
76. MINGANA, A., The early spread of Christianity in Central Asia and the Far East, in Bulletin of the John Rylands Library (Manchester), IX, 2, 1925, pp. 297-371.
77. MINGANA, A., Early spread of Christianity in India, Ibid., X, 1926.
78. NAU, F., L'Expansion Nestorienne en Asie, in Annales du Musée Guimet, t. XI, Paris, 1913, pp. 193-388.
79. ORIENTE CATTOLICO, Sacra Congregazione per le Chiese Orientali, 4a ed., Città del Vaticano 1974.
80. ORTIZ DE URBINA, I., Patrologia Syriaca, 2a ed., Roma 1965.
81. PAOLO PP. VI, Lettera enciclica Investigabiles divitias Christi, 6 febbraio 1965, in AAS 57 (1965), pp. 289-301;
- PAOLO PP. VI, Esortazione Apostolica Evangelii testificatio, 29 novembre 1971, in Enchirdion Vaticanum (EV), Ed. Dehoniane Bologna, 10a ed., 1978, pp. 632-685;
- PAOLO PP. VI, Lettera enciclica Mysterium Fidei, 3 settembre 1965, in AAS AAS 57 (1965), pp. 753-774.

82. PELLIOT, P., Les Chrétiens d'Asie Centrale et d'Extrême Orient, in T'oung Pao, XV (1914), pp. 623-644.
83. PIO PP. XI, Lettera enciclica Miserentissimus Redemptor, 8 maggio 1928, in AAs 20 (1928), p. 165 ss;

- PIO PP. XI, Lettera enciclica Caritate Christi compulsi, 3 maggio 1932, in AAS 24 (1932), pp. 177-194.

84. PIO PP. XII, Lettera enciclica Summi Pontificatus, 29 ottobre 1939, in AAS 31 (1939), pp. 413-453;

- PIO PP. XII, Lettera enciclica Haurietis acquas, 15 maggio 1956, in AAS 48 (1956), pp. 309-353.

85. RABBAN, R. S., Les Canons Arabes, testo e trad., Roma, 1948.

86. SACHAU, E., Syrische Rechtsbucher, 2 vol., Berlin 1907, 1908.

87. SACHAU, E., Zur Ausbreitung des Christentums in Asien, Berlin 1919.

88. Sharba d Sahde wadh Qaddishe (Atti dei Martiri e dei Santi), in caldeo, ed. BEDJAN, P., 7 vol., Paris 1890-1897.

89. SIMOENS, Y., La gloire d'aimer, structures stylistiques et interprétatives dans le Discours de la Cène (Jos. 13-17), in Analecta Biblica 90, Istituto Biblico, Roma 9181.

90. SPULER, B., Die Morgenländischen Kirchen, Leiden 1964.

91. Synodicon Orientale ou Recueil des Synodes Nestoriens, testo caldeo e trad. francese, CHABOT, J.B., Paris 1902. (SO)

92. TERRIEN, J. B., La dévotion au Sacré Coeur de Jésus, Paris 1893.

93. TFINKDJI, J., L'Église Chaldéenne Catholique autrefois et aujourd'hui, Paris 1913.

94. TISSERANT, E., art. Nestorienne (L'Église), in Dictionnaire de Théologie Catholique, t. XI (1931), coll. 157-288, 313-323.
95. TISSERANT, E., art. Syro-Malabare (L'Église), in DIC, t. XIV (1942), coll. 3089-3162.
96. TISSERANT, E., art. Timothée I, in DIC, t. XV (1946), coll. 1121-1139.
97. TRITTON, A. S., The Caliphs and their non-muslim subjects, Oxford 1930.
98. VERMEERSCH, A., Pratique et doctrine de la dévotion au Sacré Coeur, Tournai-Paris 1930.
99. VÖÖBUS, A., History of Asceticism in the Syrian Orient, 2 voll., CSCO, I, 184 Louvain 1958; II, 197 Louvain 1960. (HASO)
100. VÖÖBUS, A., Syriac and Arabic documents regarding legislation relative to Syrian Asceticism, Stockholm 1960. (SAD)
101. VÖÖBUS, A., The Statutes of the School of Nisibis, Etse-Stockholm 1961.
102. VÖÖBUS, A., History of the School of Nisibis, CSCO 266, Louvain 1965.
103. VÖÖBUS, A., Le Reflet du Monachisme primitive dans les écrits d'Ephrem le Syrien, in Orient Syrien, V (1959), pp. 299-306.
104. VOSTÉ, J. M., Catholiques ou Nestoriens, in Angelicum, VII (1930), pp. 515-523.

105. VOSTÉ, J. M., Les Inscriptions de Rabban Hormizd et N.–D. des Semences près d'Alqos, in Le Muséon, t. XLIII (1930), pp. 262–316.

106. VOSTÉ, J. M., Mar Johannan Soulaqa, premier Patriarche des Chaldéens, martyr de l'Union avec Rome, in Angelicum, t. VIII (1931), pp. 187–234.

107. YOUSIF, P., art. Danbo (Gibraïl), in Dizionario degli Istituti di Perfezione, t. III, Ed. Paoline, Roma 1976, coll. 829–830.

108. YOUSIF, P., art. Ormisda (Santo), Ibid., t. VI, Roma 1980, coll. 829–830.

المحتويات

إستهلال

شعار رهبانية بنات قلب يسوع الاقدس

تقديم المُعدّ ٥

المقدمة ٧

لائحة الرموز والمختصرات ١٠

الباب الأوّل: الحياة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانيّة وتطوّرها ١١

الفصل الأوّل: الكنيسة الكلدانيّة عبر التاريخ ١٣

الفصل الثاني: نشأة الحياة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانيّة ٢٥

أوّلاً: الرهبان ٢٦

ثانيًا: الراهبات الديرانيّات (المتوحّدات) ٤٠

١ – الأنظمة (القوانين) ٤٨

٢ – الدير ٤٩

٣ – حصن الدير ٥٢

٤ – الثوب الرهباني ٥٢

٥ – الحياة اليوميّة ٥٤

٦ – النذور ٥٧

٧ – الرئيسة ٥٩

الفصل الثالث: تجديد الحياة الرهبانيّة في الكنيسة الكلدانيّة ٦١

أوّلاً: الرهبان ٦١

ثانيًا: الراهبات الديرانيّات (المتوحّدات) ٦٦

الباب الثاني: رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس ٦٩

الفصل الأوّل: التأسيس ٧١

١ – أبرشيّة العماديّة ٧١

٢ – مؤسِّس الرهبانيّة الأب عبد الأحد ريِّس ٧٦

٣ – لماذا رهبانيّة بنات قلب يسوع الأقدس ٨١

٤- كتابات المؤسِّس ٨٩
الفصل الثاني: القوانين ٩٢
- قانون الرهبانية ٩٤
- القوانين الجديدة ٩٥
الجزء الأوّل: هدف الرهبانيّة وحياتها ٩٦
الفصل الاول: اسم الرهبانيّة وهدفها ٩٦
الفصل الثاني: ما ترتبط به بنات قلب يسوع الأقدس ١٠٠
- المشورات الإنجليّة ١٠١
- النذورات ١٠٣
١- الطاعة ١٠٣
٢- العفّة ١٠٤
٣- الفقر ١٠٨
الفصل الثالث: الحياة الأخويّة المشتركة ١١١
الفصل الرابع: حياة الصلاة ١١٥
الفصل الخامس: الحياة في ظلّ قانون الرهبانيّة ١١٧
الفصل السادس: التنشئة الفكريّة ١١٩
الفصل السابع: رسالة الرهبانيّة ١١٩
الجزء الثاني: قبول المرشّحات وتنشئتهنّ ١٢١
١- الطالبيّة (ما قبل الابتداء) ١٢١
٢- القبول في حالات خاصّة ١٢٢
٣- الابتداء ١٢٢
٤- تنشئة المبتدئات ١٢٣
٥- إبراز النذور ١٢٦
٦- التنشئة على الحياة الرهبانيّة ١٢٧
الجزء الثالث: إدارة الرهبانيّة ١٢٧
الفصل الاول: الرئيسة العامّة ١٢٨
الفصل الثاني: معاونات الرئيسة العامّة ١٣١

الفصل الثالث: الرئيسة المحليّة ١٣٣
الفصل الرابع: المجلس العامّ للرهبانيّة ١٣٥
الفصل الثالث: الروحانيّة ١٣٦
١ – الروحانيّة الثالوثية والمسيحانيّة ١٣٦
٢ – روح الرهبانيّة ١٣٨
٣ – وديع ومتواضع القلب ١٤١
٤ – الاتّحاد بقلب يسوع ١٤٨
٥ – قلب واحد ونفس واحدة في المسيح ١٥٤
الباب الثالث: إشارات تاريخيّة ١٦١
الفصل الأوّل: من التأسيس حتّى عام ١٩٥٧ ١٦٢
١ – الخطوات الأولى ١٦٢
٢ – الهجرة الأولى ١٦٥
٣ – حقبة ما بعد فرنسيس داود ١٦٩
الفصل الثاني: تجديد الرهبانيّة من عام ١٩٥٧ حتّى عام ١٩٨٨ ١٧١
١ – أعضاء جُدد ١٧١
٢ – هجرة جديدة ١٧٢
٣ – المقرّ الجديد للرهبانيّة في الموصل ١٧٤
الفصل الثالث: نقطة تحوّل في مسيرة حياة الرهبانيّة ١٧٧
١ – المقرّ الجديد للرهبانيّة ١٧٧
٢ – النشاطات الرهبانيّة والرسالات ١٧٨
٣ – النشاطات الاجتماعيّة والمدنيّة ١٨٠
٤ – عدد من الاصلاحات ١٨١
خاتمة ونتائج ١٨٣
المصادر والمراجع ١٨٨
المحتويات ٢٠١